المعاجم اللغوية

تأليف

الدكتور

إبراهيم محمد نجا

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقى
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن بيده مقاليد الأمر . والصلاة والسلام على أنصح البشر، وعلى آله وصحابته . . وبعد :

فان الأقدمين عنوا عناية جليلة بلغة الضاد ، فجمعوها فى صحفهم ، ودونوها فى كتبهم ، فأصبحت سهلة التناول ، ميسورة التداول .

وقد بدا للجنة المناهج فى كلية اللغة العربية دراسة تلك المعاجم ، ومعرفة الطرق التى اتبعتها فى جمعها للغة العرب ؛ لتأخذ منها مايتلاءم وروح العصر .

ولا شك أن هذه سنة حميدة ، وخطة فريدة ، يعرف منها جهد أولئك الجهابذة الذين وهبوا حياتهم ، وأفنوا عمرهم فى خدمة لغة القرآن .

وإننا سنقوم فى غضون تلك الدراسة ببحث الطريقة المثلى التى تلائم روح العصر ، لتيسر على باحثى تلك النهضة الرجوع إلى معجم يذلل ما بدا له من صعاب .

وأرجو أن أسلك هذا السبيل المنشود ، وأصل بضالتى إلى الطريق الموصل ، والله الموفق وهو حسبى ونعم الوكيل ؟

إبراهيم نجا

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللهم لا سهل إلا جعلته سهلا وأنت إن شئت
جعلت الصعب سهلا بإذنك يا رب العالمين »

المعاجم اللغوية

معنى المعجم :

إن الباحث عن معنى لفظ ، لا بد له من تجريده من زوائده ، والبحث عما تدل عليه حروفه الأصول ؛ وهى هنا : العين ، والجيم ، والميم . والكلمة على هذا الوضع ، تفيد الإبهام والخفاء ، وقد أشار إلى ذلك ابن جنى فى كتابه «سر الصناعة» فقال : ومن ذلك قوله : رجل أعجم ، وامرأة عجماء ، اذا كانا لا يفصحان ولا يبينان . والأعجم : الأخرس ، وهكذا . . .

هذه نبذة عما تدل عليه هذه المادة ، وهى لا تساير المقصود من المعجم لأن المراد منه إزالة الغموض عن الألفاظ ، وكشف الإبهام عن الكلمات .

ولعل هذا المعنى قد استفيد من دخول الهمزة على الفعل ، على أن يكون المراد منها الإزالة . كأشكيته : أزلت شكواه ، ويكون المقصود من أعجمته : أزلت عجمته ، وأذهبت خفاءه . ولعل حروف الهجاء سميت بحروف المعجم لتلك المناسبة ، لأن النقط الموجود فى كثير منها يزيل الخفاء المحدق بها ، ويوضح للناظر المراد منها . وتتبين ذلك فى مثل الحرف «ب» فإن وضعت له نقطة واحدة من تحت ، كان باء ، وإن وضعت عليه نقطتان من فوق كان تاء ، وإن نقط بثلاث نقط فوقه كان ثاء ، وهكذا «ح» ، وغيرها . . .

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نعرف المعجم : بأنه كتاب يضم ألفاظ اللغة مرتبة على نمط معين ، مشروحة شرحا يزيل إبهامها ؛ ومضافا اليها ما يناسبها من المعلومات التى تفيد الباحث ، وتعين الدارس على الوصول الى مراده .

نشأة المعاجم :

ان هذا التفسير للمعجم يفيدنا ويوجه ذهننا الى أن هذا النظام قد

أخذت به الأمم التى تطلعت الى النهوض وسارت فى ركب الحضارة ، لأن اللغة صورة حية لحياة الأمة : تدل على رقيها أو تخلفها .

وحين ننظر الى الأمم الناهضة قديماً وحديثاً نرى هذا اللون من حشد اللفظ ، قد استخدم فيها ، لتيسير مهمة أبنائها ، وتذليل اللغة أمام أبحاثهم .

ويروى لنا تاريخ الأمم أن الأشوريين ، الذين اهتموا بلغتهم ، وعنوا بتخليصها من شوائب اللغات الأخرى قد سلكوا هذا السبيل ، وان كان نظام جمع اللغة لم يسر وفق نظام العرب ، الا أن الفكرة المعجمية على أية صورة قد تحققت عندهم .

وكذلك يبدو لنا أن الأمة الصينية ، ابان نهضتها قد استخدمت هذا النظام فى لغتها ، ويذكر المؤرخون بعض المعاجم التى تعد أساساً للغة الصينية واليابانية ، كمعجم « يوبيان » لمؤلفه « كوبى وانج » والمطبوع سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ، وكمعجم « شوفان » لمؤلفه « هوشن » المطبوع سنة ١٥٠ قبل الميلاد ، وهذان المعجمان يعدان أصلا للمعاجم اليابانية والصينية .

وكذلك عرف هذا اللون عند الأمه اليونانية ، وهى أمة يعرف لها التاريخ قدرها فى التفوق العلمى والنضوج الفكرى ، ومن المعاجم اليونانية معجم « يوليوس بولكس » وهو يشبه إلى حد كبير فى نظامه « المخصص لابن سيده » لأنه اتبع المعانى والموضوعات . وكمعجم « فاليريوس فيلكس » الذى ألف فى عهد « الأمبراطور أغسطس » . وعنوانه معانى الألفاظ ، ولا يزال موجزه باقياً للآن .

أما الأمة العربية فى جاهليتها وصدر الإسلام ، فلم تعرف هذا اللون من التأليف لعدم احتياجهم إليه . لأن العربية لغتهم ، التى توارثوها منذ

نعومة أظفارهم، فهى لسان المحادثة، والخطابة والشعر، فضلا عن كونهم أمة أمية لاعهد لها بالتدوين، ولا حاجة تمس إليه.

وإن احتاج أحد أبنائها الى تفهم معنى لفظ خفى معناه، لجأ الى مشافهة العرب، وكان ذلك كثير الحصول بعد بعثة الرسول، وفى عهد خلفائه الراشدين، نستبين ذلك من مروى الأقوال، قال ابن عباس (١) «الشعر ديوان العرب، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله، رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه».. وقال أيضاً: «إذا تعاجم شىء من القرآن؛ فانظروا فى الشعر، فإن الشعر عربى».

وقد وقع كثير من ذلك فى تلك الحقبة، اذ كان عمر بن الخطاب يخطب مرة فخفى عليه معنى الأب فى قوله تعالى: «وفاكهة وأباً» فسأل عنها وهو على المنبر. وكذلك حدث لابن عباس أن استفسر عن معنى فاطر فى قوله جل ثناؤه «الحمد لله فاطر السموات والأرض».

وتلك الاستفسارات تنبئنا عن أن الفكرة المعجمية، قد وجدت فى أذهان العرب، إلا أنها لم تبرز فى حيز الوجود على هذا الوجه المتعارف لدينا.

وكذلك ماننقل إلينا من اهتمام العلماء بشرح غريب القرآن والحديث.

ظل الأمر كذلك إلى أن اتسعت رقعة البلاد الاسلامية، واختلط العرب بالأعاجم، وخيف من النمادى فى ذلك، فيستغلق كتاب الله على الأفهام، فانتجع البادية من يهمه أمر اللغة لجمعها والحفاظ عليها وكان ضمن هذه الطليعة، الخليل ابن أحمد، وخلف الأحمر، ويونس بن حبيب الضبى، والأصمعى، وأبو زيد الأنصارى، ليأخذوا اللغة من منابعها الصافية، ويتناولوها من الرجال

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٠ ص ١٢٩.

الموثوق بفطرهم : كالخثعمى ، وأبو خيرة العدوى ، وأبى الدقيش ، وإن المتتبع لأخبارهم تبدوا له غيرة هؤلاء العلماء على اللغة ، وتشددهم فى منعهم استعمال كلمات فصيحة ظنوا أنها ملحونة أوغير فصيحة فأنكروا استعمالها ، لأنهم لم يطلعوا على مصادقها من كلام العرب .

ومما يروى فى ذلك : أن الأصمعى (١) خطأ من قال : شتان ما بينهما . . وذكر أن الصحيح . . شتان ما هما . قال أبو حاتم : أنشد الأصمعى قول ربيعة الرقى :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

فقال الأصمعى : ليس بفصيح . وقال الأزهرى فى التهذيب ، والجوهرى فى الصحاح فى مادة « شتت » ، ليس قول ربيعة بحجة ، إنما هو مولد ، والحجة قول الأعشى :

شتان ما يومى على كورها ويوم حيان أخى جابر

ولكن هذا المنع للاستعمال الأول غير صحيح ، لورود نظائره فى فصيح الكلام . ولكن غيرتهم على اللغة ، وإخلاصهم لها ، جعلهم يتشددون فى قبول الوارد ، ولكنهم لو اطلعوا على المسموع لأجازوه كقول البعيث :

وشتان ما بينى وبين رعاتها إذا صر صر العصفور فى الرطب الثعد

وإذا رجعنا إلى تهذيب اللغة للأزهرى (٢) نرى فى مقدمته مايلى :

« ولو أنى أودعت كتابى هذا . ما حوته دفاترى ، وقرأته من كتب غيرى ووجدته فى الصحف التى كتبها الوراقون ، وأفسدها المصحفون لطال كتابى ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها ولقليل لايخزى صاحبه خير من كثير يفضحه ، ولم أدع كتابى هذا إلا ماصح لى سماعا منهم ، أو رواية عن ثقة ،

---

(١) تهذيب الصحاح جـ ١ ص ١٩٢ .

(٢) رقم ٩ لغة فى قسم المخطوطات بدار الكتب .

أوحكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتى ، اللهم إلا حروفاً وجدتها لابن دريد، وابن المظفر فى كتابيهما ، فبينت شكى فيها ،وارتيابى بها .»

هذه الأمثلة تبرز لنا عناية السلف بأمر هذه اللغة ، وعكوفهم على جمعها بشتى الوسائل ، التى تبررها خالية من الشوائب ، إلا أن تسجيل هذا الجمع قد سلك طرائق مختلفة :

ا — فقد بدأ أولا بتأليف رسائل خاصة فى الألفاظ أو المعانى، وهذه أسبق المراحل اللغوية ، وقد اتبعها كثير من الثقاة ، نذكر منهم : الأصمعى فى أسماء الوحوش والغابات والشجر ، وأبا حنيفة الدينورى فى الأنواء والنبات .

ب — ثم اتجه العلماء إلى إيراد الألفاظ الموضوعة لمختلف المعانى، وهذه يرجع إليها من يعرف المعانى ، ويرغب فى الوقوف على الألفاظ الموضوعة لها .

ومن أبرز ما ألف من كتب على هذه الطريقة : « الألفاظ لابن السكيت » المتوفى سنة ٢٤٤ هـ . و « الألفاظ الكتابية » للهمذانى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، و « مبادىء اللغة» للاسكافى المتوفى سنة ٤٢١ هـ . و « فقه اللغة للثعالبى » المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . و « المخصص لابن سيده » المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، وهو يعد أجمع الكتب لمسائل هذا الفن .

ثم اتجه العلماء إلى إخراج مؤلفات تجمع الألفاظ بطريقة حاصرة ، وتشرحها شرحاً دقيقاً، مؤيدا بما يدعم وجهتهم من القرآن والحديث وفصيح الشعر ، وهذا اللون من التأليف والمعروف باسم المعجم ، ولا يعرف على وجه التحديد متى أطلق هذا اللفظ ومتى شاع ، وإن كان استعمل قبل ذلك فى الكتب الجامعة . ويقال : إنه أطلق أولا على « معجم الصحابة » لأبى يعلى وتبعه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى فى كتابيه اللذين ألفهما فى أسماء الصحابة ، وأطلق على أحدهما « المعجم الكبير » ، وعلى الآخر « المعجم الصغير » .

ثم شاع إطلاق هذا اللفظ على الكتب الجامعة من حديث، وادب، وتاريخ ،

وغيرها « كمعجم الأدباء » والبلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموى ، إلا أن العرف يكاد يخصص هذا اللفظ بكتب اللغة الجامعة : « كالعين » للخليل ، و « البارع » للقالى ، و « التهذيب » للأزهرى .

وقد استعمل لفظ القاموس رديفاً للفظ المعجم ، ومعناه البحر ، كما فى القاموس المحيط ، وقد تتابعت الكتب التى ألفت فى اللغة وكان القصد منها حصر ألفاظها على نمط منظم ، إلى أن ألف آخرها « المعجم الوسيط » الذى قام به مجمع اللغة العربية

وهذه الكتب لم تسر على نظام واحد فى ترتيب ألفاظ اللغة ، ويرى المتتبع أنها ذات نظم متباينة ، حصرت فى ثلاث مدارس ، نجملها فيما يلى ، ونذكر من سار وفق كل مدرسة :

أولا : مدرسة التقليبات :

وهذه المدرسة الأولى ، والدعامة السابقة فى تأليف معاجم اللغة ، ويقصد منها جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة تحت نطاق واحد ، فمثلا الكلمات المكونة من الراء ، والكاف ، والباء يبحث عنها فى باب واحد مهما اختلف ترتيبها : فركب ، وربك ، وكرب ، وكبر ، وبرك ، وبكر ، يبحث عنها فى باب واحد ، إلا أن أصحاب هذه الطريقة قد اختلفوا فى طريق البحث عن الألفاظ إلى طريقتين :

(ا) التقليبات الصوتية :

وهى التى تجمع الكلمات المتحدة الحروف ، وتجعلها فى نطاق واحد ، مع ملاحظة الناحية الصوتية ، وهى وضعها تحت أبعد الحروف مخرجاً ، فيبدأ بالحلقى ثم باللسانى ، ثم بالشفوى ، ففى الكلمات المكونة من الراء ، ومخرجها طرف اللسان مع أصول الثنيتين العليين ، والباء وهى من بين الشفتين ، والكاف ، وهى من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى بعد مخرج

القاف ، نجد أن أقواها مخرجاً هو الكاف ، ولذلك يبحث عن هذه الكلمات في باب الكاف تحت مادة كرب أو كبر ، وأول من استن هذه الطريقة الخليل ابن أحمد في كتابه « العين » وتبعه من علماء المشارقة الأزهري في كتابه « التهذيب » والزبيدي في كتابه « مختصر العين » . ومن علماء الغرب أبو علي القالي في كتابه « البارع » ، وابن سيده في كتابه « المحكم » .

(ب) التقليبات الهجائية :

وهي التي تجمع الكلمات على النسق السابق ، مع ملاحظة وضعها تحت أول الحروف ترتيبا : ففي الكلمات السابقة ، وهي المكونة من الراء والكاف ، والباء ، نجد أن أول الحروف ترتيباً هو الباء ، ويذكر بعدها هذه الكلمات المكونة من هذه الحروف في تلك المادة ، وقد اتبع هذه الطريقة ابن دريد في « الجمهرة » .

ثانيا : مدرسة القافية :

والقافية : هي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وهذا تجوز في الاستعمال ويبدو أن انتشار الشعر ، وغلبة السجع ، في هذا العصر كانت موجهة لاتباع هذه الطريقة ، وهي النظر إلى الحرف الأخير من الكلمة وجعله بابا ، والحرف الأول وجعله فصلا ، فيجعل لكل باب ثمانية وعشرون فصلا هي باقي حروف الهجاء. فمثلا: الباء يجعل فصولها من الألف إلى الياء ، فركب يبحث عنها في باب الباء فصل الراء. وقد اتبع هذه الطريقة جمهرة كبيرة من اللغويين كالجوهري في « صحاحه » والفيروز بادي في « قاموسه » وابن منظور في « لسانه » .

ثالثا : مدرسة الأبجدية العادية :

ويقصد منها الكلمات المركبة من حروف واحدة على النسق السابق ،

ملحوظا فى ترتيبها ؛ وفى نظام البحث عنها فى المعاجم .. الترتيب الموجود فى الكلمة فعلا ، فينظر إلى الحرف الأول والثانى وما يكون معهما كلمة ثلاثية .

وهذه طريقة رأى كبير من اللغويين سهولتها على الباحث فاتبعها فى معجمه ، ولا زال نظامها متبعا للآن .

وممن أخذ بتلك الوجهة أحمد بن فارس فى كتابه « مقاييس اللغة » . والزمخشرى فى « أساس البلاغة » والفيومى فى « المصباح المنير » و « مختار الصحاح التى قامت به وزارة المعارف ، والأب لويس المعلوف فى «المنجد» والشرتونى وغيرهم ، ممن أولعوا بجمع اللغة ، والعناية بأمرها .

المدرسة الأولى

(ا) مدرسة التقليبات الصوتية

سبق لنا القول أن عماد هذه الطريقة ، ورأس تلك المدرسة ، وصاحب التفكير فى أول معجم هو الخليل بن أحمد فى كتابه « العين » .

مؤلفه :

اختلفت أنظار الباحثين فى هذا المعجم عمن ألفه ، ولعل ذلك راجع إلى عدم تداوله ، وقد اضطربت فيه أقوال جهابذة العلماء اضطراباً شديداً : فمن قائل : إنه للخليل بن أحمد ، أو لليث بن المظفر ، أو لكليهما على خلاف فى تفسير الاشتراك على ما سيذكر بعد . وإن كان الرأى الراجح متجها إلى تأكيد نسبته للخليل بناء على قوة الدليل الذى أكد تلك الناحية . ولذلك فإننا سنسير على هذا الرأى بناء على الأدلة التى سيأتى ذكرها وسنبدأ بذكر كلمة موجزة عن الخليل .

نسبته :

هو أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد ، اليحمدى ، الأزدى ، الفراهيدى ، أو الفرهودى ، كما تمسك يونس بن حبيب بذلك .

مولده ونشأته :

ولد بقرية عمان على الخليج الفارسى ، وذلك سنة ١٠٠ هـ . ونقل إلى البصرة فنشأ بين أحضانها ، وتلقى علومه بها ، وتصدر للتدريس بمجالسها ؛ ولذلك عرف بين الناس بالبصرى ، وظل مقيما بالبصرة إلى أن وافته منيته سنة ١٧٠ هـ أو سنة ١٧٥هـ على أرجح الأقوال .

أخلاقه :

يروى الثقاة عن الخليل : أنه كان سمح النفس ، لين العريكة ، جوادا بماله ، وبمعارفه المبتكرة ، ولم يكن ميسور الحال ، مع قناعته ، وعفته ، ورضاه بعيشته المتواضعة ، يبدو لنا ذلك من رفضه أن يكون مؤدبا لابن سليمان ابن على والى الأهواز ، وقد أخرج لرسوله خبزاً يابساً ، وقال له: ما دمت أجد هذا ، فلا حاجة بى إلى سليمان ، فقال الرسول : فما أبلغه عنك ؟ فقال :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة ... وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحاً بنفسى أنى لا أرى أحداً ... يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

ويؤكد قناعته ما رواه السيوطى فى « بغية الوعاة » مرويا عن أخلص تلاميذه ، وهو النضر بن شميل ، أقام الخليل بالبصرة لا يقدر على فلسين ، وتلامذته يكسبون الأموال بعلمه ، ويروى أنه كان يحج سنة ، ويغزو سنة .

أساتذته:

لقد تلقى علومه بالبصرة ، وتتلمذ لأبى عمرو بن العلاء ، وروى عن أيوب ، وعاصم الأحول وغيرهما .

تلامذته :

وظل الخليل يتنقل بين أفنان العلم « إلى أن برز نجمه ، وسطع اسمه فى سماء العربية ، فوفد عليه الطلاب من كل صوب . ومن أبرز تلامذته الأصمعى ، وسيبويه ، والنضر بن شميل ، وأبو زيد مؤرج السدوسى . وعلى بن نصر الجهضمى وغيرهم .

منزلته العلمية :

يعد الخليل نادرة عصره ذكاء وفطنة . وقد قال عنه السيرافى : كان الغاية فى تصحيح القياس ، واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وقد برز الخليل فى كل ناحية ، يقف عند العلوم اللسانية من نحو ولغة ، بل إنه تفوق فى العلوم الشرعية والرياضية . وكان بارعاً فى الموسيقى والنغم ، وإن اختراعه لعلم العروض الذى أيقن الجميع على أنه من اختراعه لينبئنا عن ذوق الخليل ودقته ، وتوقد ذكائه وفطنته . ويروى المؤرخون أن اختراعه لعلم العروض قد هدى إليه عند مروره بحداد ، فاستهواه الدق المنتظم للمطرقة . فكان لإيقاعها المنتظم أثر كبير فى نفسه . فأخذ منها تفعيلات العروض التى عدت مقياس الشعر . وقد كان هذا الفن غريبا على أهل عصره .

ويروى أن لغوياً قد رحل إليه ليأخذ عنه هذا الفن الجديد ، فلم يجد الخليل عنده الاستعداد الكافى لتقبله . فأراد صرفه بإشارة لطيفة تنم عن ذوقه . فطلب منه تقطيع هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن الرجل إلى ما يريد وترك هذا الفن وانصرف لحاله .

ويروى أن ابنه دخل عليه وهو يقطع بيتا من الشعر . فخرج إلى الناس وهو يقول : إن أبى قد جن . فدخل الناس عليه وهو يقطع البيت فأخبروه بمقالة ابنه فخاطبه بقوله :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت تعلم ما تقول عذرتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقد كان الخليل بارعا فى الرياضة ، وقد فكر فى ابتكار طريقة تيسر للجارية معاملة البقال حتى لا يخدعها . ويقال : إنه دخل المسجد وهو يفكر

فى هذه الطريقة . ومن فرط اهتمامه لم ير ما أمامه . فضرب رأسه فى سارية المسجد ضربة قضت على حياته .

وإن هذه العقلية الفذة قد لاقت أعظم تقدير من العلماء : فهذا ابن المقفع يقول : لقد لقيت فيه رجلا عقله أكبر من علمه . وذاك خلف بن المثنى يخبرنا : بأن البصرة قد اجتمع فيها فى وقت واحد عشرة من أكابر العلماء أولهم الخليل بن أحمد . . ومدحه حمزة بن حسن الأصبهانى : أنه لم يكن للمسلمين أذكى عقلا من الخليل . . وقد أعجب به المستشرق براونلنش ومن فرط إعجابه بنظريات الخليل صرح بأن نظام العين ليس غريباً أن يكون للخليل ، بل الغريب ألا يكون منسوباً إليه .

مؤلفاته :

لقد ألف الخليل كتباً جليلة القدر فى جميع النواحى التى ألف فيها . ولو أن الزمان جاد بها . ووصلت أيدينا لنالت التقدير والإكبار . إلا أن يد الزمن أتت عليها وعين الحاقدين لم تترك سبيلا لتقدير الناس لهذه العبقرية الفذة وقد ذكرت له التراجم بعض المؤلفات التى نجملها فيما يلى :

١ ـ كتاب الإيقاع والنغم
٢ ـ كتاب النقط والشكل
٣ ـ كتاب العروض
٤ ـ كتاب الشواهد
٥ ـ كتاب الجمل
٦ ـ كتاب معانى الحروف

٧ ـ كتاب العين : الذى دل على عبقرية الخليل الفذة . فقد جمع اللغة بطريقة حاصرة ، هداه إليها اشتغاله بالموسيقى ، وبراعته فى النغم ، وهو أول سابق فى هذا المضمار .

أولع الخليل بدراسة اللغة ، وفكر فى جمع ألفاظها بطريقة ميسرة ، بحيث لا يشذ عن طريقته لفظ من ألفاظها، متناولا شرح هذه الألفاظ شرحا يزيل غامضها، مؤيداً هذا الشرح بالوارد فى كتاب الله ، وأحاديث رسوله ، وبالموثوق به من أشعار العرب غير مقتصر على الشاهد الواحد ، بل إنه يذكر أكثر من بيت للتدليل على صحة تفسيره ، ويبدو ذلك جلياً لمن يرجع إلى الكتاب ويوجد جزء منه مطبوع .(١)

منهجه :

عرفنا أن هدف الخليل استقصاء ألفاظ اللغة، ولم يكن بين يديه طريقة توصله إلى ذلك، لأن الكتابة فى اللغة كانت عبارة عن كتب خاصة فى أصناف معينة : ككتاب الخيل والنبات ، والسير على هذه الطريقة لا توصل إلى جمع ألفاظ اللغة بطريقة استقصائية، فمكر فى استعمال الأبجدية، إلا أنه أوضح فى مقدمة العين أن ذلك لم يتيسر له، ذلك لأن الألف لا استقرار لها ، فلم يبدأ بها ، فلما لم يتمكن من البدء بالحرف الأول وهو الألف، كره البدء بالحرف الثانى وهو الباء ، ولذلك اتجه ذهنه إلى جمع الألفاظ حسب مخارج الحروف وتبين له أن هذه طريقة موصلة لغرضه ، ويبدو ان تفوقه فى الموسيقى والنغم كان هاديا له لسلوك هذا السبيل .

والمتتبع للعين يرى انه قد اتبع الخطوات الاتيـــة : —

أولا : جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها ، فبدأ بالحلقية ، ثم باللسانية، ثم بالشفوية ، ثم بالجوفية . وكانت على هذا الترتيب : ع ، ح ، ه ، غ ، خ، ق، ك ، ج ، ش ، ض، ص، س، ز ، ط ، ت ، د ، ظ ، ث ، ذ ، ر ، ل ، ف ، ب ، م ، و، ى ، ا . وسمى كل حرف من تلك الحروف كتاباً ، وبدأ بكتاب العين وجعلها عنوان الكتاب .

ثانياً : راعى الحروف الأصلية عند جمع الكلمات ، ولذلك جرد الزائد

(١) راجعه بدار الكتب تحت رقم ٤٩٦ — ٤٩٧ لغة .

وأخضعه لأصل البناء ففي استغفر يحذف الألف والسين والتاء ، ويضع الكلمة في باب الغين .

ثالثاً : راعى في الترتيب مقدار حروف الكلمة : فبدأ بالثنائي ، وأبان أنه ما كون من حرفين ، ولو مع تكرار أحدهما ، ثم ذكر أن هذا يغلب في الأدوات ؛ كلا ، وقد ، وهل ، والتكرار مثل صر ، صرصر ، فاعتبر كل ذلك من باب الثنائي ثم أردفه :

بالثلاثي الصحيح : وهو ما كون من ثلاثة أحرف صحيحة كخرج ، وشرب ، ونهر ، وجمل .

ثم بالثلاثي المعتل : وهو ما كان على ثلاثة أحرف أصلية ، أحدها حرف علة أولا كوعد وهو المثال ، أو وسطاً كعور ، وهو الأجوف ، أو أخراً كرضي وهو الناقص .

ثم باللفيف : وهو ما اجتمع فيه حرفا علة مع الاتصال كهوى ، وغوى وهو اللفيف المقرون لاتصال حرفي العلة فيه . أو مع فاصل كوهى ووعى وهو اللفيف المفروق .

ثم بالرباعي : وهو ما كان على أربعة أحرف كدحرج .

ثم بالخماسي وهو ما كان على : خمسة أحرف كسفرجل .

ثم أنهى كل بحث بالمعتل . وأدخل الهمزة في حروف العلة ، لأنها تصير في التخفيف إلى أحدها ، كبير في بئر ولوم في لؤم ، وفار في فأر .

رابعاً : جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة تحت نطاق واحد ، وأشار إلى المهمل ، مفصحاً عن سر إهماله وهو إما عدم استعمال العرب له ، أو لأن القوانين الصوتية تأباه ، كما قال في باب العين والحاء ، لأنه لا تأتلف منهما كلمة مستعملة لتقارب مخرجيهما إلا في باب النحت .

وقد عرفت هذه الطريقة بطريقة التقليبات ، فالكلمات المكونة من الراء ، والباء ، والكاف ، وهى كبر ، وكرب ، وبرك ، وبكر ، وربك ، وركب يبحث عنها فى باب الكاف لأنها أدخل حروف هذه الكلمات مخرجا .

تلك هى المبادىء التى سار عليه الخليل فى كتابه كما يبدو ذلك من الرجوع إلى الجزء المطبوع ببغداد ، لتيسر الرجوع إليه . وقد بدأه بمقدمة طويلة ، أوضح فيها الطريقة التى اتبعها ، ثم ذكر مخارج الحروف ، وعرض لبعض النواحى الصوتية التى تراعى فى تأليف الكلمات ، فأوضح أن اتحاد مخارج الحروف ، أو تقاربها قد يكون سببا فى إهمال بعض الكلمات ، ويبدو لنا ذلك عند عرضه لباب العين كما سبق ، ثم ذكر أن الكلمات الرباعية والخماسية لابد وأن تشتمل على حرف ذلاقى . وهى حروف « ل ن ر ف ب م » وقد جمعها بعض المتأخرين فى هذا الضابط « مربنفل » وبين سبب التسمية ، وهو أن ثلاثة من ذلق اللسان وهو طرفه ، وهى الراء واللام والنون ، وثلاثة من الشفة وهى الفاء ، والباء ، والميم . ثم ذكر أن الكلمة الخالية من أحد هذه الحروف أعجمية إلا ما نص عليه كالعسجد للذهب ، والزهزقة لشدة الضحك ، والدهدقة للكسر .

ثم بدأ فى ذكر المواد حسب النظام الذى أشرنا إليه آنفا ، من بدئه بالثنائى حسب تفسيره له ، وبالثلاثى وهكذا .

وإنه ليبدو لنا أن شرحه اللغظ بيده بالفصيح من الكلام ، كالقرآن ، والحديث ، وفصيح الشعر ولا يكتفى بإيراد الشاهد الواحد ، ولا يهتم بنسبة الأبيات إلى أصحابها ، بل كثيراً ما يقول : وقال الشاعر ويستبين ذلك من عرض أمثلة تجلو هذه الحقائق .

وإن هذه الطريقة لاشك أنها من ابتكار الخليل وابتداعه ، وليس ذلك عجيبا منه أو غريبا عليه لأن جميع الباحثين اعترفوا ببراعته وتفوقه فى الرياضة والنغم والموسيقى : وقد مر بنا أن المستشرق « براونلتش » صرح

بأن نظام العين ليس غريبا أن يكون للخليل ، بل الغريب ألا ينسب إليه . ومع ذلك فقد حاول بعض ذوى الأغراض إنكار هذا الابتكار ، وإثبات نقله عن اليونان مستنداً إلى ما ورد فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء من أن الخليل كان أستاذ الحنين بن إسحق إلا أن وفاة الخليل سنة ١٧٥هـ ومولد حنين سنة ١٩٤ هـ خير دليل على دحض هذه الفرية .

ويتجه آخرون إلى أن الخليل نقل هذه الطريقة عن الهند لأن الترتيب فى اللغة السنسكريتية سار وفق المخارج . ويعزز وجهته بتوثيق الصلة بين الجزيرة والهند من قديم .

وقد كان منهم عدد كبير فى الخليج الفارسى ، وأن المحاسبين لتجـــار العراق فى البصرة وبغداد كانوا من السند ، وأنهم على درجة كبيرة من الثقافة ، وعلى صلة وثيقة بعلوم العرب .

ولكن الثابت بالدليل الأكيد أن الخليل لا يعرف تلك اللغة ، فضلا عن أن الهند لم يكن لها فى ذلك الوقت معجم معروف ، وأن الترتيب للحروف ليس متفقا تمام الاتفاق بين اللغتين .

فتلك الردود على هذه الأدلة خير هاد لدحض وجهة القائلين بنقل الخليل لهذا النظام ، وتؤكد لنا ابتكار الخليل له لأنه فذ فى أفكاره بارع فى عقله .

الآراء فى مؤلف العين :

لقد اضطربت الآراء واختلفت وجهات الباحثين فى مؤلف كتاب العين ونحن نورد آراءهم فيما يلى :

الرأى الأول : لا صلة للخليل بكتاب العين : وإنما هو لليث بن المظفر ونسبه للخليل لينفق سوقه وقد ذكروا أدلة لتدعيم وجهتهم . ونظراً لأن الكثير من هذه الأدلة يشترك فيها المنكرون نسبته للخليل على أية صورة .

ولذلك سأرجىء تلك الأدلة إلى أن أنهى الكلام على هذه الآراء ، وأعقبها بالرد عليها ولكنى سأذكر هنا أقوال العلماء الذين أخذ عنهم هذا الرأى تمهيداً لذكر الأدلة .

رأى النضر بن شميل :

سئل النضر بن شميل عن تأليف الخليل للعين فأنكره ، فقيل : لعله ألفه بعدك ؟ فقال : أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل بن أحمد ؟ (١)

رأى أبى على القالى :

روى السيوطى فى مزهره أن أبا على القالى روى : لما ورد كتاب العين من بلد خراسان فى زمن أبى حاتم ، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الانكار » .

رأى ابن النديم :

وقال ابن النديم فى الفهرست : لم يرو هذا الكتاب عن الخليل بن أحمد ، ولا روى شيء فى الأخبار أنه حمل هذا الكتاب .

رأى ابن فارس :

وقال ابن فارس فى كتابه الصاحبى : فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما فى خاتمته من قوله : هذا آخر كلام العرب ، فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك .

الرى الثانى : الفكرة للخليل والتنفيذ لليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، وممن قال به ابن جنى (٢) :

---

(١) معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٢٧ . (٢) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٤٠

قال ابن جنى : أما كتاب العين ففيه من التخليط والفساد ما لايجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل، فضلا عن نفسه ولامحالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره ، فإن كان للخليل فيه عمل ، فلعله أومأ إلى هذا الكتاب إيماء ولم يله بنفسه ، ولا قدره ولا حرره . و يدل على أنه كان نحا نحوه ، أننى أجد فيه معانى غامضة ، و نزوات للفكر لطيفة و صنعة فى بعض الأحوال مستحكمة ، و ذكرت به يوما أبا على ، فرأيته منكراً له فقلت له : إن تصنيفه منساق متوجه ، وليس فيه التعسف الذى فى كتاب الجمهرة ، فقال : الآن إذا صنف إنسان لغة بالتركية تصنيفاً جيداً يؤخذ به فى العربية ، أوكلاما نحو هذا . . »

الرأى الثالث : الخليل بدأ فى عمل كتاب العين وأتمه الليث:

وقد قال بهذا الرأى كثير منهم أبو الطيب اللغوى ، وأبو سعيد السيرافى ، وأبو بكر الزبيدى ، وأبو منصور الأزهرى فى مقدمة التهذيب ، ويستطيع من يرجع إلى هذه المقدمة فى الكتاب رقم ٩ لغة بقسم المخطوطات ، وأن يتبين ذلك منها من النص الآتى : « وإذ قد فرغنا من ذكر الأثبات ، والثقاة من اللغويين فلنذكر بعقب ذلك أقواما اتسموا بسمة المعرفة ، أودعوا كتبهم الصحيح و السقيم ، وحشوها بالمزال ، والمصحف المغير الذى لايتميز ما يصح منه مما لا يصح إلا عند الثقة المبرز و العالم الفطن ، و لنحفظ اعتماد ما دونوه والاستبانة إلى ما ألفوه . فمن المتقدمين الليث بن المظفر ، الذى نحل الخليل ابن احمد تأليف كتاب العين ، لينفق باسمه ، ويرغب فيه من حوله » .

و روى عن إسحاق بن ابراهيم الحنظلى الفقيه أنه قال :

كان الليث بن المظفر رجلا صالحا . و مات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، فأحب الليث أن ينفق كتابه كله فسمى لسانه الخليل . فإذا رأيت فى الكتاب : سألت الخليل بن أحمد او أخبرنى الخليل بن أحمد ، فإنه يعنى نفسه ، وإذا قال الخليل ، فإنما يعنى لسان نفسه .

وقال السيرافى : عمل الخليل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به نهيأ ضبط اللغة .

الرأى الرابع : الكتاب للخليل ولكنه أحرق وأعيد تأليفه :

وقد قال بهذا الرأى الخليفة الشاعر ابن المعتز ، وشرح وجهته بفكره خيالية تساير تفكير الشعراء وأخيلتهم ، فقد قال : لما ألف الخليل بن أحمد كتاب العين توجه إلى خراسان ، فنزل ضيفاً على الليث فأكرم وفادته ، مما جعل الخليل يفكر فى تقديم مكافأة تتناسب وهذا الاكرام ، فلم يجد عنده أجل من الكتاب الذى أفرغ فيه جهده وهو العين ، وقد عكف الليث على قراءته ليلا ونهاراً حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب .

ثم ذكر أن الليث قد طاب له أن يشترى جارية حسناء ، فأحفظ ذلك قلب زوجته وأكلته الغيرة ، وارادت أن تكيد له ، فلم تجد أعز لديه من هذا الكتاب فأحرقته ، ولما طلبه لم يجد له أثرا مع شدة البحث عنه ، فاضطر أن يصانع زوجته ، ووعدها بهجر تلك الجارية ! فلما استوثقت من كلامه أحضرت له رمادا وقالت : خذ الكتاب ، فحزن حزناً شديدا ، وأملى ماحفظه على النساخ ، وأحضر اللغويين ليتموا باقيه على نمط الأصل ، إلا أن هذا كلام يشبه الروايات ويقترب من الخيال ! ويبتعد عن ظل الحقيقة ، إذ ليس له سند من يقين ، أو دليل لغوى متين .

الرأى الخامس : ترتيب أصول الكتاب للخليل ، والنص لغيره :

وقد قال بهذا الرأى ثعلب ، وأبو بكر الزبيدى ، وأيد وجهتهم المستشرق اهلورات .

فقد روى أبو الطيب اللغوى فى كتابه مراتب النحويين عن ثعلب : « إنما وقع الغلط فى كتاب العين ؛ لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو كان هو

حشاه ، مابقى فيه شيء، لأن الخليل رجل لم ير مثله . وقد حشا الكتاب قوم علماء ، إلا أنه لم يؤخذ عنهم رواية ، وإنما وجد بنقل الوراقين فلذلك اختل الكتاب » .

وقد فسر أبو الطيب اللغوى ذلك فقال : « أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف ، فى كتابه المسمى كتاب « العين » فإنه هو الذى رتب أبوابه ، وتوفى قبل أن يحشوه » .

وذكر الزبيدى فى مقدمة مختصر العين : « أن الخليل وضع ترتيب الكتاب ونظم أبوابه ، ثم حشاه من بعده قوم غير أثبات » .

ثم روى السيوطى عنه فى المزهر : « وأكثر الظن فيه أن الخليل سبب أصله ، وثقف كلام العرب ، ثم هلك قبل إكماله ، فتعاطى إتمامه من لايقوم فى ذلك مقامه » .

وأما إهلورات : فذكر الدكتور عبد الله درويش فى كتابه المعاجم : أن حكمه قد بناه على اطلاعه على مخطوطتين ، تبحثان عن الألفاظ العربية! وتسيران وفق نظام التقليبات ، فاستنتج من تلقاء نفسه أن هذا كتاب العين ، وأثبت أنه ليس للخليل لاحتوائه على رواة متأخرين ككراع والزجاج . ويبحث هاتين القطعتين تبين أنهما من المحكم لابن سيده .

تلك هى آراء القائلين بنفى النسبة إلى الخليل على شتى صورها.

وقد أخرنا ذكر الأدلة لأنها جميعاً تدور حولها . وسنذكرها بعد عرضنا لآراء العلماء التى تتلخص فيما يلى :

١ — خلو الكتاب من الاسناد .

١ — جهل تلامذته بعد موته كما أشار إلى ذلك النضر بن شميل .

٣ — عدم انتفاع اللغويين المعاصرين به ، أو إشاراتهم إليه فى أبحاثهم وفى كتبهم .

٤ — اشتماله على رواة معاصرين كالأصمعي ، وأبي الدقيش ، وعلى رواة متأخرين مثل كراع ، والزجاج .

٥ — احتواؤه على تصحيفات وتحريفات لاتليق بأقل أتباع الخليل ، فضلا عن هذا العبقري الفذ .

٦ — مسايرة القواعد الواردة فيه لمذهب الكوفيين، ومخالفتها لمذهب البصريين الذي هو رأسها وعمادها .

تلك هي الأدلة التي عزز بها النافون نسبة الكتاب إلى الخليل ووجهتهم، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد عدم صحتها وذلك لما يأتي . —

أولا : إن ادعاء خلو الكتاب من الاسناد منقوض بالوارد ، فقد روى الكتاب من طريقين :

ا — ما ذكره ابن فارس في كتابه المقاييس (١) إذ قال : أما كتاب العين للخليل بن أحمد ، فقد حدثني به علي بن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن ابراهيم المعداني عن أبيه ابراهيم بن إسحاق، عن بندار بن لزة الأصفهاني، ومعروف بن حسان، عن الليث ، عن الخليل .

ب — ماذكره السيوطي (٢) بعد النقاش الطويل حول كتاب العين إذ قال: فائدة روى أبو علي الغساني كتاب العين عن الحافظ أبي عمرو بن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان، عن القاضي بن سعيد ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن مهدي، عن أبي معاذ عبد الجبار ابن يزيد ، عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، عن الخليل .

ثانياً : أما الدليل الثاني : وهو جهل تلاميذته به كما روى عن النضر بن شميل وعن أبي علي القالي فغير سديد ، لأن كتب الطبقات كبغية الوعاة للسيوطي

---

(١) المقاييس ج ١ ص ٢ ، (٢) المزهر ج ١ ص ٤٦ .

وفى نزهة الألباء ذكرت أن النضر أقام بالبادية أربعين سنة ثم رحل عنها إلى خراسان لضيق المعيشة ، وأقام بمرو واتصل بالمأمون ، فهذه الرواية تثبت غيبته الطويلة عن البصرة ، والتى يمكن أن يؤلف فيها الخليل هذا الكتاب وغيره ، وفضلا عن ذلك فإن كتب الطبقات ذكرت أن للنضر كتاباً يسمى « المدخل إلى كتاب العين » ومكمل للعين نفسه .

كما أن نسبة الإنكار إلى القالى مبنى على شائعات تداولت إلا أن القالى يعترف صراحة فى كتابه البارع بأن الكتاب للخليل لما يلى :

ا — عند رحيله إلى الأندلس واتصاله بالخليفة « الحكم الثانى » ألف له كتابه البارع ، الذى كان يزهى بأنه يزيد على العين فى صفحاته بما يقرب من ٤٠٠ ورقة ، وأنه يربو عليه فى كلماته بما يقرب من ٥٦٨٥ كلمة .

ب — ورد فى البارع اقتباسات من العين تحت عنوان: قال الخليل وهى متفقة تمام الاتفاق مع كتاب العين .

وهذا خير برهان على أن نسبة هذه الأقوال لأولئك العلماء غير سديدة، وفضلا عن ذلك فإن عدم معرفة أبى حاتم بسلسلة الكتاب ، وأنه لم ينتشر فى عهده، لا يؤدى إلى نفى النسبة للخليل ، إذ لا ارتباط بين هذه الأمور .

ثالثا : إن احتواء الكتاب على مسائل تتمشى ووجهة الكوفيين، ولا تسار مذهب البصريين الذى يعد الخليل إمامهم، فهذا لا ينفى النسبة للخليل أيضاً . لأن الظن يتجه إلى أن هذه الأمور قد دست فيه عمداً ، قصد تشويه حقائقه ، وإن الخلافات المستحرة بين أبناء المدرستين، وما حدث من نصرة أولى الأمر للمدرسة الكوفية فى مسائل خالفوا فيها المأثور من كلام العرب ،

كما حدث فى المسألة الزنبورية التى هزم فيها سيبويه زعيم المدرسة البصرية هزيمة نكراء ، حتى أنه مات غماً من سوء ما لحقه ، وما تلاها من مناظرات بين اليزيدى والكسائى وغيرهما ، مما فاضت به الكتب لخير برهان على صدق تلك النظرية وإن هذا التشويه على هذا الكتاب قد بدا أثره فى كتب المتأخرين التى أظهرت عدم الثقة فيه ، ونلمس ذلك فى كتاب الأشمونى فى الجزء الرابع عند ما عرض لباب الأبنية فقد قال : وتدر قر عبلانة لأنه زيد فيه حرفان ، ثم يقول : وقيل إنه لم يسمع إلا من كتاب العين فلا يلتفت إليه ، فهذه العبارة تدل على ما سبق إيضاحه ، ويعززه أن الصبان يعلق على تلك الكلمة فيقول عن العين: أى المحشو بالخطأ ، وهذه تهم تناقلها الجميع رواية دون الرجوع إلى الكتاب ، والاطلاع عليه للتأكد من هذه النواحى والتثبت منها .

وما وجد فى كلام ابن فارس لا يفيد نفى الكتاب ، وإنما يتشكك فى صدور هذه العبارة من الخليل ، لأننا نرى أنه ذكر فى كتابه المقاييس رواة هذا الكتاب « العين » .

وفضلا عما تقدم ذكره فإن هذه الأمور لا تمس نظام المعجم ولا دخل لها فيه .

رابعاً : أما احتواؤه على تصحيفات كثيرة ، وتحريفات لا تليق بمقام الخليل فهذا من عمل النساخ ، ولذلك لم يسلم من ذلك أى مخطوط ، ولكن عين الرضا سكتت عن المؤلفات الأخرى ، وأحدقت إلى كتاب العين ، وكما قلنا فيما سبق إن هذا الذى حدث لا دخل له بنظام المعجم ،

خامسا : ما وجد فيه من حكايات عن المتأخرين والمعاصرين كالكراع والزجاج ، فلا أثر لها أيضاً فى نفى نسبة الكتاب للخليل ، لأنه - كما قيل - ان هذه كانت تعليقات على هوامش الكتاب ، فأدخلها النساخ فى صميمه ، أو حدث ذلك من بعض أصحاب الهوى لتنقيص هذا المؤلف ، وتهجين صاحبه .

وما ذكره إهلورات من أنه وقع على مخطوطتين استبان له بعد فحصهما أن الكتاب ليس للخليل بناء على أدلة لاتخرج عما سبق ذكره ، إلا أن الدكتور عبد الله درويش فى كتابه « المعاجم » ذكر أن هاتين القطعتين من « المحكم لابن سيده » فكان جديراً بالباحث أن يتأنى فى حكمه قبل إعلانه ، لتكون نظرته سليمة ووجهته مبنية على أسس واقعية .

ومن استعراض ماتقدم يمكننا أن نخرج بنتيجة حاسمة وهى أن الكتاب للخليل بن أحمد وقد ارتضى هـــذه الوجهة كثيرون من أصحاب العقول الراجحة .

وقد ذكر السيوطى فى المزهر أن المبرد كان يرفع منى قدره . ويشيد بفضله وعلمه ، وأن من رواته ابن درستويه ، ومع ذلك فقد روى أن لابن درستويه كتاباً فى الرد على المفضل بن سلمة فيما نسب إليه من خلل ، وذكر أن أبا إسحاق الزجاجى ، لاتوجد له حكاية فى اللغة إلا من كتاب العين.

وهذا ابن دريد فى كتابه «الجمهرة» يقول(١): ولم أجد فى إنشاء هذا الكتاب إلا الازدراء بعلمائنا ، وإلا الطعن فى أسلافنا ، وأنى يكون ذلك؟ وإنما على مثالهم نحتذى ، وبسبيلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبتنى ، وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته . . . وفضلا عن ذلك فإن كتابه يحوى كثيراً من النقول عن الخليل فى كتاب العين .

وإن تركنا ابن دريد جانباً ، واتجهنا إلى أحمد بن فارس فنجد أنه يعلن صراحة فى مقدمة «المقاييس» بأن العين للخليل بن أحمد ، وقد عرض لذكر مراجع كتابه « أعلاها وأشرفها كتاب العين للخليل بن أحمد» وهذا فضلا عما يوجد فى تضاعيف الكتاب من نقول عن الخليل من العين .

---

(١) جـ ١ ص ٣ .

وقد أيمن المستشرق «براونلتش» ،وقد سبق أن ذكرنا عبارته المأثورة : « ليس غريبا أن ينسب العين للخليل ، وإنما الغريب ألا ينسب إليه » .

ومن ذلك نتأكد من النتيجة التى سقناها ، وهى أن الكتاب للخليل ، وإن الانحراف عن ذلك بعد تكشف الصبح لذى عينين إنما يكون عن الهوى الجامح و العبث الذى ليس بعده عبث

أمثلة من كتاب العين :

يجدر بنا أن نورد بعض الأمثلة التى تؤكد ما سقناه ، و تؤيدما أوردناه من نهجه و نسيته فمن ذلك :

١ — باب العين و الجيم و الراء معهما : رجع ، رعج ،عجر ، عرج ، جعر ، جرع وذلك نقلا عن الجزء المطبوع ببغداد سنة ١٩١٣ والذى قام بطبعه العالم الجليل الأب انستاس الكرملى .

« رجع »

رجعت رجوعا، ورجعته ، يستوى فيه اللازم والمجاوز ، و لرجعة : المرة الواحدة . والترجيع : تقارب ضروب الحركات فى الصوت هو يرجع فى قراءته ، وهى قراءة أصحاب الألحان . و القينة والمغنية ترجعان فى غنائهما و ترجيع الوشى ، والنقش ،والوشم ، و الكتابة : خطوطها و لمرجع الخطو وترجيع الدابة يديها فى السير : رجعها. قال أبو ذؤيب الهذلى :

يعدو به نهش المشاش كأنه صدع سليم رجعه لا يظلع

شبه الفرس فى عدوه بصدع ، و هو الفتى من الأوعال ورجع الجواب : رده ، ورجع الرشق من الرمى : مايرد عليه والمرجوعة :جواب الرسالة . قال يصف الرسالة :

سألتها عن ذاك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعة السائل

وتقول : ليس فى هذا بيع مرجوع ، أى لا يرجع فيه ، ويقال بريد ليس فيه فضل ؛ ولا ربح . والارتجاع : أن يرتجع شيئاً بعد أن أعطاه . وارتجع الكلب فى قيئه : عاد إليه ، قال :

إن الحباب عاد فى خطائه كما يعود الكلب فى تقيائه

والرجعة : مراجعة الرجل أهله بعد الطلاق ، وقوم يؤمنون بالرجعة إلى الدنيا قبل يوم القيامة . والاسترجاع أن تقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . . . قال الضرير : أقول رجع ولا أقول استرجع . وكلام رجيع : مردود على صاحبه يقال هذا الكلام رجيع فيما بيننا . والرجيع من الدواب والرجعى : ما رجعته من سفر إلى سفر وهو الكال . والأنثى رجيع ، ورجيعة ، قال ذو الرمة يصف ناقة :

رجيعة أسفار كأن زمامها شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

والرجع : الردة . قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاق

ويقال الرجيع : الحرة . قال حميد بن ثور الهلالى ، يصف إبلا تردد جرتها :

ردن رجيع الفرث حتى كأنه حصا إثمد بين الصلاء سحيق

قال الضرير : يصف الشاعر الرماد ، فأما الجرة ، ففى البيت الأول . والرجع : المصر نفسه ، والرجع نبات الربيع . قال :

وجاءت سلئم لا رجع فيها ولا صدع فتجتاب الرعاء

والرجعان من الأرض : ما ارتد فيه من السيل ثم نفد .

« رعج »

الإرعاج : تلألؤ البرق ، وتفرقه فى السماء . قال العجاج :

سحا أهاضيب وبرق مرعجا

« عجر »

الأعجر الضخم الوسط من الناس . وقد عجر يعجر عجراً . والعجرة : موضع العجر منه . والأعجر . كل شيء ترى فيه عقدا . كيس أعجر ، إذا امتلأ جدا ، قال عنترة :

أبى ربيبة مالمهركم متخدداً وبطونكم عجر

وأنشد أبو ليلى :

حسن الثياب بيت أعجر طاعما والضيف من حب الطعام فلا النوى

والعجرة : خروج السرة . وفى الحديث : « أذكر عجره ، وبجره » . والخلنج ذو عجر والعجر : جمع عجرة : وهى كل عقدة فى خشبة أو غيرها والمعجر كالأعجر ، حتى يقال : هذا سيف أعجر أى فى وسطه عجر . ومثله سيف معجر . وحافر عجر أى صلب شديد . قال المرار :

سابى شمراخه ذو خبب سلط السنبك ذى رسغ عجر

والاعتجار : لف العمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك . وأنشد أبو ليلى لدكين يمدح عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراق ، وكان راكباً على بغلة حسناء

جاءت به معتجرا ببرده سواء تردى بنسيج وحده

والمعجر : الثوب تعتجر به المرأة أصغر من الرداء . وأكبر من المقنعة

قال زائدة : المعجر ، والمعاجر : ثياب تكرن باليمن . والعجير من الخيل كالعنين من الرجال .

« عرج »

عرج الأعرج ، يعرج عرجاً ، والأنثى عرجاء ؛ وأعرج الله الأعرج . فعرح هو ، وفلان يتعارج : إذا مشى يحكي الأعرج ، والعرجة موضع العرج من الرجل . وجمع الأعرج : عرجان. والعرجاء : الضبع خلقة فيها وجمعها عرج ، والأعيرج : حية صماء لا تقبل الرقية . وتطفر كما تطفر الأفعى أى تثب . وجمعها أعيرجات . قال أبو ليلى: العرج من الابل ثمانون إلى تسعين ، فإذا بلغت مائة فهى هنيدة ، وجمعـــه أعراج وعروج . قال طرفة بن العبد البكرى :

يرم تبدى البيض عن أسوقها وتلف الخيل أعراج النعم

ويقال : العرج : القطيع الضخم من الابل نحو الخمسمائة . قال :

فقسم عرجا كأسه فوق كفه وجاء ينهب كالغسيل المكمم

والعوج من الإبل كالحقب : وهو الذى لا يستقيم به لقصر من ذكره يقال عرج الجمل ، وحقب . وعرج يعرج عروجاً . ومعرجاً : أى صعد ، والمعرج : المصعد ، والمعرج : الطريق الذى تعرج فيه الملائكة .

والمعراج : شبه سلم ، أو درجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت ، يقال ليس شىء أحسن منه ، إذا رآه الروح لم يتمالك أن يخرج . ولو جمع على المعاريج لكان صواباً .

المعارج فى قول الله عز وجل « تعرج الملائكة والروح إليه » أى تصعد عليه من الله ذى المعارج أى المصاعد وهى جماعة المعرج ، ولغة هذيل فى تعرج وتكلف تعرج ، وتكلف ، لأنهم يولعون بالكسر والتعريج حبسك مطيتك مقيما على رفقتك أو لحاجة ، وما لنا عرجة بموضع كذا : أى مقام قال :

ياحادى أم نضاض أمالكما حتى نكلمها همساً بتعريج

والتعريج : الطريق ، والبئر ، والوادى إذا مال . ومنعرجه حيث يميل يمنة ويسرة . وانعرج القوم عن الطريق مالوا عنه . وعرجنا النهر . أى ملناه يمنة ويسرة . والعرنجج : اسم حمير ، واشتقاقه من العرج .

« جعر »

الجعر : ما يبس فى الدبر من العذرة أو خرج يابساً ، ولا يقال للكلب إلا جعر يجعر جعرا . والجعراء : حى يعيرون بذلك ، قال :

دعت كندة الجعراء بالحر مالكا وتدعو لعوف تحت ظل القواصل

والضبع تسمى جعار ، لكثرة جعرها . والأنثى أم جعارة ، والجاعرتان : حيث يكوى الحمار من مؤخره على كاذليه ، والجعار : الحبل الذى يشد به المستقى من البئر وسطه لكيلا يقع فى البئر قال الراجز :

ليس الجعار مانعى من القدر ولو تجعرت بمحبوك ممر

« جرع »

جرعت الماء أجرعه جرعاً ، واجترعته ، وكل شىء يبلعه الحلق فهو اجتراع . والاسم : الجرعة . وإذا جرعه بمرة : قيل اجترعه . والاجتراع بالماء ، كالابتلاع بالطعام .

والتجرع : تتابع الجرع مرة بعد مرة . والجرعاء من الأرض ذات حزونة تسفى عليها الرياح فتغشيها ، وإذا كانت صغيرة فاسمها الجرعة ، وجمعها جراع . وإذا كانت واسعة جدا فهى أجرع وتجمع أجارع . وجمع الجرعاء : جرعاوات . قال :

أتنسى بلائى غداة الحروب وكرى على القوم بالإجرع

وقال ذو الرمة :

بجرعائك البيض الحسان الخرائد

وجرع الغيظ : كظمه على المثل بذلك . وجرعه غصص الغيظ فتجرعه : أى كظمه . وفى المثل : أفلت بجريعة الذقن ، أو جريعة الذقن بغير حرف ، أى وقرب الموت منه كقرب الجريعة من الذقن ، تصغير الجرعة ، وذلك إذا أشرف على التلف ثم نجا ، وفى أمثال العرب فى إفلات الحيوان ، أفلتنى جريعة الذقن ، إذا كان قريبا منه كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلته ، وقيل معناه : أفلت جريعا . قال مهلهل :

منا على وائل وأفلتنا يوم عدى جريعة الذقن

* * *

مثال آخر من الثلاثى ص١٠٦ طبعة بغداد :

باب العين والكاف والدال معهما : عكد ، دعك ، دكع . مستعملات عدك ، كدع ، كعد ، مهملات

« عكد »

العكدة : أصل اللسان وعقدته ، وعكد الطيب عكداً ، أى سمن وصلب لحمه فهو عكد ، واستعكد الطيب : إذا لجأ بحجر ، أو حجر ، واستعكد الطائر إلى كذا : انضم إليه مخافة البازى ونحوه قال :

إذا استعكدت منه بكل كداية من الصخر وافاها لدى كل مسرح

هذه ضباب استعصمت من الذئب ، فهو لا يقدر أن يحفر الكدية ، وهو ما صلب من الأرض وكذلك الكداية .

« دعك »

دعك الأديم والثوب نحوه، والخصم وما شابهه يدعكه إذا ليّنه قال العجاج :

قرم القروم صلبها ضبارکا قلخ الهدير مزحما مداعکا

« دكع »

الدكاع داء يأخذ الخيل والإبل فى صدرها ، وهو كالخبطة فى الناس ، دكع فهو مدكوع قال القطامى :

ترى منه صدور الخيل زوراً كأن بها نحازاً أو دعاكا

المآخذ على العين :

العين أول معجم ألف فى العربية فمن غير المعقول أن يفى بجميع مطالب اللغة تامة غير منقوصة ولذلك وجدت فيه أمور لا تقلل شأنه ، أو تنقص قيمته ، فكفاه فخراً قيامه بهذه المهمة ابتداء على هذا النمط البديع الذى لم يسبق إليه ، لكننا مع ذلك نورد بعض المآخذ التى وجهت إليه ، ليطلع إليها الباحث ويعرف قدرها ، فمن ذلك :

١ — صعوبة الأخذ من الكتاب ، لأن ترتيبه مبنى على الناحية الصوتية ولذكره المادة وتقلباتها فى نطاق واحد كما تقدم .

٢ — اشتماله على كثير من التصحيف ، ويظهر أن عدم النقط له دخل كبير فى ذلك ، ومن أمثلته :

انذعر القوم : تفرقوا ، والصواب ابذعر

عسا الليل : أظلم دائماً ، وإنما هو غسا بالغين

بنات بحر : ضرب من السحاب ، والصواب بنات بخر

٣ — استدرك عليه أبو بكر الزبيدى فى استدراكه ، وشاركه فى ذلك أحمد بن فارس ـ انفراده بكثير من الألفاظ مثل قوله التاسوعاء(١) : اليوم التاسع من المحرم ، وقال الزبيدى : لم أسمع بالتاسوعاء ، وأهل العلم مختلفون فى عاشوراء . فمنهم من قال إنه اليوم العاشر من المحرم ، ومنهم من قال إنه اليوم التاسع ، وقد عقب السيوطى على هذا النقد ، بأن الانفراد أمر طبيعى ، وحكمه القبول إن كان المنفرد به من أهل الضبط والإتقان كأبى زيد والخليل والأصمعى إلى أن قال : وشرطه ألا يخالفه فيه من هو أكثر منه عدداً .

٤ — اشتماله على أخطاء صرفية واشتقاقية ، فالصرفية كقوله ليس فى الكلام نون أصلية فى صدر كلمة . وقال الزبيدى فى استدراكه جاءت كثيراً نحو : نهشل ونفنع والاشتقاقية والصرفية كقوله : التحفة مبدلة من الواو ، وفلان يتوحف ، وعقب عليه الزبيدى ، بأن التاء ليست مبدلة من الواو لوجودها فى التصاريف ، وقوله : يتوحف منكر عندى .

٥ — احتواؤه على حكايات عن المتأخرين ككراع ، والزجاج ، واستشهاده بالمرذول من أشعار المحدثين ، ويظهر أن هذا قد وجد فيه نتيجة دس مقصود ، أو خطأ من النساخ .

٦ — إهمال أبنية مستعملة ، ووصفها بالإهمال ، ومن ذلك قول ابن فارس فى مادة «عكش» فى مقاييس اللغة . وفى كتاب الخليل أن هذا البناء مهمل .

ومن النظر فى هذه المآخذ يتجلى الأمر للباحث ، أنها مآخذ يرجع معظمها إلى الدس عليه ، قصد التنكيل به والنيل من شهرته ، ومع ذلك فهى لا تمت إلى صميم النظام المعجمى فى شىء ، ولذلك نورد عبارة السيوطى فى المزهر (١) لتكون فصل الخطاب فى هذا المقام . . وأما أنه يخطىء فى لفظه من حيث اللغة فعاذ الله لم يقع ذلك ، وحينئذ لا قدح فى العين .

(١) المزهر جـ ٢١١ ص ٤٤ .

ولكن المتأخرين قد شاع بينهم خلل الكتابة ، واضطرابه دون تحقق أو ثبت . ولذلك كانوا يكيلون له الشتائم عند ورود أمر متعلق به ، وقد مر ذكر كلمة الأشمونى فى باب ما لا ينصرف عند عرضه لقرعلانة ، وتعقيب حاشية الصبان عليه بما يؤكد حشوه بالخطأ وبعده عن الصواب ، وهى روايات تنوقلت دون الرجوع إلى الكتاب نفسه ؛ لعدم تداوله بين يدى قراء العربية .

أثر العين :

لاشك أن هدف الخليل جمع اللغة بطريقة حاصرة ، وقد وضع اللبنة الأولى فى هذا الأساس ، ولذلك اقتفى طريقته من جاء بعده كالقالى فى بارعه ، والأزهرى فى تهذيبه ، وإن كان لكل منهما ميزة يتبينها الباحث عند الرجوع إليهما ، وكالجمهرة لابن دريد ، مع اختلاف يسير فى الترتيب .

وإن المعاجم التى برزت فى عالم اللغة بعد ذلك سارت فى جمع الألفاظ ، وحشد المعلومات على نهجه ، وإن خالفت نظام ترتيبه ، وهى مع ذلك خلافات غير جوهرية . ولذلك إن عددنا العين هو الأساس فى جمع اللغة وأن مؤلفه فقد كابد ألوان المشقات ، وعانى صنوف الصعوبات ، وذلل كل ذلك لمن جاء بعده لم نكن مغالين أو متزيدين . فقد أصبح الطريق واضحاً والبحث سهلا يسيراً ، ولهذا يجدر بكل عربى أن يحنى رأسه إكباراً وإجلالا لهذا العالم الفذ ، الذى حفظ لنا هذا التراث ، وأودعه خزائن العلم والمعرفة ، وقد أوجد هذا الكتاب باباً لبحث العلماء حوله .

وقد ألفت كتب لتكميل نقصه ، ومن ذلك :

١ — فائت العين للخليل بن أحمد .
٢ — الاستدراك على العين للسدوسى والجهضمى .
٣ — الجامع فى اللغة للكرمانى .

٤ — فاءت العين للمطرزى

٥ — التكملة للخازرنجى

كما ألفت كتب لنقد العين وإبراز نقصه نذكر منها :

١ — الرد على الخليل ، وإصلاح ما فى كتاب العين من الغلط والمحال ، لأبى طالب المفضل بن سلمة الكوفى .

٢ — استدراك الغلط الواقع فى العين لأبى بكر الزبيدى .

٣ — غلط العين للخطيب الإسكافى .

كما أخذت الغيرة بعض العلماء ، ودفعتهم الحمية إلى الدفاع عن هذا العبقرى الفذ . فألفوا كتبا للدفاع عنه نذكر منها :

١ — التوسط لابن دريد .

٢ — الرد على المفضل لتفطويه .

٣ — الانتصار للخليل للزبيدى .

تلك كلمة عما يدور حول كتاب « العين » ، وإنه ليجدر بأولى الأمر ، أن يولوه جليل عنايتهم وكريم رعايتهم ، وأن يعنوا بنشره ، فيقدموا للعربية عملا جليلا ، ويزيلوا عن هذا العالم تلك المفتريات التى لحقت به ، لعدم وجوده فى زعمهم .

وقد تأكد بالدليل وجود الكتاب ، وتوجد منه نسخ متفرقة ، وقد أخذت له صور . وتوجد منه نسخة مصورة لدى العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الله درويش ، الأستاذ بكلية دار العلوم . فعسى أن يوجه الغيورون على لغة العرب همتهم إلى هذا الكتاب فيزول الغبار الذى عفى عليه ، فتبرز خصائصه جلية للباحثين وتبدو محاسنه واضحة للدارسين ، وإن لنا كبير الأمل فى تحقيق هذه الأمنية ، على يد مجمع اللغة العربيـــة ، فهو من أجل الأعمال التى يقدمها لأبناء الضاد .

٢ – التهذيب

مؤلفه :

أبو منصور محمد بن أحمد ، بن أزهر ، الهروى ، اللغوى المعروف بالأزهرى ، ولد سنة ٢٨٢ هـ . وتوفى سنة ٣٧٠ هـ (١) .

أساتذته :

تلقى الأزهرى علومه على أساتذة أجلاء ، كأبى الفضل محمد بن أبى جعفر المنذرى اللغوى ، وعن أبى عبد الله ابراهيم بن عرفة الملقب بنفطويه . وعن أبى بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ، وقد أدرك أبا بكر بن دريد إلا أنه لم يرو عنه ، لأن صلته بنفطويه أحفظته عليـــه وجعلته بتهجم عليه .

منزلته العلمية :

أجمع العلمـاء على أن الأزهرى ، من الثقاة المعدودين ، واللغويين المتثبتين ، والفقهاء الورعين ، درس فقه الشافعى وبرز فيه ، إلا أن تمكنه فى اللغة طغى على جميع النواحى فاشتهر بها ، ويظهر أن وقوعه فى الأسر على يد القرامطة سنة ٣١١ هـ كان له كبير الأثر فى هذه الناحية ، لأن آسريه كانوا من فصحاء العرب ، وقد ذكرت كتب الطبقات أنه كتب بخطيده مايلى : « امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير ؛ وكان القوم الذين وقعت فى سهمهم عرباً نشأوا فى البادية . يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٧ ص ٦٤ ، وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٥٨

ويرجعون إلى إعداد المياه فى محاضرهم زمن القيظ فيرعون النعم . ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية ، لا يكاد يوجد فى منطقهم لحن ، أو خطأ فاحش ، فبقيت فى أسرهم دهرا طويلا ، وكنا نشتى بالدهناء (١) ، ونرتبع بالصماء (٢) ونقيظ بالسنارين ، واستفدت من محاوراتهم ، ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة ، ونوادر كثيرة أودعت أكثرها فى كتابى : (التهذيب) . . . »

مؤلفاته :

لقد كان أبو منصور جامعاً لشتات اللغة ، مطلعاً على أسرارها ، ودقائقها وقد ألف كتباً كثيرة ، أعلاها كعبا ، وأرسخها قدما « تهذيب اللغة » وله كتب أخرى ذكرتها كتب الطبقات ، نجملها فيما يلى :

(١) كتاب غريب الألفاظ التى استعملها الفقهاء ، ويقع فى مجلد واحد ، وهو مرجع هام لدى الفقهاء يرجعون إليه عندما يشكل عليهم لفظ لغوى ، فى كتب الفقه

(٢) كتاب التقريب فى التفسير .
(٣) « معرفة الصبح
(٤) « تفسير ألفاظ كتاب المذال
(٥) « علل القراءات .
(٦) « فى الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة .
(٧) « تفسير أسماء الله عز وجل
(٨) « معانى شواهد غريب الحديث

---

(١) ديار بنى تميم .
(٢) متاخم للدهناء .

(٩) كتاب الرد على الليث
(١٠) « تفسير إصلاح المنطق
(١١) « تفسير السبع الطوال
(١٢) « تفسير شعر أبى تمام
(١٣) « الأدوات

التهذيب (١)

هدفه :

يبدو لمن يطالع هذا الكتاب ، أنه يهدف إلى تخليص اللغة من الشوائب التى علقت بها ولذا سماه « بالتهذيب » ونلمس ذلك من العبارات التى وردت فى مقدمته فقال (٢) : « وقد سميت كتابى هذا تهذيب اللغة ، لأنى قصدت بما جمعت فيه نفى ماأدخل فى لغات العرب من الألفاظ التى أزالتها الأغبياء عن صيغتها ، وغيرها الغشم عن سنتها ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقاة إلى العرب » ، ومن تتبع كلامه فى تلك المقدمة يتجلى لنا أن الحافز له على هذا التأليف ثلاثة أمور :

١ — تقييد ماسمعه عن العرب ، وقد ذكر أنه عند وقوعه فى الأسر على يد القرامطة كان معظمهم من عرب هوازن ، وقد اختلط بهم تميم وأسد فتهيأت له الفرصة للسماع عن عرب موثوق بهم .

٢ — تصحيح ماندخل فى كتب اللغة من تصحيفات وتحريفات وأخطاء شائعات .

---

(١) رقم ٩ لغة بقسم المخطوطات بدار الكتب .
٢) تهذيب ص ٩

٣ ــ النصيحة الواجبة على العلماء من المسلمين ، فى إفادة ما لعلهم يحتاجون إليه .

وإن مقدمة الكتاب تشير إلى أن هذا المنحى الذى انتحاه ، والنهج الذى نهجه فقد قال (١): « ولم أودع كتابى هذا من كلام العرب إلا ماصح لى سماعاً منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة ، اقترنت إليها معرفتى ، اللهم إلا حروفا وجدتها لابن دريد ، وابن المظفر فى كتابيهما ، فبينت شكى فيها ، وارتيابى بهـــا ، وستراها فى مواقعها من الكتاب ، ووقوفى منها . . . » .

منهجه :

على الرغم من أن الأزهرى قد حمل حملة شعواء على كتاب العين وما فيه من التخليط ، والاضطراب ، إلا أن من يرجع إليه يجد أنه قد حذا حذوه ، وسار على نسقه ونهجه ، فقد اتبع نظامه بكل دقة ، بل إننا لانغالى فى أنه قد نقل منه فى غالب الأحيان دون تصرف ، ولذلك اتبع نظام العين السالف وهو :

١ ــ رتب الكلمات ترتيبا أبجديا صوتيا ، وبدأ بالعين كالخليل .

٢ ــ اتبع نظام التقليبات ، فجمع الكلمات المكونة من حروف واحدة ووضعها تحت أول الحروف مخرجا ، فالكلمات المكونة من القاف ، واللام ، والواو ، وهى : قال وقلا ولاق ، ولقى ، وولق ، ووقل يبحث عنها فى باب القاف ، لأنها أبعد تلك الحروف مخرجا ، إذ أنها من أقصى اللسان مع مايحازيه من الحنك الأعلى ، واللام من طرف اللسان مع أصول الثنيتين العليين ، والواو من الجوف .

(١) تهذيب ص ٣٨ .

٣ — قسم الكتاب إلى أبواب وكتب ، فجعل الحروف أبواباً ، والأبنية كتباً ، وجعل الأبنية ستة ، وهى كتاب الثنائى المضاعف ، كتاب الثلاثى الصحيح ، كتاب الثلاثى المهموز ، كتاب الثلاثى المعتل ، كتاب الرباعى ، كتاب الخماسى .

٤ — ينبه على المهمل وسببه . ويشير إلى المستعمل الذى أهمله غيره من العلماء . ولذلك نرى أنه يقول فى باب الهاء والشين : هبش أهمله الليث ، وروى أبو العباس عن ابن الأعرابى أنه قال : هبشه وقد هبشه : إذا أوجعه ضرباً ، وقال اللحيانى هو يهبش لعياله ، ويهتبش ، ويحرف ويحترف ويخرش ، ويخترش . ومعناها يكسب ويطالب ، ويحتال . وقال الأصمعى والهباشة والحباشة جمع من الناس . وقال الرؤاسى : إن المجالس ليجمع هباشات ، وحباشات ، أى ناساً ليسوا من قبيلة واحدة . وقد تهبشوا ، أو تحبشوا : إذا اجتمعوا ومنه قول رؤبة :

لولا هباشات من التهبيش لصبية بأفرخ العشوش

٥ — عنى عناية كبيرة بذكر البلدان ، والمواضع والمياه . جعلته من أصح المصادر ، ولو جمعت هذه الأنواع فى كتاب لكان من خير الكتب المؤلفة فى هذه الناحية .

٦ — اهتم بنسبة كل قول إلى مصدره ورواية إلى صاحبها .

تلك هى الأسس التى بنى عليها هذا المعجم ، وقد بدأه بمقدمة طويلة استهلها بحمد الله والصلاة على رسوله ، وذكر العربية وسمتها وحاجة الناس إلى فهمها فى عصره ، ثم عرض للغويين والنحويين ، وذكرهم مرتبين حسب طبقاتهم ، وقسمهم إلى ثقاة وغير ثقاة ، وعد من غير الثقاة ، الليث وابن دريد ، وابن قتيبة ويحمل عليهم حملة قاسية ، تضعف الثقة فيهم .

وإن الباحث فى هذا الكتاب يبدو له الأزهرى وقد زهى بكتابه، فيشيد بما حصل عليه من علم ومعرفة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى إبراز المواد، فيشرحها شرحا مستفيضا، داعما ذلك الشرح بأثور الكلام من القرآن والحديث والشعر وقد بدأ بباب العين مقتفيا أثر الخليل كما سبق وأنهى كتابه بالكلام على الحروف الجوفية. وسنورد بعض الأمثلة لتحقيق ما أوردناه، وهاك بعضها :

باب الخاء والنون : خن . نخ : مستعملان

خن ، قال الليث : خن يخن خنيناً، وهو بكاء المرأة تخن فى بكائها دون الانتحاب، قال : والخنين الضحك إذا أظهره الإنسان فخرج خافيا، يقال: خن يخن خنينا ، فإذا أخرج صوتا دقيقا فهو الرنين ، فإذا أخفاه فهو الرنين . وقال غيره : الهنين مثل الأنين ، يقال أن وهن ، بمعنى واحد قال الليث: والخنان فى الإبل كالزكام فى الناس ، يقال : خن البعير فهو مخنون ، والخنان : داء يأخذ الطير فى حلوقها . يقال : طائر مخنون . والخنة : ضرب من الغنة ، كأن الكلام يرجع إلى الخياشيم ، يقال : امرأة خناء ، وغناء ، وفيها مخنة .

وأخبرنى المنذرى عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى ، قال: النشيج من الفم ، والخنين من الأنف ، وكذلك النخير، قال : والخنة وسط الدار، والمخنة الفناء ، والمخنة : الحرم . والمخنة مضيق الوادى . والمخنة مصب الماء من التعلية إلى الوادى والمخنة فوهة الطريقة . والمحجة : البينة . والمخه : طرف الأنف قال: وروى الشعبى أن الناس لما قدموا البصرة قالت بنو تميم لعائشة : هل لك فى الأحنف : فقالت : لا ، ولكن كونوا على مخنة . وأخبرنى المنذرى عن المبرد أنه قال : الغنة : أن يشرب الحرف صوت الخيشوم . قال : والخنة أشد منها . وقال الليث : الخنخنة : ألا يبين الكلام فيخنخن فى خياشيمه وأنشد :

خنخن لى فى قوله ساعة وقال لى شيئاً فلم أسمع

وقال النابغة الجعدى :

فمن يحرص على كبرى فإنى من الشبان أيام الخنان

قال الأصمعى : كان الخنان داء يأخذ الإبل فى مناخرها ، وتموت منه وصار ذلك تاريخاً لهم ، قال أو الخنان : داء يأخذ الناس وقال جرير :

وأكوى الناظرين من الخنان

وقال غيره : رجل مخن إذا كان طويلا ، وقال الراجز :

لما رآه جسرباً مخنا أقصر عن حسناء وارثعنا

أى استرخى عنها ، ويقال للطويل مخن أيضاً بفتح الميم ، وجزم الخاء وقال بعضهم : خننت الجذع بالفأس خنا : إذا قطعته ، قلت وهذا حرف مريب ، وصوابه جثثت الجذع جثا ، فأما خننت بمعنى قطعت فما سمعته، رجل مختون مخنون مجنون ، وقد أحنه الله وأخنه وأجنه بمعنى واحد ، قال عمرو عن أبيه : الخن السفينة الفارغة . قال ثعلب عن ابن الأعرابى : الرباح : القرد وهو الحودل ، ويقال لصوته : الخنخنة ، ولضحكه القحقحة وقال شمر : خن خنينا فى البكاء : إذا ردد البكاء فى الخياشيم ، وقال الفصيح من أعراب بنى كلاب الخنين : سدد فى الخياشيم والخنان منه ، وقد خنخن الرجل : إذا أخرج الكلام من أنفه . وقال أبو عمرو : الخنين يكون من الضحك الخافى أيضاً .

« نخ »

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليس فى النخة صدقة ، قال أبو عبيد : قال أبو عبيدة : النخة : الرقيق ، قال ، وقال الفراء : النخة : أن يأخذ المصدق ديناراً بعد فراغه من الصدقة وأنشدنا :

عمى الذى منع الدينار ضاحية دينار نخة كاب وهو مشهود

وقال الليث : النخة والنخة لغتان : اسم جامع للحمر . وقال أبو العباس اختلف الناس فى النخة ، فقال قوم : النخة الرقيق ، وقال قوم : البقر العوامل وقال قوم النخة الربا ، وقال قوم : النخة الرعاء ، وقال قوم : النخة الجمالون . وقال بعضهم : يقال لها فى البادية : النخة بضم النون ، قال أبو العباس واختار ابن الأعرابى من هذه الأقاويل : النخة : الحمير ، قال : ويقال لها الكسعة . وقال : كل دابة استعملت من إبل وبقر وحمير ورقيق ، فهى نخة ونخة ، وإنما نخها : استعملها وقال الراجز يصف حاد بين الإبل :

لا تضربا ضرباً ونخاخا ما ترك النخ لهن نخا

قال : وإذا قهر رجل قوما فاستأداهم ضريبة ، صاروا نخة له ، قال وقوله :

ديار نخة كاب وهو مشهود

كان أخذ الضريبة من كاب نخا لهم أى استعمالا ، قال : فالنخ لسيقتك وأنت تحثها : إخ ، إخ . فهذا النخ . قلت وسمعت غير واحد من العرب يقول نخنخ بالإبل أى أزجرها بقولك إخ إخ حتى تبرك . وقال الليث : النخنخة من قولك أنخت الآبل فاستناخت أى بركت . ونخنختها فتنخنخت من الزجر وأما الإناخة فهو الإبراك . لم يشتق من حكاية صوت ؛ ألا ترى أن الفحل يستنيخ الناقة فتنخنخ له . والنخ أن تناخ النعم قريبة من المصدق حتى يفدنها وأنشد :

« أكرم أمير المؤمنين النخا »

قال والنخ من الزجر من قولك إخ إخ . يقال نخ بها نخاً شديداً ونخة شديدة ، وهو النائح . أيضا وقال ابن شميل يقال : هذه نخة بنى فلان أى

عيد بنى فلان . ثعلب عن ابن الأعرابى : نخنخ : إذا سار سيراً شديداً ، ويقال هذا من نخ قلبى ، ونخاخة قلبى ، ومخ قلبى أى من صافيه .

مادة ثانية « خ ق ز » استعمل من وجوهها خزق :

من أمثالهم فى باب التشبيه : أنفذ من خازق : يعنون السهم النافذ ، وقال الليث : كل شىء حاد رززته فى الأرض وغيرها فارتز ، فقد خزقته ، قال : والخزق : عود فى طرفه مسمار محدد يكون عند بياع البسر . عن ابن الأعرابى : إنه لخازق ورقه ، : إذا كان لا يطمع فيه ، والسهم إذا قرطس فقد خسق وخزق .

مميزات التهذيب :

برز التهذيب فى عالم اللغة بعد المعاجم السابقة عليه ، كالعين للخليل ، ولذلك لابد له من أن يتميز عن سابقيه بمميزات ترفع قدره ، ونحن نورد بعض تلك المميزات : ـ

١ ـ عنايته بالبلدان والمواضع والأمكنة والمياه ، عناية كبيرة جعلته من أصح المصادر فى هذا الاتجاه .

٢ ـ اهتمامه بنسبة الأقوال لأصحابها والآراء لأربابها .

٣ ـ اتساع موارده ، وقد ساعده على ذلك المعاجم السابقة ، وبخاصة العين للخليل ، فقد وضعه أمام ناظره كما وضع كثيراً من الرسائل اللغوية ذات النواحى المختلفة ، كما أن وقوعه فى أسر القرامطة ، وكون حراسه من فصحاء العرب كهذيل ، ساعده على كثرة النقول من العرب .

٤ ـ انفرده بكثير من المواد التى أهملت فى المعاجم السابقة كالعين ،

والجرة ، وقد علمنا ذلك فيما سلف ، بأن اتصاله بخلص العوب فى أسره ذلل له تلك الناحية .

٥ — اهتمامه بإيراد الشواهد من القرآن والحديث ، اهتماما فاق غيره من اللغويين ، ويبدو أن تلك الظاهرة برزت فى هذا المعجم ؛ لأن الناحية الدينية غلبت عليه ، ولذلك كان شديد الاهتمام بإيجاد الرابطة القوية بين القرآن والدين واللغة ، وله كتاب فى غريب ألفاظ الفقهاء .

ومما يتصل بالشواهد القرآنية ، أننا نراه يعنى بإيراد القراءات المختلفة التى تعزز وجهته مثل قوله . . . وعزنى فى الخطاب . . أى غلبنى ثم يعقب ذلك بقوله : وقرأ بعضهم : « وعازنى » وأما قوله . . فعززنا بثالث . . فمعناه قويناه وشددناه . وقال الفراء : ويجوز عززنا مخففا بهذا المعنى . ومن ذلك إيراده القراءات فى مضارع كذب .

قال القراء فى قول الله عز وجل . . فإنهم لا يكذبونك . . وقرىء . . يكذبونك ، أى لايجعلونك كذاباً ، وعلى رسلها ماورد فى قوله تعالى . . « حتى إذا استيأس لرسل وظنوا أنهم قدكذبوا » . . فقدوردت بتخفيف الذال عند عاصم ، وحمزة ، والكسائى وقرئت بالتشديد ، ورويت تلك القراءة عن السيدة عائشة وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو وابن عامر .

٦ — بروز شخصيته ، وظهور أثره فى كل مادة فيتدخل فى النقاش بقوله : قلت قاصداالترجيح تارة ، والتفنيد أخرى ، ومشيرا إلىرأيه فى بعض القواعد . ومثال ذلك ، قال الليث : الدعاعة حبة سوداء يأكلها فقراء البادية إذا أجدبوا . قال ويقال لنملة سوداء تشاكل هذه الحية دعدعة . والجمع دعادع قلت هما حبتان بريتان إذا جاع البدوى فى القحط دقهما وعجنهما ، واختبزهما وأكلهما .

٧ — اهتمامه بالنوادر والتنبيه عليها كقوله وفى النوادر عج القوم

وأعجوا، وهجوا وأهجوا ، وخجوا وأخجوا، إذا أكثروا فى فنون الركوب. اللحيانى : رجل عجعاج بحباج إذا كان صياحا وغير ذلك كثير، وكان يهتم بإيراد أسماء المؤلفين فى النوادر ، كاللحيانى ، وابن الأعرابى ، وشمر ، وغيرهم .

٨ — اعتناؤه بإيراد المترادفات فى الموضع الواحد ، وتفسيرها معاً من ذلك ، قال ابن الأعرابى فيما حكى عنه أحمد بن يحيى : القعقعة ، والعقعقة ، والخشخشة ، والخفخفة والشخشخة ، والشلشلة. كله حركة القرطاس والثوب الجديد : وكقوله سمعت العرب تقول : كنا فى عنة من الكلأ ، وقنة ، وثنة ، وعائكة من الكلأ بمعنى واحد أى كنا فى كلأ كثير وخصب .

وعلى الرغم من هذه النواحى الحسنة فلا يمكن أن يخلو الأمر من هنات تؤخذ عليه ، ومع ذلك فلم يصل نقد من الأقدمين عليه ، ولعل ذلك لأنه لم يتداول للدرسة لطوله .

ولكن يؤخذ عليه بعض الأمور التى نورد منها .

١ — صعوبة البحث فيه ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد وهذا مأخذ على كل من اتبع نظام التقليبات ، التى كانت سبباً فى وضع بعض الكلمات فى غير موضعها أو اعتبار حرف مزيد أصلياً أو العكس ، مما يجعل الباحث فى حرج ومشقة ، ويبدو أن ذلك كان سبباً فى بروز المدرسة الثانية « القافية » .

٢ — كثرة التكرار فيه ، وقد نجم ذلك عن جمعه الأقوال الكثيرة فى تفسير اللفظ الواحد لصدورها من لغويين مختلفين، ويبين هذا من الرجوع إلى المواد وتحليلها للتأكد من هذه الظاهرة .

٣ — التعصب الشديد وهذه ظاهرة تبدو فى مقدمته عند عرضه للغويين وتقسيمهم إلى ثقاة ، وغير ثقاة ، ويذكر من غير الثقاة الليث الذى حمل عليه

حملة جائرة ، وكما قلنا فيما سبق إنه فيما يبدو كان راغباً فى التنكيل بغيره لينفق سوق التهذيب ، ويشتهر أمره ، ويضعف ما سواه .

وقد اتهمة القفطى بذلك عند الكلام عن كتابى التكملة والحصائل فيما دار حول العين من دراسات ، وقد اتهمه به الأب أنستاس الكرملى فى بعض التعليقات على الجزء المطبوع من العين عند قول الخليل(١) « المسجد الجامع تعت به لأنه يجمع أهله ، ومسجد الجامع خطأ بغير الألف واللام ، لأن الاسم لا يضاف إلى النعت ، إذ لا تقول زيد الفقيه » .

جاء فى لسان العرب فى مادة جمع ما نصه : روى الأزهرى عن الليث قال : ولا يقال مسجد الجامع ، ثم قال الأزهرى : النحويون جميعاً أجازوا ما انكره الليث والعرب تضيف الشىء إلى نفسه وإلى نعته إذا اختلف اللفظان كما قال تعالى : « ذلك دين القيمة » ومعنى الدين الملة كأنه قال وذلك دين الملة القيمة وكما قال تعالى « وعد الحق » ووعد الصدق » .

وما علمت أحداً أبى إجازته إلا الليث . قال وإنما هو الوعد الصدق . والمسجد الجامع ، والصلاة الأولى . قلنا الذى منعه الليث منعه أيضاً ثقاة النحويين واللغويين ، والذى منعوه هو إضافة الاسم إلى نفسه ، وإلى نعته ، بدون تقدير محذوف أو ملاحظة تأويل يصحح الأسلوب . الخ . .

فالذى منعه الليث ، اعتبار المسجد منعوتا والجامع نعتاً مع إضافة الإسم إلى نعته ، ولعل الأزهرى جاء بكلام الليث مبتوراً لغرض فى النفس . والإفصريح كلام الليث : أن الاسم لا يضاف إلى النعت ، إذ لا تقول زيد الفقيه بإضافة زيد إلى الفقيه ، فهل جاء مثل هذا الكلام فى لغة « العرب » .

---

(١) معجم عين طبعة بغداد ص ١٤٤

تلك هى أهم النواحى التى وجهت إلى كتاب التهذيب ، ومع ذلك فلا نستطيع إنكار فضله على اللغة ، وأنه عد أساسا لمن جاء بعده :

فإن رجعت إلى ابن منظور فى اللسان رأيته متابعاً له فى كل خطواته مع تحوير لا يؤثر فى النقل :

وإنا لنأمل أن ترى هذا المعجم مطبوعا فى القريب لإمكان تداوله والانتفاع بوجهته ومعرفة جهد أولئك العلماء الذين بذلوا قصارى جهدهم فى خدمة الدين واللغة .

٣ ـــ البـارع

مؤلفه :

أبو على ، إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون القالى البغدادى ، ولد بناحية منار كرد من أرمينية سنة ٢٨٨ هـ وارتحل إلى بغداد لطلب العلم سنة ٣٠٥ هـ . وأقام فيها إلى سنة ٣٢٨ هـ ثم رحل عنها إلى الأندلس سنة ٣٣٠ هـ(١). وسبب شهرته بالقالى راجع إلى انحداره إلى بغداد مع رفقة من «قالى قلا» وتوفى بقرطبة ودفن بها سنة ٣٥٦ هـ وقد اشتهر فى الأندلس باليغدادى(٢) .

أساتذته :

أخذ القالى علومه عن أساتذة أجـــلاء وأئمة أفاضل فى اللغة والنحو والأدب كأبى بكر بن دريد الأزدى ، وأبى بكر الأنبارى ونفطويه ، والزجاج ، والأخفش وابن درستويه .

منزلته العلمية :

عرف القالى بحدة الذهن، وقوة الحفظ وأنه كان أحفظ أهل زمانه للغة، والشعر ، ونحو البصريين ، فبرع فى كل النواحى .

تلامذته :

فقد كان لتفوق القالى فى علومه، وبروزه فى تأليفه أكبر الأثر فى انتجاع

---

(١) معجم الأدباء حـ ٨ ص ١٦٤ .

(٢) وفيات الأعيان حـ ٢١ ص ٢٠٤ .

رواد العلم له، وارتشافهم من مناهله وعلومه وقد تخرج على يديه طائفة جليلة القدر كأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدى ، والأندلسى ، صاحب مختصر العين .

مؤلفاته :

لقد برع القالى فى علمه وتأليفه فظهرت له مؤلفات جليلة ، كالأمالى الذى يعد عدة المتأدب ، ومنهل المتطلع إلى الدرس والتفوق فى الأدب ، والبارع الذى كان مزهوا بتأليفه ، وقد أثنى عليه الزبيدى ثناء عاطراً ، وقد كان القالى يريد أن يؤلف معجما فى المغرب يفوق العين فى المشرق ، ولذلك فقد روى عن القالى أنه قال : إنه يبز العين عدد صفحات وكلمات . وله أيضا كتاب المقصور والممدود .

هدفه :

إن البارع لم توجد منه نسخة كاملة والموجود منه فى دار الكتب قطعتان مصورتان تحت رقم ٨٢٦ ، ٨٣١ لغة وليس فيهما بدء المعجم حتى نسترشد منه عن الخطة التى اتبعها ، ولا عن الغرض الذى حفزه إلى إبراز هذا المعجم ، ولكن يغلب على ظن الباحث أن للقالى هدفا فى معجمه وهو تلافى النقص الذى لمسه فى كتاب العين ، وكتاب الجمهرة لأستاذه ابن دريد ولعله أراد ذلك كما فهم من رفع الكتاب إلى الخليفة عبد الرحمن بأن تنافس الأندلس بغداد فى هذه المكانة ، وتحذو حذوها مع القوة فى التأليف ، كما نافستهم فى الكتب الأخرى لأن ثقافة الأندلس وهى عربية قائمة على ثقافة المشرق .

منهجه :

سبق القول أن القالى قد تلقى اللغة عن ابن دريد فكان منتظراً أن يسير على نهجه فى معجمه من مراعاة الأبجدية العادية فى جمعه لألفاظ اللغة، ولكن الغريب أنه عاد لطريقة الخليل وهى الأبجدية الصوتية مع اتباع طريقتيهما

فى التقليبات وهى جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة مهما اختلف ترتيبها تحت نطاق واحد ، ومن تتبع مواد الكتاب يمكننا أن نقول إنه سار على الوجه الآتى :

١ — اتبع نظام التقليبات وهى جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة تحت نطاق واحد .

٢ — راعى جمع الكلمات حسب مخارجها فبدأ بالحلق ثم باللسان ثم بالشفة إلا أنه اتبع نظام سيبويه فى ترتيب الحروف مع خلاف يسير فقد بدأ الخليل بالعين ، والقالى بالهاء وترتيب الحروف عنده كانت على هذا الوضع :

ه ، ح ، ع ، خ ، غ ، ق ، ك ، ض ، ج ، ش ، ل ، ر ، ن ، ط ، د ، ت ص ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ى .

٣ — حاول تصحيح الخلل الذى وقع فى العين. ففرق بين الأبنية المختلفة التى جمعها الخليل فى باب واحد. فصارت الأبواب عنده ستة : الثنائى المضاعف. ويسميه الثنائى فى الخط ، والثلاثى فى الحقيقة ، الثلاثى الصحيح ، الثلاثى المعتل ، الحواشى والأوشاب ، الرباعى ، الخماسى .

٤ — عنى بنسبة كل قول لصاحبه. فعندما يشرح لفظة تبدو لك الكثرة الكثيرة من أعلام اللغويين كيعقوب والأصمعى ، والكسائى وقد عد أميناً فى نقله ، ومدحه القفطى بذلك .

٥ — اهتمامه الدقيق بضبط اللفظ مخافة أن يتسرب التحريف واللحن إلى الألفاظ وقد رسم لذلك طريقين أحدهما ضبط الكلمة بالشكل كقوله قال الأصمعى كنا على جدة النهر بكسر الجيم وتشديد الدال ، وبذكره لوزن الكلمة كقوله يقال : زج وزججة وزجاج على مثال فعل وفعله بكسر الفاء وفتح العين وفعال بكسر الفاء .

٦ — اهتمامه بالشواهد الشعرية المؤيدة للمعنى الذى هو بصدده غير

تكتف بإيراد شاهد واحد ، بل أنه يبدو لنا ذكره لشواهد كثيرة فى سبيل أكيد ما ذكره،ومن ذلك : قال قال الأصمعى : الألقة والقاه:الطاعة وأنشد غيره قول الأزرق بن أبى نخيلة السعدى .

أما رأيت الأيدى السماطا والقاه والألسنة السلاطا

قال : ومنه يقال قد ألقه الرجل : أى أطاع ، قال المخبل السعدى :

فردوا صدور الخيل حتى تنهنهت إلى ذى النهى واستيقنوا للمحلم

أى أطاعوا المحلم وهو الذى يأمرهم بالحلم ،

وقال أبو زيد مالك علينا قاه أى سلطان ، قال الراجز :

والله لولا النار أن أصلاها أو يدعو الناس علينا الله

لما سمعنا لأمير قاها ما خطرت صعد على مناها

٧ — عنايته بذكر النوادر والأخبار ، ومن ذلك : قال ابن الأعرابى وغيره : نزل المخبل السعدى ، وهو فى بعض أسفاره على ابنة الزبرقان بن بدر ، وقد كان يهجو أباها ، فعرفته ولم يعرفها ، فأتته بغسول فغسل رأسه ، وأحسنت قراه ، وزودته عند الرحلة،فقال لها من أنت؟وماتريد من اسمى؟ قال : أريد أن أمدحك ، فما رأيت امرأة من العرب أكرم منك ، قالت : اسمى رهو . قال : بالله ما رأيت امرأة شريفة سميت بهذا الاسم غيرك . قالت أنت سميتنى به ، قال وكيف ذلك ؟ قالت : أنا خليدة بنت الزبرقان وكان قد هجاها فى شعره فسماها رهوا ، ومن ذلك قوله :

فأنكحتهم رهوا كأن عجانها مشق إهاب أوسع السلخ ناجله

فجعل على نفسه ألا يهجوها أبدا ، وأنشأ يقول :

لقد زل رأيى فى خليدة زلة سأعتب قومى بعدها فأتوب

وأشهد والمستغفر الله أننى كذبت عليها والهجاء كذوب

٨ — اهتمامه بلغات العرب وخاصة الكلابيين ، ولذلك نرى أنه كثير النقل عن أبى زيد الأنصارى،وقد عرف بكثرة الرواية عنهم ، ومن ذلك قاله

الكلابيون : ومن الرجال الهيق ، الهاء مفتوحة ، والياء ساكنة ، وهو المفرط طولا ، ولم يعرفوه فى الإنسان .

٩ — اهتمامه بالترجيح بين اللغات كقوله : يقال وهجت توهج بكسر الهاء فى الماضى وفتحها المستقبل ، وهى وهجة والعالى من كلامهم توهجت .

١٠ — اهتمامه بنقد الآراء الضعيفة كقوله : قال الخليـــل : تقول العجهوم . طير من طير الماء ، كأن منقاره جلم. قال أبو على ولاأدرى صحته؟

أمثلة من الكتاب تجلو منهجه ص ٧١ من النسخة المصورة ٢٨٦ .

الغين ، والثاء ، والواو ، والألف ، والياء فى الثلاثى المعتل :

الأصمعى : تقول العرب : غثت نفسى تغثى غثيانا بفتح الغين والثاء فى الماضى ، وكسر الثاء فى المستقبل ، وفتح الغين والثاء فى المصدر ،قال : وهو تحلب فيه ، وربما كان فيه القىء . وزاد أبو زيد وغثيا بفتح الغين وسكون الثاء . قال : ويقال غثا الماء فهو يغثو غثواً ، وغثاء على وزن رغاء ، إذا كثر فيه البعر ، والورق ، والقصب .

وعنه فى موضع آخر : غثا الوادى يغثو غثواً من الغثاء ، قال الأصمعى والقوم تقول : غثيت نفسى ، وهو خطأ .

وقال الخليل : الغثى ، والغثيان : خبث النفس ، والفعل غثت نفسى وهى تغثى غثياً ، والغثاء : ما جاء به السيل من نبات قد يبس .

وعن أبى عبيدة : غثت نفسى ، وعن ابن السكيت غثت نفسى تغثى غثيا وغثيانا . قال ويقال : غثا السيل المربع : إذا جمع بعضه إلى بعض وأذهب حلاوته .

ومن مقلوبه :

ثغت الشاة والظبية تثغو ثغاء ، والثغاء : من أصوات الغنم والفعل يثغو .

قال: وإذا صاحت الشاة من الضأن أو المعزى أو الظباء من وجع وغيره ، فذلك الثغاء خاصة ، وعنه أيضاً الثغاء صياح الشاة ، ومن ذلك قولهم :ماله ثاغية ولاراغية، الثاغية : الشاة ، والراغية : الناقة . وقال يعقوب أثغيته فما أثغانى ولا أرغانى ، أى فما أعطانى إبلا ولا غنما

قال أبو حاتم : يقال فى الضأن : ثغا يثغو ثغاء ، يجمع ذلك الضأن والمعز والظباء ،

ومن مقلوبه :

يعقوب . قال الفراء . أجاب الله غوائه بفتح الغين ، وغوائه بضم الغين . ولم يأت فى الأصوات مثل البكاء والدعاء والرغاء إلاغوائا . وقال الخليل : ضرب فغوث تغويثاً . إذا قال : واغوثاه من يغيثه . وغوث : اسم قبيلة .

ومن مقلوبه :

يعقوب . الوثيغة الدوحة التى تعد للناقة . وثغ يثغ . قال أبو زيد . ومنه الوثغة بفتح الواو وكسر الثاء وهى المضبية لنفسها فى برجها . يقال. وثغت يتثغ بكسر الثاء فى الماضى وفتحها فى المستقبل والمصدر ، ورجل وثغ . قال أبو الحسن : حكى فى المستقبل يوثغ ، وهى لغة فى ما كان على هذا الوزن من الأفعال مثل وجل يوجل ، وبعض العرب يقول ييجل . وليست فى كل العرب،ويقال أيضاً: إنما هى فى الياء وحدها ، يغيرون الواو إلى الياء مع الياء ، فأما التاء والنون والألف ، فلا يقال إلا فى لغة شاذة ، فقد جاء هذا على أقبح الشذوذ ، وإنما حقه أن يكون وثغت توثغ. قال الله عز وجل : « لا توجل ».

ومن مقلوبه :

أبو زيد : يقال . غاث الله الأرض غيثاً ، وهى مغيثة ومغيوثة ويقال :

أصلح غيث ما أفسد برحاه : يضرب للرجل يتوزع ثم يصلح بعد ذلك . وتقول : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، وهو من الغياث : إذا أغاث إغاثة على إفعالة ، وغياث على فعال . وتقول اللهم أغثنا إغاثة . والغياث على مثال فعل وفعال .

قال أبو حاتم : يقال أرض مغيثة ومغيوثة إذا أصابها الغيث ، ورجل مغاث ، إذا استغاث فأغيث وأنشد أبو زيد .

* أدركا الغوث فليث ليث *

ويقال أيضاً . أدركا الغياث ، والجيد : أرض مغيثة . وقال الخليل : الغيث المطر . تقول . غاثهم الله ، وأصابهم غيث والغيث الكلأ ينبت من ماء السماء ويجمع على الغيوث . والغياث : ما أغاث الله به .

مادة ثانية : هـ ى غ

قال القالى . قال أبو على : قال يعقوب : يقال لمن أخصب وأثرى : وقع فى الأهيغين . أى الطعام والشراب . وقال الخليل . الأهيغ أرغد العيش وأخصبه قال رؤبة :

عنكم وأيديكم طوال المبلغ يغمن من غمنه فى الأهيغ

مادة ثالثة : س ج

قال يعقوب . يقال : سج بسلحة . إذا خزف به . وقال أبو زيد . تقول . لا أفعل ذلك سجيس الليالى ، ويقال سجس عطفه . إذا ظهرت رائحته . قال الراجز يعنى ابنه .

يا ليته بالخود قد تمرسا وشم عطفيه إذا ما سجسا

يقول ليته قد صار رجلا . وقال يعقوب : يقال ماء سجس بفتح السين وسكون الجيم ، وسجس بكسر الجيم ، وسجيس على مثال فعيل . إذا كان

كدراً متغيراً وقال أبو زيد سقانا سجاجة له بفتح السين، وجمعها السجاج بفتح السين على مثال قتام ، وهو الذى ثلثاه ماء وثلثه لبن ، ويكون ذلك من جميع اللبن حقينةوحلبية من جميع الماشية إبلها وغنمها وقال الأصمعى: إذا جعل اللبن أرق ما يكون به . فهو السجاج وأنشد :

ويشربه مذقا ويسقى عيـــاله سجاجا كأضراب الثعالب أورقا

وقال الخليل فى الحديث « الجنة سجسج لافيها حرمؤذ ولابرد مؤذ » ويقال فى مثل : « لا آتيك سجيس عجيس » أى مدة الدهر

مميزات البارع :

إن هذا المعجم خطا خطوة موفقة فى التأليف المعجمى وقد أشار إلى ذلك صاحب الفهرست ، فقد أفاد بأنه زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمائة ورقة مما وقع فى العين مهملا ، فأملاه مستعملا .

فهذا النص يعطينا صورة صادقة عن قوة هذا المعجم ، إلا أنه من المؤسف لم يصل إلى أيدينا منه إلا قدر يسير ، لا يمكن أن يعطى الصورة الحقيقية عن هذا المعجم ولكننا من تتبعنا لهذا القدر نرى أنه قد سار وفق نظام الخليل فى العين إلا فى أشياء قليلة خالفه فيها كمخالفته له فى الترتيب للحروف ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . وكمخالفته له فى نظام الأبنية من فصله بعض الأبنية عن بعض . وهذه المزايا تبدوا فيما يلى :

١ — أمانته فى النقل واهتمامه بنسبة الأقوال إلى أصحابها .

٢ — عنايته باللغات كما أشرنا إلى ذلك .

٣ — اهتمامه بالنوادر والحوادث التى تعج بها أماليه .

٤ — اهتمامه بالضبط خوفا من التحصيف والتحريف .

٥ — عنايته بالشواهد ، والإكثار منها ، لتأكيد المعنى الذى سيقت من أجله .

المآخذ التى وجهت إليه :

وعلى الرغم من هذه المميزات فإننا نرى فيه بعض الهنات التى وجهت إليه ومن ذلك :

١ — عدم بروز شخصيته بصورة واضحة اللهم إلا فى القليل النادر مما لا يتناسب وشخصية القالى .

٢ — التكرار فى شرح الألفاظ ويظهر أن اهتمامه بكثرة النقول عن العلماء كان مسببا لهذا الأمر

إيراده التفسيرات المتعارضة للفظ الواحد دون بذل أية محاولة للتوفيق أو الترجيح مما يجعل الباحث فى حيرة .

٤ — كثرة الاستطراد لأدنى مناسبة ، فنجد أنه عند عرضه لكلمة وأمه التى فسرها بأنها حجر اليربوع ذكر سبعة مترادفات أخرى لهذه اللفظة مفسرا كل لفظ بما يناسبه ، مؤيداً هذا التفسير بما يناسبه من الشعر ، مما استغرق قدرا كبيراً من صفحات الكتاب . مما يجعل الباحث شارد الذهن ، متعباً من هذه الاستطرادات التى تضيع عليه فائدة وقوفه على ما يريد بيسر وسهولة . ويبدو أن اشتغاله بالأدب ، أنساه اتباع النظام اللغوى الذى اتبعه أصحاب المعاجم .

٥ — صعوبة البحث فيه عن الكلمات لذكره الكلمة وتقلباتها مما يجعل البحث عسيراً ، والاطلاع صعباً .

٦ — كثرة التكرار فيه لاتباعه طريقة التقليبات الصوتية .

المؤلفات على البارع :

البارع أول معجم فى الأندلس ، فكان منتظراً أن يكون موطناً لدراسة الدارسين، وتعليقات المعلقين . . ،

إلا أن عدم تداولة لم يهيء السبيل للتعليقات عليه، ولذلك لم يصل إلينا من كتب عنه سوى أبى بكر الزبيدى ، فقد ألف كتاب « المستدرك » من الزيادة فى كتاب البارع على كتاب العين .

وإنى أختتم البحث عن هذا المعجم بتوجيه خالص الدعاء إلى العلى القدير أن يجزى هؤلاء العلماء الذين وهبوا حياتهم للبحث العلمى ، فحفظوا لنا هذا التراث تاما غير منقوص ، ولعل الأيام تجود بالعثور على هذا المعجم لنتمكن من الحكم الصحيح عليه ، وليصبح أثره بارزاً للعيان .

رحم الله القالى وجزاه عن العربية وأبنائها خير الجزاء وأوفاه .

٤ ــ المحكم

مؤلفه :

أبو الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسى الأندلسى، ولد بمرسية سنة ٣٩٨هـ وتلقى دروسه بها ، وعاش فى أحضانها إلى أن بلغ قمة المجد عن طريق العلم رغم أنه ضرير، وقد توفى «بحضرة دانية» يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨ هـ وسنه فى حدود الستين عاما (١).

أساتذته :

كان ابن سيده إماما فى اللغة ، حافظا لها ، وقد ساعدته ذاكرته النادرة وحافظته القوية فى الوصول إلى هذه المنزلة ، وكان أبوه ذا بصر بعلم اللغة فتلقى عنه درسه منها وعن أبى العلاء صاعد البغدادى ، وقرأ أيضا على أبى عمر الطلمنكى ، وفى ذلك يقول: « دخلت مرسية فنشأت بى أهلها يسمعون على غريب المصنف ، فقلت لهم : انظروا إلى من يقرأ لكم ، وأمسك أنا كتابى فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيده ، فقرأه على من أوله إلى آخر، فعجبت من حفظه .

منزلته العلمية :

مما لا يحتاج إلى تدليل أو برهنة أن لابن سيده منزلة مرموقة ، ومكانة جليلة بين العلماء فقد وهب قوة الحفظ ، وحدة الذهن ، وتوقد الذكاء . مما أفاض على هذا الضرير مكانة فى اللغة لم يحظ بها من جاد عليهم الزمن بحدة البصر .

---

(١) وفيات الأعيان حـ ٣ ص ١٧ .

وقد هيأت له تلك الأمور أن يضحى إمام اللغة فى الأندلس والحافظ لها حفظاً فاق من قبله ، وأعجز من أتى بعده ، أعجوبة زمانه ،وفريد عصره.

مؤلفاته :

لقد تمكن هذا الضرير من تسجيل أسمه فى سجل الخالدين ، بما أخرجه لعلماء العربية من مؤلفات قاومت أحداث الزمن ، ولا زالت غرة فى جبين الدهر ، ومورداً عذباً لطلاب العربية ، يستقون منها علومهم ، ويرتشفون منها معارفهم ، ويغترفون ماغاب عن الأذهان من ثناياها . وإنا لنذكر بالإكبار والإجلال كتابه « المخصص » الذى جمع فأوعى والذى لازال قبلة أنظار الباحثين وهو يقع فى سبعة عشر جزءا ،وكذلك كتاب المحكم . الذى سنتكلم عنه ، وله أيضا كتاب الأنيق فى شرح ديوان الحماسة وهو يقع فى ست مجلدات ، وغير ذلك من الكتب النافعة لأبناء الضاد .

هدف المحكم :

إن هذا المعجم من المعاجم الهامة فى اللغة ، والأساس السوى لغيره من المعاجم ، فترى لسان العرب وهو العمدة فى عصرنا وماسبقة يغترف منه اغترافاً ، وينهل من مورادة ، وهو مخطوط وموزع بين مكاتب العالم ، وقد قبض الله من بدا بطبعه ، وقد طبع منه جزءان ، ويستبين لمن يرجع إلى مقدمته أن ابن سيده له هدف معين يقصده ،وغرض يرمى إليه ، وهو جمع شتيت المواد اللغوية فى الكتب والرسائل فى كتاب يغنى عنها ، شارحا لها شرحا دقيقا . يزيل غموضها ، ويشرح إبهامها ، مع الميل الشديد إلى الاستشهاد على ذلك بمأثور كلام العرب من القرآن والحديث ، الموثوق به من أشعار العرب وقد راقت له طريقة الأزهرى فى التهذيب وهو ربط اللغة بالقرآن والحديث ، فسلك هذا السبيل.

وإن من يرجع إلى مقدمته يبدو له ذلك واضحاً وقد قال فى مقدمته التى

بدأها بحمد الله والصلاة على نبيه ، أن الأمير أبا الجيش نظر فى كتب اللغة فلم يجد منها كتابا مستقلا بنفسه ومستغنياً عن مثله ، بل وجد فى كل كتاب مالا يشتمل عليه صاحبه . وأبان أن أبا الجيش نقم عليهم عدولهم عن الصواب فى جميع مايحتاج إليه من الإعراب وما أحوجهم من ذلك إلى ما منعوه الخ.

منهجه :

إن من يرجع إلى المحكم يجد أنه قد اتبع نظام العين ، وما دخله من تهذيب فى كتاب مختصر الزبيدى لأن ابن سيده ، وقد أطلع على ماسبقه من المعاجم أحب أن يبرز معجمه فى صورة قوية فى جمع اللفظ وشرحه . مع ترتيب دقيق ، ولذلك اتبع الخطوات الآتية : —

١ — جمع الكلمات حسب مخارجها ، فبدأ بالحلقية ، ثم باللسانية ، ثم بالشفوية .

٢ — جمع الكلمات وتقلباتها فى نطاق واحد مراعياً أن يكون أبعدها مخرجا هو أساس البحث .

٣ — قسم الحروف إلى أبواب ، وهى الثنائى المضاعف الصحيح . الثلاثى الصحيح ، الثلاثى المضاعف المعتل ، الثلاثى اللفيف ، الرباعى ، الخماسى ، ثم استدرك على الزبيدى بناء آخر وهو السداسى ، وقد ذكره فى حروف الهاء والحاء والجيم ، ومثل له بألفاظ فارسية ، أو بأسماء أصوات كشاهقرم وحيطقطق وجلنبلق .

٤ — شرح الألفاظ شرحا دقيقاً مؤيداً بالمأثور من كلام العرب ، غير متقيد بنسبة الشعر إلى قائله .

٥ — اهتم بقواعد النحو والصرف ، وأكثر من القراءات القرآنية مع توجيهها لأن بلده كانت دعامة هذه الدراسة .

٦ — اختط أمراً جديداً لم يسبق إليه وهو قائم على ثلاثة أمور :

(ا) حذف أمور كحذفه المشتقات القياسية لاطرادها ، والأمور التى تفهم من سياق العبارة . ومن ذلك ما ذكره فى مقدمته : « ومن طريف اختصاره ورائق بديع نظم تقصاره ، أنى إذا ذكرت مفعلا لم أذكر مفعالا ، لعلمى أن كل مفعل مقصور عن مفعال على ما ذهب إليه الخليل ، ولذلك صحت العين من مفعل إذا كانت واوا نحو مجوب ، ومخيط لأنهما فى نية مجواب ومخياط . ومنه أنى لا أذكر أفعال إذا ذكرت أفعل من الألوان ، لأن كل أفعل عند سيبويه من الألوان محذوفة من أفعال إيثارا للتخفيف .

(ب) وأما التنبيه على الأمور فكثير : فمن ذلك أنى إذا رأيت صيغة معفول لا فعل له أشعرت بذلك ، نحو مدرهم ، ومفئود أعنى الجبان لا المصاب الفؤاد .

ومنه أنى إذا رأيت فعلا لا مصدر له أشعرت بمكانه ، نحو يذر ويدع فإنى أقول فى مثل هذا : وليس لهذا مصدر ، وكذلك إن لم يكن للفعل ماض أعلمت به أيضاً ، وذلك كهذين الفعلين اللذين لا مصدر لهما ، فإنه لا ماضى لهما . فإن كان للفعل مصدر قد عوض إياه من غير لفظه ، قلت لا مصدر له إلا هذا نحو ما حكاه سيبويه من قولهم : هو يدعه تركا .

ومنه التنبيه على الجموع التى تكسر على واحدها كملامح ، ومشابه وليال ، وإعلامى فى النسب إلى المضاف إلى أى المضافين يكون النسب ؟ وإشعارى بالصيغ المأخوذة من حروف الأول والثانى كعبدرى ، وعبشمى .

(ح) وأما تمييز المشتبهات فكثير : ومن غريب ماتضمنه هذا الكتاب تمييز أسماء الجموع من الجموع ، والتنبيه على الجمع المركب وهو الذى يسميه النحويون جمع الجمع ، فإن اللغويين جميعاً لا يميزون الجمع من اسم الجمع ، ولا ينبهون على جمع الجمع .

ومن طريف ما اشتمل عليه هذا الكتاب ،الفرق بين التخفيف البدلى والتخفيف القياسى ، وهو نوعان : تخفيف الهمز كقولى : إن قول العرب أخطأت ليس بتخفيف قياسى ، وإنما هو تخفيف بدلى محض ، لأن همزة أخطأت همزة ساكنة قبلها فتحة ، فصورة تخفيف الهمزة التى هذى نصبتها أن تخلص ألفاً محضة ، فيقال : أخطات ، كقولهم فى تخفيف كأس « كاس» وهذا الذى أبنت لك فى أخطيت ونحوه باب لطيف قد نبا عنه طبع أبى عبيدة وابن السكيت وغيرهما من متأخرى اللغويين ، فأما قد ماؤهم فأضيق باعا ، وأقسى طباعاً .

ومن ذلك أنه فرق بين الفعل المنقلب عن الفعل، وبين الفعل الذى هو لغة فى الفعل ، وليس بمنقلب عنه لوجود المصدر وعدمه : كجذب وجبذ ، فإنهما لغتان لأن لكل واحد منهما مصدراً . وأما يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة عن الأولى لأنه لا مصدر لأيس . ولا يحتج بإياس اسم رجل ، فإنه فعال من الأوس وهو العطاء كما يسمى الرجل عطية ، وهبة الله ، والفضل .

ومن أعجب ما اختص به هذا الكتاب تخليص الياء من الواو ، وتعيين ما انقلبت عنه الألف المنقلبة من ياء أو واو ، وتمييز الزائد من الأصل بتخليص الثلاثى ، والرباعى ، والخماسى .

وقد أوضح المؤلف قصده من هذه الأمور وهو النظام والاختصار، فقال : إن كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل،مقترن الشكل بالشكل ، لا يفصل بينهما غريب ، ولا بعيد ولا قريب ، مهذب الفصول ، مرتب الفروع بعد الأصول هذا إلى ما تحلى به من التهذيب والتقريب ، والإشباع والاتساع. والإيجاز والاختصار ، مع السلامة من التكرار والمحافظة على جمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة .

وقد أوضح فى مقدمته ، كل هذه الأغراض وذكر المراجع التى اعتمد عليها

فى اللغة والنحو والصرف ، ولذلك ترى أنه يقول : وليست الإحاطة بعلم كتابنا هذا إلا لمن مهر فى صناعة الإعراب ، وتقدم فى علم العروض والقوافى .

أمثلة من الكتاب :

العين والجيم ج ١ ص ٢٤ مطبوع بدار الحلبى :

عج يعج ويعج عجا وعجيجا : رفع صوته وصاح . وفى الحديث : « أفضل الحج العج والثج » العج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج صب الدم يعنى الذبح . وعجة القوم ، وعجيجهم . صياحهم وجلبهم ، ورجل عجاج : صياح والأنثى بالهاء ، قال .

قلت تعلق فيلقا هو جلاّ عجاجة هجاجة تألّى
لأصيحن الأحقر الأذلا

والبعير يعج فى هديره عجا ، وعجيجا : يصوت . ويعجعج . يردد عجيجه ، قال أبو محمد الحرلى .

وعجعجت عجعجة الموالية

وبعير عجاج : كثير العجيج شديده ، قال الشاعر :

وقربوا للبين والتقضى من كل عجاج ترى للغرض
خلف رحى حيزومه كالغمض

الغمض : المطمئن من الأرض . وعج الماء يعج عجيجا ، وعجعج كلاهما صوت . قال أبو ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج

وقوله : أنشده ابن الأعرابي :

بأوسع من كف المهاجر دفقة ولا جعفر عجت إليه الجعافر

عجت إليه : أمرته ، فللسيل صوت من الماء ، وعدى عجت بإلى، لأنها إذا مدته فقد جاءته وانضمت إليه . فكأنه قال : جاءت إليه ، أو انضمت إليه والجعفر هنا : النهر : ونهر عجاج : تسمع لمائه عجيجا . ومنه قول بعض الفخرة : « نحن أكثر منكم ساجا ، وديباجا ، وخراجا ، ونهرا عجاجا » ، وقال ابن دريد : نهر عجاج : كثير الماء ، وعجت القوس تعج عجيجا : صوتت، وكذلك الزند عند الورى . والعجاج الغبار ، وقيل هو من الغبار ماثورته الريح ، واحدته عجاجة . وعججته الريح : ثوورته. وأعجت الريح، وعجت : ساقت العجاج ، والعجاج . مثير العجاج ، وعجج البيت دخانا فتعجج ملأه والعجاجة الكثير من الإبل . والعجة . دقيق يعجن بسمن ثم يشوى ، قال ابن دريد : العجة . ضرب من الطعام لا أدرى ما حدها . وجئتهم فلم أجد إلا العجاج والهجاج . العجاح : الأحمق . والهجاج ، من لا خير فيه . والعجاج : اسم هذا الراجز ، قال ابن دريد سمي بذلك لقوله :

حتى يعج ثخنا من عجعجا ويودى المودى وينجو من نجا

وعجمعج بالناقة : إذا عطفها إلى شيء فقال : عاج عاج

مقلوبه ج ع ع

الجعجاع : الأرض ، وقيل هو ما غلظ منها ، وجعجع بالبعير نحوه في ذلك الموضع ، والجعجاع من الأرض ، معركة الأبطال ، والجعجاع : مناخ السوء من جدب أو غيره ، وجعجع الإبل وجعجع بها: حركها للإناخة أو النهوض . قال أوس :

كأن جلود النمر جيبت عليهم إذا جعجعوا بين الإناخة والحبس

والجعجعة : القعود على غير طمأنينة . وجعجع به : أزعجه . وكتب ابن زياد : «جعجع بالحسين» أى أزعجه وأخرجه . ومكان جعجع : ضيق ومنه قول تأبط شراً :

ربما أبركها فى مناخ جعجع ينقب فيه الأظل

أبركها : جشمها وأجشاها . وهذا يقوى من رواية من رواه .

من يذوق الحرب يجد طعمها مراً وتبركه بجعجـــاع

والأعرف ، وتتركه .

والجعجعة : صوت الرحى ونحوها ، وفى المثل : «أسمع جعجعة ولا أرى طحناً» . يضرب للرجل الذى يكثر القول ولا يعمل ، وللذى يوعد ولا يفعل .

مادة ثانية من الثلاثى ص ١٠٢ طبعة الحلبى

العين والقاف والذال :

العذق : كل غصن له شعب ، والعذق أيضاً : النخلة عند أهل الحجاز والجمع أعذق ، وعذاق ، والأخيرة عن الهجرى وأنشد :

إذا ازور بالشوك أعجاز نخلهم رأيت عذاق بينها لا تؤزر

فأما عذق بن طاب : فإنما سمو النخلة باسم الجنس فجعلوه معرفة .

ووصفوه بمضاف إلى معرفة فصار كزيد بن عمرو ، وهو تعليل الفارسى والعذق : القنو من النخل ، والعنقود من العنب ، وجمعه أعذق وعذوق . وقال أبو حنيفة : قال أصيل للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله عن مكة . «تركتها وقد أحجن ثمامها ، وأعزق إذخرها ، وأمشر سلمها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم . «دع القلوب تقر» ولم يفسر أبو حنيفة معنى قوله أعذق إذخرها والعذق العلامة تجعل على الشاة مخالفة للونها تعرف بها ، وخص بعضهم المعز . عذقها يعذقها عذقا وعذقها . وعذق الرجل بشر يعذقه عذقا . وسمه حتى عرف

به ، وهو من ذاك كأنه جعله له علامة . والعذق : إبداء الرجل إذا أتى أهله . والعذق : موضع .

مقلوبه ذع ق :

ماء ذعاق كزعاق، قال صاحب العين : سمعنا ذلك من عربي ، ولا أدري ألغة أم لثغة ، وذعق به ذعقا : صاح كزعق .

مقلوبة ق ذع :

قذعة يقذعه قذعاً وأقذعه وأقذع له : رماه بالفحش وأساء القول فيه. وأقذع القول : أساءه . والاسم مقذع ومنطق قذع وقذع وأقذع : فاحش قال زهير : —

ليأتينك منى منطق قذع باق كما دنس القبطية الودك

وقال العجاج :

« يا أيها القائل قولا أقذعاً »

وأقذعه : قهره بلسانه . وقذعه بالعصا يقذعه قذعاً : ضربه وقيل هو بالدال غير معجمة . وما عليه قذاع : أى شيء عن ابن الأعرابي . والأعرف قزاع بالزاى .

مميزات المحكم :

لقد أطبق علماء العربية على جليل المكانة التى لهذا المعجم ، ولذلك يحسن أن نورد بعض خصائصه ومميزاته التى رفعت قدره ، ومنها : —

١ ـ دقة التنظيم، ولذلك يعنى بإيراد الأفعال على شتى صورها من ماض،

ومضارع وأمر ، ولا يهمل إلا الوارد عن طريق القياس،ويعنى فى الأسماء بذكر جموعها قلة وكثرة ، ويعنى بإيراد مفرداتها .

٢ ـ اهتمامه بجمع الأقوال الكثيرة فى تفسير اللفظ الواحد ، ولكنه لا يعنى بنسبة الأقوال إلى أصحابها كما سار على ذلك الأزهرى فى تهذيبه .

٣ ـ عنايته بالإكثار من الشواهد التى تؤكد شرحه ، غير مقتصر على ما ورد فى المعاجم السابقة .

٤ ـ اهتمامه بشرح النبات ، ولذلك لم يقتصر على ما ورد فى المعاجم،بل لجأ إلى الكتب التى لها كبير المكانة فى هذه الناحية .

٥ ـ تجنبه للتكرار فى شرح الألفاظ ، وميله إلى الإيجـــاز الذى يفى بالمطلوب .

٦ ـ اهتمامه بقواعد النحو والصرف وخاصة فى المواد الثنائية وإن هذا الاهتمام نلمسه فى قول أحمد ابن فارس الشدياق صاحب الجاسوس إذ يقول : « هذه المناقشات النحوية التى نجدها فى كتب النحو قد كاف بها وارتاح لها ابن سيده فى المحكم كثيراً فما سنحت له فرصة للخوض فيها إلا انتهزها » .

٧ ـ اهتمامه بالعروض واللغات والأعلام ، وإن كان اهتمامه يقل عن المعاجم الأخرى .

المآخذ على المحكم :

لقد بدأ ابن سيده معجمه بمقدمة طويلة شرح فيها نهجه ، وأوضح قصده، وهو الدقة والتحرى والانتظام ، ولكن ابن سيده لم يعمل على تحقيق هذا الهدف للآتى :

١ ـ لم يف بما التزمه فى منهجه من الانتظام التام الذى باهى به ،وإن كان قد

أحسن صنعاً فى السير قدماً نحو الانتظام ، ولذلك لا نجد فيه الاضطراب بين الأبواب الثنائية والثلاثية والرباعية وغيرها .

٢ ـ احتواؤه على تفسيرات خاطئة ، فقد قال صاحب المحكم : هسع وهيسوع : اسمان وهى لغة قديمة لا يعرف اشتقاقها . . فعلق على ذلك الفيروزبادى فقال : لقد أبعد أبو الحسن فى المرام وأبعط فى السوم ، وإن هذين الأسمين عربيان حميريان ، واشتقاقهما من هسع إذا أسرع ، وهاسع وهسيع كصرد مصغراً ، ومهسع بكسر الميم : أبناء الهميسع من حمير من سبأ ، فليعلم من أين تؤكل الكتف ، ليتنصل عن ارتكاب الكلف .

٣ ـ تصحيف الألفاظ : ومن ذلك ما قاله ابن سيده فى المحكم : وتقعوش الشيخ : كبر ، وتقعوش البيت : تهدم ، وقد خالف ذلك ابن الأعرابى فقال : تقعوش : كبر . وتقعوش البيت : انهدم بالسين غير معجمة . وقال : إن عجمها تصحيف .

٤ ـ الخطأ فى ضبط بعض الألفاظ : قال ابن سيده : وعيهم اسم موضع بالغور . قالت امرأة من العرب ضربها أهلها فى هوى لها :

ألا ليت يحيى يوم عيهم زارنا وإن نهلت منا السياط وعلت

وقد ضبط « عيهم » فى القاموس المحيط وفى الحاشية ، وكذلك ضبطه ياقوت فى معجمه بفتح الهاء .

٥ ـ التصحيف فى كتابة الشواهد ، ومثال ذلك من القرآن أنه عند ما عرض لمادة « بخع » قال بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً : قتلها غيظا أو غما . وفى التنزيل : « لعلك باخع نفسك على آثارهم » . والموجود فى المصحف فلعلك بإثبات الفاء .

ومثاله من الحديث : القلاع النباش ، والقلاع الساعى إلى السلطان بالباطل

عن أبي زيد ، والقلاع : القواد ، وقوله فى الحديث : « لا يدخل الجنة قلاع ولا ديوث » يحتمل تفسيره جميع هذه الوجوه ، ولكن الأزهرى فى التهذيب ذكر « ديبوب » وفسره بالقتات النمام ، وارتضى صاحب التاج رواية الأزهرى ومن الشعر قال ابن سيده فى « عنق » أنشد ابن الأعرابى :

لا أذبح البازى الشبوب ولا أسلخ يوم القيامة العنقا

وقيل فى التعليق عليه إنما هو البازى ، وله قصة مروية ، وقائله العباد بن عبد الله الضبى .

٦ — الخطأ فى وضع اللفظ ، قال ابن سيده : دهاع ودهداع : زجر الغنم ودهع الراعى بالنوق ودهدع : زجرها بذلك . وقد علق عليه فقيل : هذا غلط وليس دهداع ولا دهدع من الثلاثى ، وإنما هو من الرباعى ، وقد قال بذلك البصريون والكوفيون ، ولكنه ساير صاحب العين فى هذا الحكم .

٨ — الخطأ فى الأحكام ، قال ابن سيده : العيهل : الذكر من الإبل والأنثى عيهلة ورد عليه فقد قال الأزهرى فى تهذيبه ، والجوهرى فى صحاحه « لا يقال جمل عيهل » .

٩ — إيراده بعض الألفاظ والمعانى التى نقدت من المعاجم السابقة كالعين والجمهرة ، مثل : طخطخ ، وعنكع .

١٠ — عدم مسايرته فى التنظيم المعجمى للتطوير الجديد الذى بدأه الجوهرى فى صحاحه ، ولكنه اتبع نظام التقليبات التى فرمنها أصحاب المعاجم بغية تيسير البحث ، وتسهيل الدرس .

أثر المحكم :

إن هذا المعجم قد لقى تقديراً من أصحاب المعاجم المتأخرة ، وأكثروا

من اللجوء إليه ، وبعضهم اكتفى بالجمع بينه وبين المعاجم الأخرى كما فعل ابن منظور فى « لسان العرب » .

وابن مكتوم فى الجمع بين « العباب والمحكم » .

والمعجم ظل إلى عهد قريب مخطوطاً ، وقد عنيت جامعة الدول العربية بأمره ، فعملت على نشره ،

وقد طبع منه جزآن فى دار الطباعة الحلبية ، وإنا لنرجو أن يتم نشره ليعم نفعه ، ويكثر تداوله بين قراء العربية.

(ب) التقليبات الهجائية :

الجمهرة

مؤلفه :

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولد بالبصرة فى سكك صالح سنة ٢٢٣ هـ فى خلافة المعتصم ، وتوفى سنة ٣٢٥ هـ ، وهو من بيت علم ورئاسة ، لأن والده من الرؤساء ذوى اليسار ، وقد تلقى علومه بالبصرة ، فدرس اللغة والأدب والشعر والنسب ، وكان ذا حافظة نادرة ، ويروى فى ذلك أن عمه دخل عليه ومعلمه أبو عثمان الأشناندانى يرويه قصيدة الحارث بن حلزة التى مطلعها .

آذنتنا ببينها أسمـــاء رب ثاو يمل منه الثواء

فقال ابن دريد ، قال لى عمى : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دخل مع المعلم لتناول الغذاء ، فما إن رجع بعد مضى ساعة حتى حفظت ديوان الحارث جميعه ، وأخبرت أباعثمان بذلك فاستعظمه ولكنه بعد اختبارى وجدنى قد حفظته ؛ فأخبر عمى بذلك فأعطانى ما كان وعدنى به.

أساتذته .

وقد تلقى علومه عن شيوخ أجلاء ، وعلماء أفاضل ، كأبى حاتم السجستانى ، وأبى الفضل الرياشى ، وأبى عثمان الأشناندانى ، والعتبى وغيرهم ممن ذاع أمرهم ، واشتهر فضلهم ، فكان لهم أثر كبير فى تثقيفه . ولما وصل إلى مكان الصدارة تلقى عنه العلم أساتذة جهابذة نذكر منهم :

تلاميذته :

أبو سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافى ، وأبو الفرج الأصفهانى صاحب

الأغانى ، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه ، وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى النحوى ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجى ، وغير هؤلاء كثير ، ممن نبه ذكرهم ، وذاع فضلهم ، وإن معظم تلامذته السابقين هم الدعامة للمدرسة البغدادية النحوية ، كابن خالويه ، والسيرافى ، والرمانى .

منزلته العلمية :

كان ابن دريد حجة فى اللغة ، ولكن العلماء نالوا منه ، ولعل شربه النبيذ جعلهم يتهجمون عليه ، وهاك قول بعضهم : فالدار قطنى يقول : قد تكلموا فيه . وأبو ذر الهروى يقول كنا ندخل على ابن دريد ونستحى منه ، لما نرى العيدان المعلقة والشراب المصفى موضوعا ، وقد كان جاوز التسعين سنة . وقال الأزهرى فى تهذيبه[1] : «ومن ألف فى زماننا فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ ، وإدخال ماليس من كلام العرب فى كلامها أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد صاحب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الأسماء ، وكتاب الملاحق . وقد حضرته فى داره ببغداد غير مرة فرأيته يروى عن أبى حاتم ، والرياشى وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، وسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ، ولم يوثقه فى روايته ، وألفيته أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره ، وقد تصفحت كتابه الذى أعاره اسم الجمهرة ؛ فلم أره على معرفة ثاقبة ، ولا قريحة جيدة . وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها ؛ فأثبتها فى كتابى فى مواقعها لأبحث أنا وغيرى عنها» .

هذا كلام العلماء فيه ، ولكن الثابت أن كتابه قد شاع فى عهده واعتمده الأئمة رواية وقراءة ، وتداولوه ، ولم يطعن فيه أحد أنه كذب فى رواية كلمة أو أسند إلى أئمة اللغة مالم يقولوا .

ويظهر أن عكوفه على الشراب جعل بعض الناس يتزيدون فيه ، وهيأت

(١) تهذيب رقم ٩ لغة مخطوط بدار الكتب ص ١٥ .

الفرصة للأزهرى الذى نال من غيره أن ينال منه . وقد مر بنا أن له هدفا وهو الإضعاف من قيمة غيره ليرتفع شأنه ، ويسمو كتابة ، ويصبح المرجع المهم لدى قراء العربية . ويعزز مكانة بحثه وقوة كتابته أن الفارسى وتلميذه ابن جنى أشادا بالكتاب ، وأوضحا أنه معتمد من القوم ، وتلك شهادة مجردة من الهوى ، مبرأة من الزيف . صادرة من رجال موثوق بكلامهم ، متفق على جليل مكانتهم فى العربية .

أخلاقه :

كان جوادا سمح النفس لا يمسك بدرهم ، إلا أن عكوفه على الشراب ، لا يليق بمكانة العلماء، جعلت الناس يصدفون عنه. ويحكى أن سائلا سأله شيئاً فلم يكن عنده غير دن من نبيذ فوهبه له ،فأنكر عليه أحد غلمانه . وقال . تتصدق بالنبيذ ؟ . فقال : لم يكن عندى شيء سواه ، ثم أهدى له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ ، فقال لغلامه : أخرجنا دناً فجاءنا عشرة !

شعره :

كان ذا بصر بالشعر ؛ ومقصورة ابن دريد التى علق اسمها بكل لسان خير هاد لتلك المنزلة ، ومرشد إلى تلك المكانة . وله أشعار كثيرة رواها القالى فى أماليه ، وذكرها الزجاجى وغيره ، وإن الناظر إليها ليتبين منها جودة القريحة ، ورقى الخيال ، والبعد عن الافتعال .

ومن ذلك ماروى فى النرجس :

عيون ما يلم بها رقاد ... ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت ... وتضحك حين ينحصر السواد
لها حدق من الذهب المصفى ... صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ... ضياء مثله لا يستفاد

على قصب الزبرجد فى زراها لأعين من يلاحظها مراد

ومن شعره ما أنشده أبو على القالى فى أماليه ج ٢ ص ١١٥ :

ليس المقصر وانيا كالمقصر حكم المعذر غير حكم المعذر
لو كنت أعلم أن لحظك موبقى لحذرت من عينيك ما لم أحذر
لا تحسبي دمعى تحدر إنما نفسى جرت فى دمعى المتحدر
خبرى خذيه عن الضنا وعن البكا ليس اللسان وإن تلفت مخبرى
ولقد نظرت فرد طرفى خاسئا حذر العدا وبهاء ذاك المنظر
يأمى يحسن لى التستر فاعلمى لو كنت أطمع فيك لم أتستر

مؤلفاته :

لابن دريد مؤلفات كثيرة ، أعلاها قدراً ، وأشرفها ذكراً كتاب «الجمهرة» وله كتب أخرى ذكرتها كتب الطبقات نذكر منها :

١ — كتاب الاشتقاق
٢ — « السرج واللجام
٣ — « المقصور والممدود
٤ — « غريب القرآن
٥ — « أدب الكتاب على طريقة أدب الكاتب لابن قتيبة
٦ — « اللغات .

وغير ذلك كثير أشارت إليه كتب الطبقات .

وقد ظل ابن دريد بالبصرة إلى أن ظهر الزنج وقتلوا الرياشى فى شوال سنة ٢٥٧ هـ ، فارتحل مع عمه الحسين بن دريد إلى عمان ، وأقام بها اثنتى عشرة سنة ، ثم عاد إلى البصرة ، واعتلت صحته لإصابته بفالج برىء منه ، إلى أن عاودته العلة ومات سنة ٣٢٥ هـ

هدف الجمهرة:

إن المطلع على الجمهرة يستبين له ما يهدف إليه ابن دريد من هذا الكتاب وهو حشد الجمهور من كلام العرب ، وإرجاء الوحشى المستنكر ، وهذا هو السبب فى تسمية كتابه بالجمهرة . فقد قال فى ص ٤ من الجمهرة ، قال أبو بكر:

« وإنما أعرناه هذا الاسم لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشى المستنكر ، والله المرشد للصواب .

منهجه :

سار ابن دريد فى الجمهرة على النظام الآتى :

١ — اتبع نظام التقلبات الأبجدية : بأن جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة مهما اختلف ترتيبها تحت نطاق واحد ، ووضعها تحت أول الحروف ترتيباً ، وهذه هى المخالفة للخليل ، وللأزهرى ، فمثلا الكلمات المكونة من الراء ، والباء ، والكاف ، وهى: ربك ، ركب ، كرب ، كبر ، برك بكر ، يبحث عنها فى كلمة مبدوءة بالباء لأنها أول الحروف ترتيباً ، فيبحث عنها فى بكر ، أو برك .

٢ - نظر إلى الحروف الأصلية ، وجردها من الزوائد

٣ — راعى نظام الكمية : فبدأ بالثنائى ، ثم بالثلاثى الصحيح ثم بالمعتل ثم بالرباعى الأصلى ثم بالملحق به ، ثم بالخماسى الأصلى ، وختم الكتاب بباب النوادر لقلة ما جاء على ألفاظها

وقد بدأ كتابه بحمد الله ، والصلاة على محمد بشير رحمته ، ونذير عقابه ،

وأوضح أنه عاش فى عصر قلت فيه الرغبة إلى الأدب ، وصدفت النفوس عن تفهم لغة العرب ؛ وظل كذلك إلى أن اتصل بأبى العباس اسماعيل بن عبدالله ابن محمد بن ميكال، ودعا له بالتوفيق لأنه وجد فيه شابا ذكيا ، وسابقاً مبرزاً فارتجل الكتاب المنسوب إليه «الجمهرة» وابتدأ فيه بذكر الحروف المعجمة التى هى أصل تفرع منها جميع كلام العرب ، ثم أبان أنه لم يجر فى إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بالعلماء ولا الطعن فى السلف ، ثم استنكر ذلك بقوله: «وأنى يكون ذلك ، وإنما على مثالهم نحتذى ؛ وبسبلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبتنى . وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه «كتاب العين» فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغاب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد . .

ولكنه رحمه ألف كتابه مشكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره ، ثم أبان أنه ألف كتابه والنقص فى الناس فاش، وأوضح أن من يريد التماس حرف ثنائى فليبدأ بالهمزة والباء إن كان الثانى باء ثقيلة أو الهمزة والتاء إلى آخر الحروف ، وأما الثلاثى فقد بدأ بالسالم ثم أردفه بالملحق بحرف زائد ، ثم بالرباعى ، ثم بالخماسى .

ثم ذكر فى المقدمة أن الناظر فى هذا الكتاب لابد له أن يعرف الحروف المعجمة ، ليتمكن من معرفة عدد الأبنية. ويعرف ما يأتلف منها وما لا يأتلف وسر الائتلاف وعدمه ؛ ثم ذكر أن عدد الحروف تسعة وعشرون حرفا، منها حرفان اختص بها العرب وهما الحاء ؛ والظاء ، وقال أن هناك من زعم أن الحاء فى السريانية، والعبرانية ، والحبشية ، وأن الظاء وحدها مقصورة على لغة العرب ، ومنها ستة أحرف للعرب ؛ ولقليل من العجم ، وهى : العين والصاد ، والضاد ، والقاف، والطاء ، والثاء ، وماسوى ذلك فللخلق كلهم من العرب والعجم إلا الهمزة ، فانها لم تأت فى كلام العجم إلا فى الابتداء

ثم ذكر أن هناك حروفا تكون بين هذه الحروف، ولم ترد فى كلام العرب كالحرف الذى بين الباء والفاء، وهو الباء الثقيلة مثل « بور » إذا اضطروا إليه قالوا « فور ». ومثل الحرف الذى بين الجيم والكاف وهى لغة سائرة فى اليمن مثل « جمل » إذا اضطروا إليه قالوا: « كمل » بين الجيم والكاف.

ثم أفرد باباً لصفات الحروف وأجناسها، فقال: إن الحروف سبعة أجناس يجمعها لقبان: المصمتة، والمذلقة، وأن المذلقة ستة أحرف، والمصمتة اثنان وعشرون حرفا، ثلاث منها معتلات، وتسعة عشر حرفا صحاح، فمن المصمتة الصحاح حروف الحلق، وعدها، وذكر أن الهمزة أقصاها، وتليها الهاء ثم الحاء، وهى أقرب حرف لها، ويصير كل منهما إلى الآخر كقول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المـــده سبحن واسترجعن من تألهى

ثم عرض للحروف اللسانية، وأوضح أن القاف والكاف لا تأتلف فى كلمة واحدة فلا يقال « قك » ولا « كق ».

ثم ذكر الحروف المذلقة، وأوضح أن بعضها شفوى وهى الفاء والباء، وبعضها لسانى، بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى وهى الراء، والنون، واللام. وروى عن الأشنانداني سر هذه التسمية فقال: سمعت الأشنانداني يقول: سمعت الأخفش يقول: سميت الحروف مذلقة لأن عملها فى طرف اللسان، وطرف كل شىء ذلقه، وهى أخف الحروف، وأحسنها امتزاجاً بغيرها، وسميت الأخرى « مصمتة » لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياضها على اللسان، وأما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف: يريد أنه ساكن لا يتصرف فى الإعراب، وهو الألف الساكنة، وذلك أنه لا يكون إلا ساكناً أبداً، فمن أجل ذلك لم يبدأوا به، فإذا احتجت أن تحركه، تحوله إلى أحـــد الحروف المعتلات: الياء، والواو، والهمزة.

وذكر مخارج الحروف وأجناسها: فبدأ بالحلقية وأن أقصاها الهاء،

وهى أخت الهمزة والألف، ويليها العين والحاء، وآخرها الغين والخاء ثم عرض لحروف الفم بادئاً بأقصاها وهو القاف، والكاف، ثم أنهى المخارج بالشفوية وهى الفاء، والباء، والميم.

ثم عرض لصفات الحروف وهى الهمس، والجهر، والشدة، وأخذ يشرح كل صنف، ويذكر حروفه.

ثم ذكر بعض المبادىء الصوتية التى تراعى فى تأليف الكلمات، فأوضح أن تقارب المخارج يؤدى إلى الثقل على اللسان، ولذلك لا يكاد يجىء فى الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد فى كلمة واحدة لصعوبة ذلك.

ثم ذكر أنه لامناص من تعرف الباحث على الحروف الأصول، والزوائد، وعقد فصلا لذلك، وأبان أن المازنى جمعها فى حروف «اليوم تنساه»، وعرض لمواضع زيادة هذه الحروف

ثم عقد فصلا للأبنية وسماه باب الأمثلة، فذكر أنها عشرة وذكر أنها ثلاثية، ورباعية، وخماسية، وذكر أبنية كل نوع، والأمثلة التى وردت من هذا النوع.

وذكر فى تضاعيف الكلام أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو، والياء، والهمزة، وأقلها لثقلها على ألسنتهم: الطاء والذال.

وذكر بعد ذلك أن الثلاثى أكثر الأبنية، ثم أخذ فى ذكر المواد اللغوية وشرحها، ونحن نورد بعض الأمثلة لتكون على بينة مما سار عليه:

فى الجمهرة جـ ١ ص ٧٦ فى مادة: «د ل ل» جاء:

«الدل» من قولهم: امرأة ذات دل، أى شكل، أدله الرجل إدلالا: إذا وثق بمحبة صاحبه فأفرط عليه. ومثل من أمثالهم: «أدل فأمل». والدلالة حرفة الدلال. ودلة: اسم امرأة. والدليلى: مثل الخصيصى وما أشبهه، وقد أفرد لهذا باب تراه إن شاء الله.

ومن معكوس هذه المادة :

لده يلد لدأ : مايصب فى أحد شقى الفم . واللدود : الدواء الذى يلد به الرجل ، وفى الحديث « لد النبى صلى الله عليه وسلم » ولديد الوادى : أحد جانبيه . وهما لديدان .

قال الشاعر :

يرعون منخرق اللديد كأنهم فى العز أسرة حاجب وشهاب

واللدد : شدة الخصومة . والرجل ألد والقوم لد وكذا فسر فى التنزيل والله أعلم . ولد : موضع بفلسطين .

وجاء فى الحديث : « الدجال يقتله المسيح بباب لد » وبه سمى الرجل « ملدا » وهو مفعل من هذا .

مادة ثانية « ب ر ك » جمهرة ج ١ ص ٢٧٢ :

« البرك » : إبل الحى بالغاما بلغت قال الشاعر متمم بن نويرة اليربوعى :

إذا شارف منهن قامت فرجعت أنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا

والبرك : طائر قال الشاعر زهير :

حتى استغاثت بماء لارشاء له من الأباطح فى حافاته البرك

يعنى ضربا من الطير استغاثت من الصقر ، فجاءت إلى ماء ملتجئات إليه ، والبرك : الصدر فإذا إذا أدخلت فيها الهاء كسرت الباء فقلت بركة قال الشاعر : —

بذى البركة كالتابو ت والحزم كالقر

وكان أهل الكوفة يلقبون زيادا « أشعر بركا » والبركة معروف ، ويقال لا بارك الله فيه : لانجاه . فأما قولهم : بارك الله لنا فى الموت . فمعناه : بارك الله لنا فيما يؤدينا إليه الموت . وقد تكلم قوم فى « تبارك الله » ففسروه : بالعلو ، لأن

البركة فى الشيء النماء بعد النقصان ، وهذه صفة منفية عن الله عز وجل ، وقال آخرون : تبارك الله كأنه تفاعل من البركة ، وليس من النماء، وإنما هو راجع إلى الجلال والعظمة ، وتبارك : لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى، ولا يقال تبارك فلان فى معنى عظم ، هذه صفة لا تنبغى إلا لله عز وجل . وبرك البعير يبرك بروكا ، وهو أن يلصق بركه بالأرض، والبراكاء : الثبات فى الحرب كأنهم بركوا فيها . قال الشاعر بشر بن أبى خازم الأسدى :

ولا ينجى من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار

ويقال فى الحروب : براك براك : أى أبركوا . وتبراك : موضع بكسر التاء لأنه اسم ليس بمصدر . قال الشاعر المرار العبدوى :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين تبراك فشى عبقر

وابترك الدابة : إذا انتحى على أحد شقيه فى عدوه . وابترك الصيقل : إذا مال على المدوس فى أحد شقيه ، وذكر أبو زيد أنه سمع أعراب قيس يقولون : ما أبرك هذا الطعام أى ما أنماه .

والبريكان: أخوان من فرسان العرب قال أبو عبيدة : هما بارك وبريك، والبرك الصريمى الذى أراد أن يقتل معاوية ، وعوف البرك : أحد فرسان العرب وهو الذى يقال له : لا حر بوادى عوف. وذكر أبو مالك أنه سمع : طعام بريك فى معنى مبارك. والبكر : الفتى من الإبل، والأنثى بكرة. والجمع بكرات ، وبكار ، وبكارة ، وجارية بكر من جوار أبكار . وبكر الرجل فى حاجته تبكيراً وأبكر إبكاراً ، وبكر بكوراً .

قال الشاعر عمر بن أبى ربيعة :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

وقال آخر .

يا عمرو جيرانكم باكر فالقلب لاله ولا صابر

وصف الجمع بالواحد، والباكورة : النخلة المعجلة، وكذلك سائر الشجر، ويجمع البكر الإبل فى أدنى العدد بكراً ، وبكرانا والبكرة : المحالة الصغيرة، وبه سمى أبو بكرة لأنه انحرط بكرة من سور الطائف ، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكنى أبا بكرة . وقد سمت العرب بكراً ، ومبكرا ، وبكيرا وفى العرب أحياء ينسبون إلى بكر بن وائل ، وبكر بن سعد بن ضبة وغيرهما .

ويقال ربكت الطعام أربكه ربكا : إذا خلطته ، وكذلك لبكته لبكا سواء ، ومثل من أمثالهم « غرثان فاربكوا له » .

وقالوا أيضا : فالبكوا له وربك الرجل وارتبك ، إذا اختلط عليه أمره ويقال رمى فلان فلانا بربيكة ، أى بأمر ارتبك عليه أى اختلط ، والجمع الربائك . ورجل ربك : ضعيف الخيلة . والربيكة واللبيكة : دقيق يخلط بأقط وسمن .

والربيك : تمر وسمن يمرسان بخبز ، فيطعمهما الصبي إذا قل لبن أمه ، قال أبو الدهيم العنبرى :

فإن تجزع فغير ملوم فعل وإن تصبر فمن حبك الربيك

ويروى فمن حب الربيك ، أراد بقوله : حبك ما نحبك من الشحم فى بطنه ، أى ما عقده الربيك فى بطنك من الشحم

والربيكة : زعم أبو مالك أنها مصة يمصها المولود من أمه أو غيرها ، وقد جاء فى الشعر الفصيح .

ويقال : ركب الرجل يركب ركوبا ، والركاب : المطى لا واحد لها من لفظها ، وما لفلان حمولة ولا ركوبة ، أى مايحمل عليه ومايركبه . وركوبة ثنية معروفة صعبة سلكها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن ذلك قولهم :

كرب فى ركوبه أى عسر والركب : القوم الركبان ، والجمع الركوب مثل شرب وشروب ، والأركوب أيضاً : القوم الركاب ، والجمع أراكيب .

قال أبو مالك: لا يقال أركوب إلا فى ركبان الإبل خاصة والجمع أراكب. وركاب السرج : معروف . ومركوب : موضع معروف بالحجاز قريب من الطائف . قال الشاعر جنوب ذو الكلب الهذلى :

أبلغ بنى كاهل عنى مغلغلة والقوم من دونهم سعيا ومركوب

والتركبة : معروفة . والركبتان أصلا الفخذان اللذين عليهما لحم الفرج من الرجل والمرأة ، وكل شىء أثبته فى شىء : فقد ركبته نحو السنان فى الرمح وغيره . وفرس أركب ، والأنثى ركباء : إذا عظمت إحدى ركبتيهما وهو عيب ، وركيب الرجل : الذى يركب معه مثل أكيله وشريبه : وناقة ركبانة حلبانة تصلح للركوب والحلب . قال الراجز :-

ركبانة حلبانة صفوف تخلط بين وبر وصوف

الصفوف بالصاد تملأ المحلبين . وضفوف بالضاد المعجمة : أراد أنها تحلب ضفاً باليدين . وأركب المهر اركابا : إذا أمكن أن يركب . ورجل مركب إذا استعار فرساً يقاتل عليه ، فيكون نصف الغنيمة له ونصفها لصاحب الفرس . وقد جمع راكب على ركبان ، مثل صاحب وصحبان ، وراكب وركاب مثل عامل وعمال . والراكبة : فسيلة تتعلق بالنخلة لا تبلغ الأرض ، والجمع رواكب ، فأما قول العامة : ركابة ، فخطأ . وركبت الرجل أركبه ركباً : إذا ضربته بركبتك .

والكبر : ضد الصغر ، كبر كبراً : إذا أسن ، وتكبر : إذا تعظم . وكبر الشىء : معظمه وقد قرىء قوله جل وعز : «والذى تولى كبره» وكبره . والذى قرأ كبره حميد بن قيس . ورجل كبير وكبار ، كما قالوا طويل وطوال قال الأعشى :

كحفلة من أبي رياح يسمعها لاهه الكبار

وكبار فى وزن فعال وهى لغة يمانية. أهل اليمن يسمون الرجل الكبير كبار، وذو كبار: رجل ومنهم وسمعت رجلا يقول: أم شيخ أم كبار ضرب رأسه بالعصو: أى بالعصا. أكبرت الشيء أكبره إكباراً: إذا عظم فى صدرك وعجبت منه. وكذا فسر فى التنزيل: «فلما رأينه أكبرنه» فهذا معنى الإعظام والله أعلم قال أبو بكر: قال بعض المفسرين: أى حضن، وهذا شيء لا يعرف فى اللغة. وقال جل ثناؤه: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» أى أعجب إن شاء الله.

والكبرى أنثى أكبر، وجمع الكبرى: أكبر. وجمع الأكبر: أكابر. والتكبير فى الصلاة وغيرها تفعيل من قولهم الله أكبر. وبلغ فلان الكبر فى السن، وعلته كبرة. بفتح الكاف. والكبيرة من الذنوب، والجمع كبائر من قوله جل ثناؤه: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم».

والكرب: الغم معروف. وكربنى الأمر أى بهظنى وكان الكرب أشد من الغم. وكربت الدلو أكربها كربا، وأكربتها إكرابا. والدلو مكربة إذا شددت بها الكرب. وهو أن تشد طرف الرشاء بالعناج، والعناج: الحبل الذى يشد فى العراقى فيكون أخذها للماء أقل. وزعموا من ذلك قولهم: عنجت البعير: إذا أعطفت رأسه إليك بخطامه. قال الشاعر الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا قومه الكربا

والكرب: كرب النخل وهو أصول السعف، الذى يسمى بالفارسية «دبوج»، والكرابة: التمر الذى يلتقط من أصول الكرب بعد الجذاذ. الكريب: الكعب من القصب. والقنا، ويقال: وظيف مكرب: إذا امتلأ عصبا، وكرب الأمر فهو كارب: إذا قرب، قال الشاعر عبد قيس بن خفاف البرجمى:

أجبيل إن أباك كارب يومه فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل

وأنشد الأصمعى كارب يومه ، ويروى كارَبَ يومه ، أى قاربه . قال أبو بكر : يخاطب رجلا اسمه جبيل، أو امرأة يقال لها جبيلة ويقال : كربت بين وظيفى الحمار ، أو الجمل إذا دانيت بينهما بحبل أو قيد . قال الشاعر عبدالله بن عنمة الضبى : ـ

فازجر حمارك لا يرتع بروضتنا إذا يرد وقيد العير مكروب

وأبو كرب ملك من ملوك حمير ، وكذلك ملكى كرب وقد فسرناه فى كتاب الاشتقاق وقد سمت العرب كربا ، قال الشاعر دختنوس بن لقيط :

كرب بن صفوان بن شجنة لم يدع من مالك أحداً ولا من نهشل

وسموا كريبا ، ومعديكربا ، وكربت الأرض أكربها كرباً ، وكرابا إذا أثرتها للزرع ، ويقال فى المثل الذى يقال فيه « الكراب على البقر » ..

إنما هو الكلاب على البقر ، ولا أدرى ما صحته . ويقال : كربت أفعل كذا ، وكذا ، ويقال : هذه الغنم قراب مائة ، وكراب مائة . فأما قربان وكربان : فهو ما قارب الامتلاء

مميزات الجمهرة :

لقد ذكرنا مادتين لنتبين منهما طريقة ابن دريد فى جمع اللغة، وشرح ألفاظها ، وإنه ليبدو لنا اهتمامه الكبير بشرح الألفاظ ، والاستشهاد بمأثور كلام العرب من القرآن والحديث وشعر العرب الخلص ، وظهر لنا أيضا أنه لم يستشهد بكلام المولدين لأنه لا يحتج بهم .

ولذلك ترى أنه فى مادة « ب ظ ظ » ج ١ ص ١٢٧ يقول .

رجل ليس به ظبظاب أى ليس به داء ، وسألت أبا حاتم عن الظبظاب فلم يعرف فيه حجة جاهلية، إلا أنه قال فيه : بيت بشار وليس بحجة وأنشد :

« بغيتى ليس بها ظبظاب »

ويؤخذ عليه عدم اهتمامه بنسبة الأبيات إلى قائليها ، وقد حاول ذلك المستشرق الأستاذ «كرنكو» ناشر الكتاب قال (١): «وكثيراً ما ذكر ابن دريد أبياتاً من الشعر ، ولم يسم قائلها ، فراجعت هذه الكتب حتى وقفت على اسم الشاعر وقد رقمته بعد خط فاصل ، ليعلم الناظر فى هذا الكتاب أنه ليس من أصل كتاب ابن دريد » .

كما أنه لم يهتم بشرح تلك الشواهد فى بعض الأحيان أو التعليق عليها ، وهذه سنة الخليل فى كتابه « العين » إلا أن المتتبع للكتابين يبدو له انفراد ابن دريد ببعض الصيغ ، وبعض الشواهد مما يجعلنا نوقن أن ابن دريد لم يقتصر فى كتابه على العين ، بل رجع إلى كتب لغوية أخرى ، ولذلك لا نقبل طعن نفطويه على ابن دريد ومصانعته للأزهرى فى ادعائه سرقة الجمهرة ، وقد ذكر أبياتاً تفيد ذلك وهى :

ابن دريد بقره وفيه عي وشره
ويدعى من حمقه وضع كتاب الجمهره
وهو كتاب العين إلا (م) أنه قد غيره

ولذلك بدا للسيوطى عدم صحة كلامه ، وعقب عليه بقوله : « ولا يقبل فيه طعن نفطويه ، لأنه كان بينهما منافرة عظيمة » ، وقد هجاه ابن دريد بقصيدة منها :

لو أنزل الوحى على نفطويه لكان ذاك الوحى سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه مستأهل للصفع فى أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخاً عليه

---

(١) مقدمة الجمهرة ص ١٩ .

كذلك يبدو لنا اهتمامه بالقراءات القرآنية وتوجيهها كما مر فى المثال الثانى فى قراءة : « والذى تولى كبره » بضم الكاف عند حميد بن قيس .

كذلك يبدو أهتمامه باللغات الواردة عن القبائل العربية ونسبتها إلى أصحابها كقوله كبار فى وزن فعال وهى لغة يمانية ، يسمون الرجل الكبير كباراً ، وقد كان شديد التعصب للغة اليمن كما يبدو ذلك لمتصفح الكتاب ويظهر أن ذلك راجع لأنها لغته الأولى .

كذلك يبدو اهتمامه بالإشارة إلى المعرب ، والدخيل من الرومية أو الحبشية أو العبرية ، أو السريانية ، وقد عقد له فصلا خاصا فى الأبواب الملحقة بالمعجم ، فضلا عما وجد فيه متناثراً إبان شرحه للمواد مما لفت نظر صاحب اللسان عند عرضه لمادة « دخيل » إذ قال: كلمة « دخيل » أدخلت فى كلام العرب وليست منه ، استعملها ابن دريد كثيرا فى « الجمهرة » .

المآخذ على الجمهرة :

لقد وجه إلى الجمهرة بعض المآخذ ، وهذا أمر طبيعى ، فالنقد هو الطريق السليم للوصول إلى الكمال ، إلا أن بعض الناقدين كالأزهرى كان شديد الطعن عليه ، ويظهر أن صلته بنفطويه ، ورؤيته ابن دريد يحتسى الشراب ورغبته فى التنكيل بكل اللغويين لهدف يرمى إليه .. وهو إضعاف ماسواه ليرفع قدره وتروج بضاعته وقد قرن الجمهرة بالعين فى عداد من لا يوثق به ، وكذلك سار هذه الطريقة أحمد بن فارس ، وسنورد الأمور التى وجهت إلى هذا المعجم .

١ — الكذب وصنع الألفاظ :

وهذه تهمة وجهها إليه الأزهرى (١) فقد قال : « ومن ألف الكتب

(١) المزهر للسيوطى طبعة صبيح ج ١ ص ٢٥٨ — ، مقدمة الجمهرة ص ٧

فى زماننا فرمى بافتعال العربية ، وتولد الألفاظ أبو بكر بن دريد ، وقد حضرته فى داره ببغداد غير مرة ، فرأيته يروى عن أبى حاتم ؛ والرياشى وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعى. وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة يعنى نفطويه. فلم يعبأبه، ولم يوثقه فى روايته ،إلا أن العداء المعروف بينه وبين نفطويه ، وتأليبه اللغويين ضده يجعلنا نتحرج فى قبول كل مايقال ضدابن دريد. لأننا نجد السيوطى فى المزهر يدافع عنه ويقول : « معاذ الله هو برىء مما رمى به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه فى روايته ،وأوضح الملاحاة بينه وبين نفطويه التى كانت سببا فى هجاء كل منهما لصاحبه تجعلنا لانقبل مطاعن نفطويه ، وقدمر ذكر أبيات كل منهما فى هجاء الآخر .

٢ — انفرده بأشياء لم توجد فى كتب المتقدمين ، ومن ذلك ماذكره السيوطى فى باب معرفة الإفراد عن اللغويين مثل قوله . إفراد أبى زيد الأوسى الأنصارى ، قال فى الجمهرة : المنشبة : المال ؛ هكذا قال أبو زيد ولم يقله غيره ، ومثل قوله : ومن أفراد الخليل ، قال فى الجمهرة : الرت والجمع رتوت وهى الخنازير الذكور ولم يجىء به غير الخليل ، إفراد أبى الخطاب الأخفش الأكبر فى الجمهرة ، الجث : ماارتفع من الارض حتى يكون له شخص مثل الاكمة ونحوها قال الشاعر :

وأوفى على جث والليل طرة على الأفق لم يهتك جوانبها الفجر

قال وأحسب أن جثة الإنسان من هذا اشتقاقها . وقال قوم من أهل اللغة لاتسمى جثة إلا ان يكون قاعداً ، أو نائما . فأما القائم فلا يقال جثة ، إنما يقال قمتة . وزعموا أن أبا الخطاب الأخفش كان يقول : لاأقول جثة [الرجل إلا لشخصه على سرج ، أورحل ويكون معتما ، ولم يسمع من غيره، إلا أنه يبدولى أن الانفراد لاضير فيه مادام قائله من أهل الضبط والدقة كما سبق أن قيل ذلك فى العين ، ولو لاأن ابن دريد صرح فى مقدمة كتابه بأنه لايهتم إلا بالجمهور لكان ذلك من المفاخر التى تعدله .

٣ — إكثاره من الألفاظ المولدة والمريبة وتلمس ذلك فى الفصل الذى عقده السيوطى فى « النوع العاشر (١) معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات » وقد كان اعتماد السيوطى على الجمهرة فى أغلب الأمر ، ومن ذلك: الدجى مقصورة : الظلمة فى بعض اللغات يقال ليله دجياء . ومن ذلك هبت الريح هبوبا وقالوا هبا وليس فى اللغة العربية الغالبة . ومن ذلك : ذأى العود ليس باللغة الغالبة ، والفصيح ذوى وغير ذلك كثيراً .

٤ — التصحيف ، وقد اتهمه به الأزهرى فقال فى مقدمة التهذيب: « وتصفحت كتاب الجمهرة فلم أره دالا على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها » .

ومن ذلك ما ذكره الناشر فى تعليقاته على أبيات أمرىء القيس فى مادة « أل » والآل : الأول فى بعض اللغات ، قال أمرؤ القيس .

لمن زحلوقة زل له العينان تنهل
ينادى الآخر الآل ألا حلوا ألا حلو

فنرى أن الناشر يكتب تعليقة (٢) : « أهل العالية يقولون زحلوفة بالفاء ، وبنو تميم وهوزان تقول بالقاف وهو المكان الزلق الذى يلعب فيه الصبيان ينحدرون من فوق إلى أسفل. ثم يعقب ذلك بقوله : قال الصاغانى قوله حلوا بخط الأزدى فى الجمهرة بالحاء المهملة المضمومة ، وبخط الأزهرى فى التهذيب ألا خلوا ألا خلوا بفتح الخاء المعجمة . وقال ابن الأعرابى عن المفضل بالخاء ، ومن رواه بالحاء المهملة فقد صحف .

٥ — مخالفته لمنهجه الذى رسمه ، واضطرابه فى خطته التى ذكرها: فقد أوضح أنه قصد الجمهور الشائع وأرجأ الغريب المستنكر ، ولكن من يعنى

(١) المزهر طبعة صبيح جـ ١ ص ١٢٩ (٢) ص ١٩

بقراءة مابين السطور يستبين له اهتمامه الكبير بالغريب والنادر، ويضع ذلك في عناوين الأبواب

٦ — تقصيره في شرح الألفاظ الدالة على الحيوان والنبات والآلات مكتفيا بالتعقيب عليها بأن هذا شيء معروف ، وهذا أمر درج عليه اللغويون في كتبهم، ويظهر أن عدم معرفتهم لهذه الأشياء أو وضوحها لدى الأفهام في هذه الحقبة جعلهم يقفون هذا الموقف .

٧ — ذكره تقاليب الكلمة في موضوع واحد مما يجعل البحث فيه عسيرا ، وقد ذكر ذلك في كتاب العين .

ومهما يكن من أمر فإننا لانستطيع جحد هذا العمل الجليل وغمط هذا المعجم ، فهذا أمر واضح يقربه أولو النهى والبصر باللغة ، ومعرفة المشتقات التي عاناها أولئك الأعلام ، فجزاهم الله عن العربية خير الجزاء .

دراسات حول الجمهرة :

لقد كان لهذا المعجم أثر بارز ، وفضل كبير على العربية والمهتمين بها وقد دعا ذلك فريقا من المعنيين بتلك اللغة أن تكون لهم كتب وأبحاث حول هذا المعجم من ذلك :

١ - فائت الجمهرة لأبي عمر الزاهد المتوفى ٣٤٥ هـ

٢ — جوهرة الجمهرة للصاحب بن عباد المتوفى ٤٣٦هـ

٣ — الموعب لابن التياني المتوفى ٤٣٦هـ

٤ — نظم الجمهرة ليحيى بن معط المتوفى ٦٢٨ هـ

٥ — نشر شواهد الجمهرة لأبي العلاء المعرى المتوفى ٤٤٩ هـ

٦ — مختصر الجمهرة لشرف الدين الأنصارى المتوفى ٦٣٠ هـ

ومع ذلك فلم يصلنا شيء من هـــذه الكتب سوى سردها فى كتب التراجم ، ولو وصلتنا لأمكن معرفة التيارات القوية حول هذا العالم الفذ الذى أنبأتنا كتب التراجم بأنه قد أملى الجمهرة من حافظته ، ولم يعتمد على إملاء أو كتابة .

فجزاه الله عن العربية وطلابها خير الجزاء .

مدرسة القافية

لقد شق على الباحثين الرجوع إلى المدرسة الصوتية بصورتيها ، ففكر بعض الجهابذة فى تذليل صعبها ، وتيسير أمرها ، فأمكن لعماد هذه المدرسة الإمام الجوهرى وهو المتمكن من علوم اللغة ، وإمام نحوها وصرفها أن يبتكر طريقة التيسير المعجمية : وهى الرجوع إلى الأبجدية العادية مع ملاحظة أن تتكون المواد من أبواب وتقسم الأبواب إلى فصول ، فجعل الحرف الأخير فى الكلمة بابا ، والأول فصلا ، مع ملاحظة النظر إلى أصول الكلمة ، مجردة عن الزوائد ، وقد قيل : إن الذى حفزه على ذلك تيسير مهمة الساجع والناثر ، ويبدو أن تمكنه علم التصريف ومعرفته أن اللام أقل تعرضاً للتغيرات من الفاء واللام ، جعلته يرتاد تلك الطريقة ، ويتخذ لام الكلمة ياء ، ويجعل فصولها مكونة من جميع حروف المعجم على النسق المعروف مع ملاحظة الحرف الثالث أيضاً حتى تنتهى الكلمة ، وقد سار على هذا النسق كثير نذكر منهم :

١ — تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى المتوفى ٣٩٨ هـ

٢ — القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادى المتوفى ٨١٦ هـ .

٣ — تاج العروس للزبيدى المتوفى ١٢٠٥ هـ

٤ — لسان العرب لابن منظور المصرى الإفريقى المتوفى ٧١١ هـ

وسنبدأ الكلام تفصيلا على أتباع هذه المدرسة .

١ — تاج اللغة وصحاح العربية

مؤلفه :

الإمام أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى ، واختلف فى عام ولادته ونفاته، ولم يذكر تاريخ مولده سوى بعض المحدثين من أنه قد ولد بفاراب ٣٣٢ هـ وتوفى فى حدود المائة الرابعة سنة ٣٩٣ هـ وقيل ٣٩٨ هـ(١).

أساتذته :

تلقى الجوهرى علومه على أساتذة مشهود لهم بالتفوق العلمى: كأبى سعيد السيرافى ، وأبى على الفارسى، وخاله إبراهيم الفارابى. وتطلعت نفسه إلى التزود من علوم اللغة ، والتبحر فيها ، فسافر إلى بلاد الحجاز ، فشافه خلص العرب، وطوف ببلاد ربيعة ومضر . ولما قضى وطره من الطواف عاد إلى خراسان ونزل ضيفاً على أبى الحسين بن على وهو ذو منزلة بين الكتاب والفضلاء ، وتصدر للتدريس بعد ذلك .

تلامذته :

وقد تخرج على يديه أعلام فى اللغة ، كأبى على الحسين بن على وكأبى إسحاق صالح الوراق .

منزلته العلمية :

أجمع الباحثون على أن الجوهرى من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة. وقد

---

(١) معجم الأدباء ج ٦ ص ١٥١ ، انباه الرواة ص ٧٨١

ساعده توقد ذهنه على أن يصبح إماماً فى اللغة والأدب ، وقد تميز بجودة الخط، حتى قيل: إنه لا يفرق بينه وبين ابن مقلة . وقد ترك لنا آثارا جليلة ، خلدت ذكره وأعلت شأنه ، وقد ظل على هذا الحال من التدريس والتأليف إلى أن أصيب فى آخر حياته بوسوسة ، فصعد إلى أعلى الجامع القديم بنيسابور محاولا الطيران ، ويروى أنه قال بعد أن صعد السطح : أيها الناس إنى عملت فى الدنيا شيئاً لم أسبق إليه ، وسأعمل للآخرة أمراً لم أسبق إليه، وضم إلى جنبيه مصراعى باب ، ونابطهما بحبل وزعم أنه يطير، فألقى بنفسه من أعلى مكان فى الجامع فمات . وذلك فى حدود المائة الرابعة كما تقدم .

شعره :

وكان الجوهرى بارعاً فى قرض الشعر ، وكان يميـــل إلى الحكمة ومن حكمه :

لو كان لى بد من الناس قطعت حبل الناس باليأس
العز فى العزلة لكنه لا بد للناس من النـاس

وقوله :

زعم المدامة شاربوها أنها تنفى الهموم وتذهب الغما
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا أن السرور بها لهم تمـا
سلبتهم أدياهم وعقولهم أرأيت عادم ذين مغتما

مؤلفاته :

قد برزت للجوهرى تآليف جديدة تنبىء عن مكانته، وتعطى أدق صورة عن منزلته ، من ذلك «عروض الورقة» فى علم العروض وقد أخبر ياقوت بأنه كتاب جيد . وكتاب «المقدمة فى النحو» وقد أخبر ياقوت بأنه أحسن

تصنيفه ، وجود تأليفه ، وقرب متناوله ، وآثر من ترتيبه على من تقدمه ، يدل وضعه على قريحة سالمة ، ونفس عالمة . وله كتاب الصحاح الذى ألفه بنيسابور ، وصنفه لأبى منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى وهو عالم جليل ، وقد نال شهرة عالمية ، ومكانة عظيمة ، وقد أثنى عليه جـــلة العلماء كقول النيسابورى :

هذا كتاب الصحاح أحسن ما صنف قبل الصحاح فى الأدب
تشمل أبوابه وتجمع ما فرق فى غيره من الكتب

كلمة عن الصحاح :

ضبطه :

سمع فى الصحاح ضبطان ذكرهما السيوطى فى المزهر(١) فقد قال : قال أبو زكريا الخطيب التبريزى اللغوى : يقال كتاب الصحاح بالكسر وهو المشهور وهو جمع صحيح ، كظريف ، وظراف . ويقال الصحاح بالفتح وهو مفرد نعت كصحيح ، وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة فى فعيل كصحيح وصحاح وشحيح وشحاح ، وبرىء وبراء وأنشد بعضهم قول الشاعر :

لله قاموس يطيب وروده أغنى الورى عن كل معنى أزهرى
بذ الصحاح بلفظه والبحر من عاداته يلقى صحاح الجوهرى

فكسر الصاد من لفظ الصحاح . فقال أحد الحاضرين : الصحاح لا تكسر فعجب كل من كان بالمجلس من هذا الجواب مع سهولة اللفظ والتورية .

ويروى عن شيخ الإسلام الطبلاوى أنه قال : الصحاح بفتح الصاد أفصح وأكثر استعمالا ، وقال البدر الدمامينى فى تحفة الغريب : هو بفتح

(١) المزهر حـ ١ ص ٦٠ طبعة صبيح

الصاد اسم مفرد بمعنى ، والجارى على ألسنة الكثير كسرها على أنه جمع صحيح ، وبعضهم ينكره .

تلك هى الآراء فى الضبط ومن تتبعها يتبين لنا أن لا ضير فى اتباع أحد الضبطين ما دام مفهما للمقصود ، وإن كان الشائع على الألسنة نطقه بكسر الصاد ، ونذر أن ينطق أحد بالفتح إلا إذا كان قاصداً إبراز المعرفة بأمر غريب .

هدفه :

إن الغرض المنشود لأصحاب المعاجم قاطبة جمع اللغة، وحشد ألفاظها وتناولها بالشرح لإزالة الغموض ، وتأييد ذلك بمأثور القرآن والحديث ورصين الكلام من شعر العرب الموثوق بهم إلا أن هذا الأمر العام لا بد أن يصحبه هدف خاص لكل معجم ، ونستطيع من تتبع الآثار الواردة أن نتعرف هدف الجوهرى وقصده ، فهو دعامة لمدرسة جديدة فى عصره، ورأس لفكرة مستحدثة فى زمانه ، فقد وجد صعوبة البحث عن المفردات ، فى طريقة المعاجم السابقة ، ولذلك هدى إلى ابتكار الطريقة الميسرة للباحث ، والمذللة للدارس ، وهى جمع اللفظ العربى مراعى فيه الحرف الأخير فيجعل بابا ، والأول فيجعل فصلا ، ويظهر أن براعته فى علوم اللغة ، وبراعة تفكيره هدته إلى هذا المنحى ، وإن كان الأستاذ جورجى زيدان يعزو ذلك إلى رغبته فى التيسير على الشاعر فى توحيد القافية ، وعلى الناثر فى تحقيق السجع الذى شاع فى هذا العصر .

ولقد قيل: إذا كان الخليل أول من ابتدع الفكرة المعجمية فالجوهرى أول من يسر أمرها ، وذلل صعبها .

ثم إنه أضاف إلى فكرته وهى تذليل الصعوبة فى البحث قصره الجمع على صحيح اللغة ، بطريقة الرواية والدراية والصحة ، وقد تيسر له ذلك بمراجعة كتب اللغة، ومشافهة فصحاء العرب فى بلاد الحجاز وربيعة ومضر ،

مع الضبط الدقيق للألفاظ للتخلص من التصحيف الذى وقع فيه من قبله ، والتحريف الذى كان من أهم الأسباب الذى دعا الجوهرى لهذا المؤلف .

منهجه :

إن من يرجع إلى المعجم يتبين له النهج الذى رسمه لنفسه ، والطريقة التى اتبعها ، وقد صدر بمقدمة للعلامة أبو الوفا نصر الهورينى ، تحوى فوائد نافعة فى اللغة وفى صحاح الجوهرى خصوصاً وأنه قد ذكر فى الفائدة الأولى نظام المعجم، وأول من أخرج هذا النظام وهو الخليل فى العين. وذكر العلماء الذين ألفوا معاجم فى اللغة مهما اختلفت طريقتهم ، وتباينت مناهجهم وذكر الفائدة الثانية ، وترجمة لمؤلف الصحاح ، وعن نسخ الكتاب ومن ألف حوله. وفى الفائدة الثالثة الطريقة التى اتبعها ونحن نوردها فيما يلى : —

١ — جمع ألفاظ اللغة بطريقة جديدة وهى اتباع الأبجدية العادية ، ملاحظاً أواخر الكلمات فجعلها أبوابا . وأوائلها فجعلها فصولا ، وبذلك كانت الأبواب على عدد حروف الهجاء وهى تسعة وعشرون حرفاً ، ولكل باب عدد من الفصول ، قد يكثر هذا العدد وقد يقل كباب الراء إذ ليس له فصل اللام ، لأنه ليس فى العربية كلمة تبتدىء باللام وتنتهى بالراء، وكباب الظاء الذى ليس له إلا ستة عشر فصلا .

٢ — حشد فى الباب كل الكلمات التى تتفق مع الحرف الأخير ، ففى باب الهمزة وفصل الواو يذكر كل الكلمات وهى وبأ ، وثأ ، وجأ ، ودأ ، وذأ ، وزأ ، وضأ، وطأ ، وكأ ، وما ... وقد سبق أن ذكرنا أن الأستاذ جورجى زيدان علل اختيار الجوهرى لهـــذا النظام لتيسيره القافية على الشاعر ، والسجع على الساجع، وقد أوضح الأستاذ العطار بأن هذه وجهة قليلة الجدوى، لايكتفى بها أمثال الجوهرى، لأنه ذو عقلية ناضجة، وفكرة ثاقبة فلا بد له من ناحية أسمى ذكراً ، وأبان بأن نبوغه فى علوم النحو

والصرف ، وتمكنه من اللغة قد أو صلاه إلى هذا المنهج لأن التغييرات تطرأ كثيراً على فاء الكلمة ولامها بالزيادة والتغيير . وأما اللام فيغلب بقاؤها على وضعها ، ولذلك اتخذ الكلمة أساس جمعه ، لأن الزيادة التى تدخل آخر الكلمة تكاد تقتصر على علامة التأنيث وهى التاء ، والألف ، وعلامة التثنية والجمع وأمرهما ظاهر : والوقوف عليهما متيسر ، بخلاف الزيادات أول كلمة ، أو وسطها فلا يقتصر على نوع معين ، يمكن تمييزه عما عداه .

٣ — جرد الكلمات من الحروف الزائدة ، ونظر إلى أصولها ، وعلى ذلك فكلمة استغفر وأشباهها ، وأكرم ونظائرها تجرد من الزوائد فتصير غفر وكرم ، ويبحث عن الأولى فى باب الراء فصل الغين ، والثانية فى باب الميم فصل الكاف وهكذا .

٤ — لم يكتف بما سبق من مراعاته الحرف الأول والأخير ، بل إنه لحظ الحرف الثانى ، والثالث فى الكلمات ، على النظام الأبجدى السابق ففى باب الميم والعين مثلا يأتى بالكلمات التى تتركب من هذين الحرفين مراعيا ما بعد العين وهو أن يأتى بالباء بعد العين إن وجدت ثم بالتاء وهكذا إلى آخر حروف الهجاء . وقد نظم بعضهم طريقة البحث فى الصحاح فقال :

إذا رمت كشفاً فى الصحاح للفظة ... فآخرها للباب والبدء للفصل
ولا تعتمد فى بدئها وأخيرها ... مزيداً ولكن اعتمادك للأصل

٥ — عنى بالضبط عناية دقيقة ، اتقاء التحريف والتصحيف الذى ملأ المعاجم الأخرى ، ومن قواعده فى ضبط الأسماء : أنه إذا قال عقب الكلمة بالضم أو الكسر مثلا فإنما يقصد الحرف الأول كما قال فى مادة « حقب » ص٤٥ ج ١ الحقب : بالضم ثمانون سنة ، ويقال أكثر من ذلك والجمع حقاب مثل قفة وقفاف . والحقبة بالكسر واحدة الحقب وهى السنون . وإذا قال بالتحريك فالضبط للحرفين الأولين ، مثل قوله فى مادة « حلب » ج١ ص ٤٥ والحلب بالتحريك اللبن المحلوب . وقد يشير إلى حركة الحرف الثانى إن لم

يكن معلوما كقوله : والرطب بالضم ساكنة الطاء : الكلأ ، وإذا كان فى الكلمة لغات أشار إليها كما فى كلمة حوب ، فقد ذكر فيها ثلاث لغات ، وكرر نطقها بعدد اللغات .

أما فى ضبط الأفعال فإنه يذكر الضبط الخاص بالعين ولعل ذلك لأنها هى التى تتغير بين الماضى والمستقبل .

٦ — اقتصر فى جمعه لألفاظ اللغة على ماصح عنده بطريق الدراية والرواية ، وقد سبق أن عرفنا تطوافه ببلاد ربيعة ومضر ، مما هيأله الاطلاع على النواحى الدقيقة .

٧ — شرح الألفاظ شرحاً دقيقاً ، ولكنه لم يخرج عما ذكر فى المعاجم السابقة عليه ، لأنها قد بلغت الغاية ؛ وإنه ليبدو لنا أن العين كان أساساً إما بالأصالة وإما بالنقل عن العلماء اللذين عولوا عليه .

٨ — لم يهتم بنسبة أقوال اللغويين إلى أصحابها ، وإن بدر منه ذلك ففى القليل ، وذلك رغبة منه فى الاختصار .

٩ — عنى بالإشارة إلى اللغات ، وبايراد الصيغ المختلفة للفظ الواحد من المصادر والصفات ، كقوله ج١ ص ٢٢٧ والرشاد خلاف الغى ، وقد رشد يرشد رشداً ، بالكسر يرشد رشده لغة فيه وأرشده الله .

١٠ — الإكثار من القواعد النحوية والصرفية كقوله فى ج ١ ص ٩ مادة «خطأ» والإسم الخطيئة فعيلة ، ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة أو واو ساكنة قبلها ضمة ، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق ، ولا هما من نفس الكلمة — فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء ، وتدغم فتقول فى مقروء مقرو ، وفى خبىء ، خبى . ثم يقول بعد ذلك : وجمع الخطيئة خطايا . وكان الأصل خطائى على فعائل بهمزتين ، فلما اجتمعت الهمزتان قلبت

الثانية ياء لأن قبلها كسرة ثم استثقلت ، والجمع ثقيل وهو معتل . ومع ذلك فقلبت الياء ألفا ، ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين.

كما أنه يشير إلى الشاذ من القواعد كقوله جـ١ ص ٤٠ مادة « حبب » . يقال : أحبه فهو محب ، وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب قال الشاعر :

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الرفق بالمرء أوفق
ووالله لولا تمره ما حبيته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

وهذا شاذ ؛ لأنه لا يأتى فى المضاعف يفعل بالكسر إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متعديا ماخلا هذا الحرف.

١١ — اهتمامه بالمعرب من الألفاظ مثل قوله « مادة صرج » جـ١ ص٥٥ الصاروج : الثورة وأخلاطها فارسى معرب. وكذلك كل كلمة فيها صاد وجيم لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب ، مثل قوله « توت » جـ١ ص١١٤ وهو الفرصاد معرب .

١٢ — شرحه لبعض الألفاظ العربية باصطلاحات فارسية ويبدو أن ذلك راجع لشهرة هذا المعنى فى عصره ، كقوله فى باب الجيم جـ ١ ص ١٥٢ والزمج مثال الجرذ : طائر يقال له بالفارسية « ده براد ران » .

١٣ — أورد بعض الألفاظ الإسلامية والمولدة مع التنبيه عليها كقوله فى مادة « صفر » جـ١ ص٣٤٨ وقال ابن دريد الصفران شهران من شهور السنة سمى أحدهما فى الإسلام المحرم .

١٤ — تعزيزه شرح الألفاظ بمأثور كلام العرب ، إلا أنه فى الشعر لم يعن بنسبة الأبيات إلى قائليها ، وهذا لا يمنع أن يذكر النسبة فى بعض الأحيان وليس على وجه الأطراد كقوله فى مادة صوت ، ح(١) ص١٢١ . الصوت معروف ، وأما قول رويشد بن كثير الطائى :

يأيها الراكب المزجى مطيته سائل بنى أسد ما هذه الصوت

١٥ — اهتم بالأعلام العربية سواء كانت لأشخاص أو قبائل أو أماكن إلا أن اهتمامه بأسماء القبائل كان أكثر .

١٦ — عنى بايراد الأمثال ، والتعبيرات المجازية والكنائية .

١٧ — أورد فى ثنايا أبحاثه كثيراً من المسائل المتعلقة بفقه اللغة مما تمس الحاجة إليها ، فقد عرض كثيراً للمناسبة بين اللفظ والمعنى ، وأوضح كثيراً من الفروق بين مدلول الكلمات ، كقوله قضم الشيء : كسره من غير أن يبين وقضمت الشيء : إذا كسرته حتى يبين . والخضم : أكل بجميع الفم ، والقضم دون ذلك .

١٨ — كما عنى بالإشارة إلى المشترك ، وهو اللفظ الدال على أكثر من معنى مع استواء الدلالة كقوله : والأرض ، وهى المعروفة ، وكل ماسفل وأسفل قوائم الدابة ، والنغضة ، والزكام . ومصدر أرضت الخشبة تؤرض أرضاً فهى مأروضة : إذا أكلتها الأرضة

١٩ — وأورد المتضاد وهو اللفظ الدال على معنيين متقابلين مع استواء الدلالة كقوله : عسعس الليل : إذا أقبل بظلامه ، وعسعس . أدبر . والرس الإصلاح بين الناس والإفساد . والاشراط : الأرذال . والأشراف ، والغابر : الباقى والماضى . وكل : مضى قدما ، وجبن .

٢٠ — وقد عرض للمعنى العام الذى تدور حوله المادة . وهو المعروف عند علماء اللغة بالاشتقاق الأكبر ، أو المقاييس كما سماها ابن فارس فى كتابه الذى أطلق عليه هذا الاسم ومن ذلك ما عرضه علينا فى مادة «نسأ» ج (١) ص ٢٥

فالنساء : أصل يدل على تأخير الشيء . تقول نسأت الشيء أخرته وكذلك أنسأته فعلت وأفعلت بمعنى تقول : أستنسأته الدين فأنسانى ، أنساه الله فى أجله ونسأه فى أجله بمعنى . والنسأة بالضم التأخير مثل الكلأة وكذلك النسيئة على فعيلة

تقول : نسأته البيع ، ونسأنه ، وبعته بنسأة ، وبعته بكلأة أى بآخرة وبعته بنسأة أى بأخرة ، ونسئت المرأة تنسأ نسأ على مالم يسم فاعله إذا كان عند أول حبلها، وذلك حين يتأخر حيضها عن وقته. وقوله تعالى: «إنما النسىء زيادة فى الكفر» هو فعيل بمعنى مفعول من قولك نسأت الشىء فهو منسوء إذا أخرته ثم يحول منسوء إلى نسىء ، كما يحول مقتول إلى قتيل ، ورجل ناسىء ، وقولهم نسأة مثل فاسق وفسقة ، وذلك انهم إذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء فيقولون : أنسئنا شهراً ، أى آخر عنا حرمة المحرم ، واجعلها فى صفر ، لأنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ؛ لأن معاشهم كان من الغارة ، فيحل لهم المحرم وقولهم: أنسأت سريتى : أى أبعدت مذهبى. قال الشنفرى:

عدون من الوادى الذى بين مشعل وبين الحسا هيهات أنسأت سريتى

وأنسأت : تأخرت وتباعدت . وكذلك الإبل إذا تباعدت فى المرعى قال الشاعر :

إذا انتسأوا قوت الرماح أتتهم عواثر تيل كالجراد تطيرها

ويقال : إن لى عندك انتساً وسعة . وهكذا من الأمثلة التى تبرز فيه وجهته من دوران المادة حول معانيها .

أمثلة من التاج :

« سدد » باب الدال فصل السين ح (١) ص ٢٣٣

التسديد : التوفيق السداد ، وهو الصواب ، والقصد من القول والعمل، ورجل مسدد : إذا كان يعمل بالسداد والقصد . والمسدد : المقوم ، وسدد رمحه ، وهو خلاف قولك: عرضه وسد قوله يسد بالكسر أى صار سديداً، وإنه ليسد فى القول فهو مسد إذا كان يصيب السداد أى القصد .

ويقال للرجل : اسددت ما شئت ، إذ طلب السداد والقصد .وأمر سديد وأسد ، أى قاصد . وقد استد الشيء : استقام وقال الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعداه رمانى

قال الأصمعى اشتد بالشين ليس بشيء ، والسداد، الاستقامة والصواب وكذلك السدد مقصور منه . قال الشاعر :

ماذا عليها وماذا كان ينقصها يوم الترحل لو قالت لنا سدوا

فحذف الألف ، تقول منه : أمر بنى فلان يجرى على السداد . وقد قال سداد من القول ، وأما سداد القارورة وسداد الفقرة فالكسر لا غير ، قال العرجى :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغـــر

وهو سدة بالخيل وبالرجال. وأما قولهم : فيه سداد من عوز ، وأصبت به سداداً من عيش ، أى ما تسد به الخلة فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح وسددت الثلمة ونحوها أسدها سداً : أصلحتها وأوثقتها . والسد : الجبل ، والحاجز . وصببت الماء فى القربة فاستدت عيون الخرز وانسدت بمعنى . وارض بها سدده وهى مادام فيها الماء زمانا ، الواحد سد بالضم مثل حجر وحجرة ، ويقال أيضاً : جاءنا جراد سد بالضم إذا سد الأفق من كثرته . قال العجاج :

* سيل الجراد السـد يرتاد الخضر *

والسد أيضاً : واحد السدد ، وهى السحائب السود ، عن أبى زيد . والسدة : داء يأخذ بالأنف يمنع نسيم الريح . وكذلك السداد مثل الصداع ، والعطاس . والسدة : باب الدار . تقول : رأيته قاعدا بسدة بابه . وفى الحديث « الشعث الرءوس الذين لا تفتح لهم السدد » . قال أبو الدرداء : من يغش سدد السلطان يقم و يقعد . وسمى اسماعيل السدى ، لأنه كان يبيع

المقانع والخمر فى سدة مسجد الكوفة ، وهى ما يبقى من الطاق المسدود . والسد بالفتح واحد الأسدة وهى العيوب ، مثل العمى ، والصمم ، والبكم جمع على غير قياس . وكان قياسه سدودا ، ومنه قوله : لا تجعلن بجنبك الأسدة : أى لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم وبكم . قال الكميت :

وما يجنبنى من صفح وعائدة عن الأسدة إن العى كالعضب

يقول : ليس بى عى ولا بكم عن جواب الكاشح ، ولكنى أصفح عنه لأن العى عن الجواب كالعضب وهو قطع يد ، أو ذهاب عضو . والعائدة : العطف . والسد أيضاً : يتخذ من قضبان له أطباق . والمسد : بستان ابن معمر وذلك البستان مأسدة ، قال أبو ذؤيب :

ألفيت أغلب من أسد المسد حد يد الناب أخذته عفر فتطريح

قال الأصمعى : سألت ابن أبى طرفة عن المسد . فقال : هو بستان ابن معمر الذى يقول له الناس بستان ابن عامر .

مادة ثانية : ج ١ ص ٤٥٠ باب السين فصل الخاء « خمس »

الخمسة : عدد يقال خمسة رجال ، وخمس نسوة ، والتذكير بالهاء ، وجاء فلان خامسا ، وخاميا أيضاً . وأنشد ابن السكيت :

قضى ثلاث سنين منذ حل بها وعام حلت وهذا التابع الخامى

والخمس بالكسر من أظماء الإبل : أن ترعى ثلاثة أيام ، وترد اليوم الرابع وقد أخمس الرجل أى وردت إبله خمسا ، والإبل خوامس ، والرجل مخمس . وأما قول شبيب بن عوانة :

عقيلة دلاه للحد ضريحه وأثوابه يبرقن والخمس مائج

فعقيلة والخمس رجلان . وأخمس القوم : صاروا خمسة . والخمس : برد من برود اليمن . قال أبو عمرو . وأول من عمله ملك من ملوك اليمن يقال له خمس قال الأعشى يصف الأرض :

يوما تراها كشبه أردية الـــخمس ويوما أديمها نقلا

ويوم الخميس جمعه أخماس ، وأخمسة . والخميس : الجيش لأنهم خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساق . ألا ترى إلى قول الشاعر :

« قد يضرب الجيش الخميس الأزورا »

فجعله صفة ، والخميس : الثوب الذى طوله خمس أذرع . ومنه حديث معاذ رضى الله عنه « ائتونى بخميس أو لبيس » كأنه يعنى الصغير من الثياب . وكذلك المخموس مثل جريح ، ومجروح وقتيل ومقتول . قال عبيد يصف ناقته :

هاتيك تحملنى وأبيض صارما ومذربا فى مارن مخموس

يعنى رمحا طول مارنه خمس أذرع : وخمست القوم أخمسهم بالضم : إذا أخذت منهم خمس أموالهم . وخمستهم أخمسهم بالكسر : إذا كنت خامسهم ، أو كملتهم خمسة بنفسك ، وشىء مخمس : أى له خمسة أركان . وحبل مخموس : أى من خمس قوى . وتقول : عندى خمسة دراهم الهاء مرفوعة : وإن شئت أدغمت لأن الهاء من خمسة تصير تاء فى الوصل فتدغم فى الدال ، فإن أدخلت الألف واللام فى الدراهم . قلت عندى خمسة الدراهم بضم الهاء ، ولا يجوز أن تدغم لأنك قد أغمت اللام فى الدال ، ولا يجوز أن تدغم الهاء من خمسة ، وقد أدغمت ما بعدها ، قال الشاعر :

مازال مذ عقدت يداه إزاره فسما فأدرك خمسة الأشبار

وتقول فى المؤنث : عندى خمس القدور كما قال ذو الرمة :

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافى والرسوم البلاقع

وتقول : هذه الخمسة الدراهم ، وإن شئت رفعت الدراهم وتجريها مجرى النعت ، وكذلك إلى العشرة . وقولهم : فلان يضرب أخماساً فى أسداس : أى يسعى فى المكر والخديعة، وأصله فى إظماء الإبل، وغلام رباعى وخماسى ولا يقال سباعى لأنه إذا بلغ سبعة أشبار صار رجلا .

* * *

مميزات الصحاح :

مما لا يحتاج إلى الإفاضة فى القول ، أن الصحاح ظهرت فيه المميزات المنشودة من المعاجم لأنه راعى الأمور الآتية :

١ — اتباعه فى الجمع طريقته الجديدة، التى سهلت على الباحث الكشف عن الغامض من الكلمات .

٢ — اقتصاره على الصحيح من اللغة ، وإن كان فى بعض الأحايين ينبه على غيره ، إلا أنه ليس أصلا فى بابه .

٣ — اختصاره فى نسبة الأقوال إلى أصحابها ، مع مراعاة السهولة فى شرح الألفاظ .

٤ — اهتمامه بإيراد الشواهد المنبئة عن المراد من الكلمة، وإن لم يعن بنسبتها إلى قائليها فى كثير من الأحيان .

٥ — اهتمامه بالضبط للأسماء والأفعال لينجو معجمه من التصحيف الذى كثر فى غيره

٦ — اهتمامه بالأعلام وخاصة أسماء القبائل العربية

٧ — اهتمامه باللغات الضعيفة والمنكرة والمذمومة كقوله: جرعت بالماء بالفتح لغة أنكرها الأصمعي. وجفأت القدر : كفأتها وصببتها ، ولا تقل أجفأتها . وأما الحديث الذى فيه : فأجفئوا قدوركم بما فيها، فهى لغة مجهولة .

٨ — اهتمامه بالمفاريد والنوادر كقوله فى مادة «كأ» ج١ص٢٢ الكمأة واحدها كمأ على غير قياس وهو من النوادر . والشمل بالتحريك لغة فى الشمل أنشد أبو زيد فى نوادره للبعيث :

وقد ينعش الله الفتى بعد عثرة وقد يجمع الله الشتيت من الشمل

قال أبو عمر الجرمى : ما سمعته بالتحريك إلا فى هذا البيت .

ومن ذلك أيضاً تفرده ببعض قواعد التصريف كقوله : إذا نسبت إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت : مدنى ، وإلى مدينة المنصور قلت مدينى ، وإلى مدائن كسرى : قلت مدائنى ، وهذه التفرقة فى النسبة إلى لفظة واحدة لم يرد فى غير هذا الكتاب .

٩ — احتواؤه على كثير من المباحث اللغوية كالمشترك والمتضاد ودوران المادة حول معنى واحد ، وهى مباحث متفرقة فى ثنايا المعجم . يصل إليها من يغوص فى أعماقه .

١٠ — إشارته إلى المعرب والمولد مع تجاوزه فى الشرح لبعض الألفاظ عن العربية إلى الفارسية وقد مر ذكر ذلك فى منهجه .

ومهما يكن من أمر فإننا نقول : إنه يجمع الصحيح من الألفاظ ، مع جودة الترتيب ، وتنسيق التنظيم ، مما حدا بالعلماء أن يشيدوا بفضله ، ويذكروا له جميل تنسيقه .

آراء العلماء فى الصحاح :

يجدر بنا وقد أشرنا إلى المميزات التى اضطلع بها الجوهرى أن ندعم تلك الأقوال ، بما روى من أقوال الثقات ليصدق الخبر الخبر ومن ذلك :

قال ابن منظور فى مقدمة اللسان : ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه ، فخف على الناس أمره فتناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه .

وقال أبو زكريا الخطيب (١) التبريزى : وكتاب الصحاح هذا حسن الترتيب سهل المطالب لمـــا يراد منه ، وقد أتى أشياء حسنة ، وتفاسير مشكلات اللغة .

وقال الثعالبي فى يتيمة الدهر (٢) : كان الجوهرى من أعاجيب الزمان ، وهو إمام فى اللغة ، وله كتاب الصحاح فى اللغة وهو أحسن من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولا من مجمل اللغة .

ويقول القفطى : وهـــذا كتاب الصحاح ، قد سار فى الآفاق ، وبلغ مبلغ الرفاق .

وقال الفيروزبادى فى مقدمة القاموس ص ٣ . ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهرى وهو جدير بذلك . . الخ

وقال ابن برى : الجوهرى أنحى اللغويين .

وقال ياقوت : كتاب الصحاح هو الذى بأيدى الناس اليوم وعليه اعتمادهم ، أحسن الجوهرى تصنيفه ، وجود تأليفه .

وقال الزبيدى فى تاج العروس ص ٣ : أول هذه المصنفات وأعلاها كتاب الصحاح للإمام الحجة أبى نصر الجوهرى ، وهو عندى فى ثمان مجلدات .

وقال ابن الطيب الفاسى : إن الجوهرى خطيب المنبر الصرفى ، وإمام المحراب اللغوى .

---

(١) مزهرج ١ ص ٦٠ طبعة صبيح

(٢) مزهرج ١ ص ٦٠ — ، يتيمة الدهرج ٤ ص ٢٨٩

وقد قال أبو محمد اسماعيل بن محمد النيسابورى :

هذا كتاب الصحاح سيد ما صنف قبل الصحاح فى الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما فرق فى غيره من الكتب

هذه بعض آراء العلماء التى أوردناها ليطلع الباحث على منزلة هذا العالم الجليل ، ومع ذلك فلم يخل الكتاب من هنات تعقبها فيه الباحثون ، واقتنصها من ثناياه الدارسون ، وهى لا تنقص قدره ، ولا تقلل شأنه ، فالكمال لله وحده ، ومع ذلك فإننا نورد بعض تلك المآخذ :

المآخذ التى وجهت إليه :

لقد كان هدف الجوهرى فى صحاحه واضحاً ، وهو سهولة الترتيب ، وقد أحسن فيه كل الإحسان ، والاقتصار على الصحيح . إلا أنه مات قبل أن يتم كتابه بعد أن أصيب فى عقله . وكان الكتاب مايزال فى يد الوراقين ولذلك وجهت إليه نقود أهمها :

١ — التصحيف والتحريف ، ويظهر أن كثيراً من ذلك كان من طريق النسخ . وقد ذكر السيوطى (١) ما أخذ على صاحب الصحاح من التصحيف .

وقد وقع تصحيف فى الشعر والمواد اللغوية « ومن ذلك فى الشعر أنه أنشد على الدبدبة بموحدتين :

عاثور شر أيمـــا عاثور دبدبة الخيل على الجسور

قال التبريزى : الصواب دندنة ، وهو أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم مايقول ، ومنه الحديث : « لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ » وقد دفع تلك الشبهة صاحب كتاب الوشاح وتثقيف الرماح ، فى رد توهم المجد

١ — المزهر ج ٢ ص ٢٤١

للصحاح ، فقال : الفيروزبادى الدبدبة : كل صرت كوقع الحافر على الأرض الصلبة. وقال الجرهرى : الدبدبة : سرعة تقارب المشى . والمستشهد بالبيت على ماقال أبو زيد وأبو عبيدة ، والأصمعى . وأما الدندنة فقد فسرها الجوهرى بعين مافسرها به التبريزى واستشهد بالحديث .

ومن التصحيف فى الشعر أيضاً ، روايته اللجن ، اللحن فى البيت الآتى جـ ١ ص ٤٣٦ مادة « لزج » .

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية على سفابيب ماء الضالة اللجز

وهو تصحيف نشأ عن متابعته لابن السكيت ، لأن البيت من قصيدة نونية ، وقد ذكر قبل هذا البيت :

من نسوة شمس لامكره عنف ولا فواحش فى سر ولا علن

وقد أراد الدفاع عن نفسه بأنه مقلوب لزج، ولو بحث عن القصيدة لما وقع فى هذا الخطأ .

ومن التصحيف فى الأعلام الواقعة فى الشفر ماذكره فى مادة «صوب» جـ١ ص ٢٧١ . والصاب : الإصابة : وقال الشاعر .

أسليم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

والصواب أظليم: وهى أم عمران زوجة عبدالله بن سطيع، وكان الحارث ابن خالد بن العاصى المخزومى ينسب بها ، ولما مات زوجها تزوجها .

ومن التصحيف فى اللغة ما نقله السيوطى فى الفصل الذى عقده فيما أخذ على الصحاح جـ ٢ ص ٢٤١ قال الجوهرى : احتق الفرس : ضمر . قال التبريزى هذا تصحيف . والصواب : احنق الفرس بالنون على افعل إذا ضمر

ويبس ، ويقال ذلك لغير الفرس من ذوات الحافر ، والخف ، وخيل محانق ومحانيق : إذا وصفت بالضمر ، وفرس محنق بكسر النون .

ومن ذلك أيضا : قال الجوهرى : والعانك : الأحمر يقال دم عانك . قال الأزهرى ، هذا تصحيف ، وإنما هو بالتاء فى صفة الحمرة .

ومن ذلك قال الجوهرى : رجل شرداخ القدم : أى عظيمها عريضها . قال الهروى : هذا تصحيف . وإنما هو شرداح بحاء غير معجمة ، وقد خطأ التبريزى الهروى وصوب الجوهرى فقال : الصحيح بالمعجمة ، كما قال الجوهرى : والهروى هو الذى صحف .

ومن ذلك : قال الجوهرى : الذنانى : شبه المخاط يقع من أنوف الابل ، قال ابن برى هكذا فى الأصل بخط الجوهرى ، وهو تصحيف والصواب : الذبانى ، وهكذا قرأناه على شيخنا أبى أسامة جنادة بن محمد الأزدى ، وهو مأخوذ من الذنين ، وهو الذى يسيل من أنف الإنسان والمعزى .

٢ — إهماله بعض الصيغ والأبنية ، وقد عنى بإبراز هـــذه الحقيقة الفيروزبادى فى قاموسه فقال فى مقدمته ص ٣ « ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهرى وهو جدير بذلك ، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة أو بترك المعانى الغريبة النادرة ، أردت أن يظهر للناظر إليه فضل كتابى عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه » .

ومن تلك المواد ماذكره الفيروزبادى بالمداد الأحمر وهو واقع فى ج ١ ص ٢٠ فى النسخة المطبوعة « صتأه » كجمعه وله : صمد له .

٣ — نسبة الأقوال لغير أصحابها ، ومن ذلك نسبته رأى سيبويه فى لات فى شبهها بليس وإضمار الفاعل فيها فقد عزاه إلى الأخفش .

٤ — غلطه فى ترتيب المواد ، ومن ذلك إدخاله الثيب فى ثوب فجعله من الواوى العين مع أنه يائيها ، وكذكره الجىء فى جأجأ مع أنها يائية العين وكذكره « هراق » فى هرق ، فاعتبر الهاء أصلية مع أنها من الروق ، والهاء بدل من الهمزة وهى زائدة .

٦ — اشتماله على أخطاء نحوية وصرفية ، مع إجماع الناس على أنه من أبرع العلماء فى هذين العلمين .

ومن ذلك حكمه — متابعة لأبى عبيدة — بزيادة إذ وإذا ، ولم يقل بذلك نحوى ، وإنما قال بذلك أبو عبيدة ، وليس له حذق بالنحو .

ومن ذلك حكمه على كأين بأنها تستعمل أداة استفهام ، والجمهور كما نقل ابن هشام على أنها لاترد استفهامية .

ومن الأخطاء الصرفية ، ماذكره فى مادة قضى فقال : القضية والجمع القضايا على فعالى وأصله فعائل . وهو مخالف لما سار عليه حذاق الصرفيين من أن قضية جمعت على فعائل إذ أصلها قضايى بياءين قلبت الياء الأولى همزة لوقوعها بعد ألف الجمع الأقصى ، أو قلبت ألفاً ثم همزة لتحركها وانفتاح ماقبلها والحاجز غير حصين لسكونه وزيادته ، ثم صارت الألف همزة تخلصاً من التقاء الهمزتين ، ثم قلبت كسرة الهمزه فتحة فصارت قضائ ، تحركت الياء وانفتح ماقبلها فقلبت ألفاً ، فاجتمع شبه ثلاث ألفات ، فاتجه الأمر إلى التخفيف ، فقلبت الهمزة وهى شبه ألف إلى الياء وهو أصلها .

من ذلك يستبين أنه سار فى تصريف الكلمة على وضع مخالف لما هو معروف.

ومن ذلك ماذكره فى مادة « أم » فقال : الامام الذى يقتدى به وجمعه : أيمة وأصله أأمه على أفعلة مثل إناء وآنية . وإله وآلهة فأدغمت الميمان ، فنقلت حركتها إلى ما قبلها فلما حركوها بالكسر جعلوها ياء .

هذا هو تصريف الكلمة عند الجوهرى ، وهو مخالف لنسق الصرفيين القائل

بأن إماماً يجمع على أئمة بوزان أفعلة : وأصلها أأمة فوجد فى الكلمة موجب الاعلال فى صدرها .. همزتين فى أول الكلمة أولاهما متحركة ، وثانيتهما ساكنة ، وينطبق عليها قاعدة تخفيف الهمزتين بإبدال ثانيتهما مدة من جنس حركة ماقبلها كآمن وآثر ، إلا أن موجب الادغام وجد فى آخرها . فقد اجتمع مثلان فى آخر الكلمة وهما الميمان فقدم الادغام لتطرفه على الإعلال وتوصلنا إليه بنقل حركة الميم إلى الهمزة ، فصارت أئمة وجاء على نسقها قول الله : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » .

٦ — عدم دقته فى نقل أقوال العلماء ومن ذلك: ماذكر فى مادة « درأ » ج ١ ص ١٠ « ومنه كوكب درى على فعيل مثل سكير ، وخمير لشدة توقده وتلألؤه ، وقد درأ الكوكب دروءا قال أبو عمر بن العلاء : سألت رجلا من سعد بن بكر من أهل ذات عرق ، فقلت هذا الكوكب الضخم ماتسمونه ؟ قال : الدرىء ، وكان من أفضل الناس . قال أبو عبيد : إن ضممت الدال قلت درىء يكون منسوباً إلى الدر ، فقيل على فعلى ولا تهمزه لأنه ليس فى كلام العرب فعلى .

وقد اضطرب فى نقله ، والصحيح أن يروى على هذا النسق إن ضممت الدال ، قلت درى يكون منسوباً إلى الدر على فعلى . ولا تهمزه لأنه ليس فى كلام العرب فعلى .

٧ — اضطرابه فى نسبة الأحاديث النبوية إلى غير رواتها ، كنسبة روايةهذا الحديث « ما خلأت ولا حرنت ولكن حبسها حابس الفيل » إلى سراقة وذلك فى مادة خلأ ج ١ ص ٩ والصحيح أنه مروى عن المسوار ابن مخرمة ومروان بن الحكم .

كذلك نسبة كلام العرب إلى النبى على أنه حديث ، ومن ذلك قول أكثم ابن صيفى فى وصيته : « لاتسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم » .

٨ — خلط بين أجزاء الأبيات من الشعر ومن ذلك ماذكره فى مادة

« ذرأ » ج ١ ص ١١ قال الراجز :

رأين شيخاً ذرئت مجاليه يقلى الغوانى والغوانى تقليه

فقد أتى بالشطر الأول وجعله صدر البيت من أرجوزة منسوبة إلى أبى محمد الفقعسى والبيت هكذا :

رأيت غلاماً حاملا تصابيه يقلى الغوانى والغوانى تقليه

٧ — خطؤه فى شرح بعض معانى المفردات ، ومن ذلك قوله فى مادة « نضو » نضو السهم : قدحه وهو ماجاوز الريش إلى النصل ، وقد سايره ابن فارس فى هذا الشرح وهو خطأ ، وصححه فى التكملة فقال : النضو : السهم الذى فسد من كثرة مارمى به : ، فأما ماجاوز الريش إلى النصل فهو « النضى » لاغير .

وكقوله « الصاب » عصارة شجر مر والصواب أنه شجر مر .

تلك كلمة عن الهنات التى وجهت إلى الصحاح ولكننا مع ذلك لابد وأن نشيد بهذا العالم الفذ ، والحجة الثبت وما قدمه للعربية من هذا المعجم الذى يعد ركناً ركيناً ، وحصنا حصيناً فجزاه الله خير الجزاء .

نسخة المؤلف :

كتب الجوهرى نسخة من كتابه بخط يده ، وقد ألفه لأبى منصور بن محمد البيشكى . وروى أنه سمعه منه إلى باب الضاد، وقيل إن مابعد باب الضاد مسود غير منقح،فلما توفى الجوهرى تولى أبو إسحق ابراهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهرى تبييضه ، وقد انتشر الصحاح بعد وفاة مؤلفه ، ولا زالت سمعته مدوية ، وقد وصل إلى أيدى الناس عن هذه الطرق :

١ — طريق تلميذه البيشكى .

٢ — طريق ابن عبدوس الذى سمع عليه الهروى .

٣ — الوراق الذى بيض من الصحاح ما كان على سواده بعد موت مؤلفه

أثر الصحاح :

لقد برز الصحاح فى ثوب جديد وطريقة مبتكرة ، فأقبل الناس على درسه ، والتزود من ثقافته ، والارتشاف من منهله.

ولقد عنى به العلماء عناية كبيرة ، فمنهم من كتب عليها معلقاً ، أو محشياً ، أو مبرز على نهجه معاجم جديدة ، مع إضافات أخرى من كتب اللغة ، أو حاول تكميله والاستدراك عليه ، أو حاول نقده وإبراز هنات وقعت فيه أو رد الشبه التى وجهت إليه ، والتهم التى حاول بعض المغرضين إلصاقها به. أو اختصره فى كتب صغيرة ليسهل تداولها والانتفاع بها وسنحاول إيراد بعض الأمثلة لكل اتجاه من هذه الاتجاهات ، ليعلم القارىء الأثر العظيم لهذا المعجم ، الذى حفز العلماء على اختلاف أنظارهم إلى الكتابة فى أمره .

الكتب التى علقت عليه :

لقد كتب كثير من العلمـــاء تعليقات لتوضيح غوامضه ، أو نسبة الأشعار إلى قائليها ، أو تصحيح الأعلام الواردة فيه ؛ أو لتصويب بعض أوهام الجوهرى ومن ذلك :

١ — تعليقات أبى نعيم البصرى المتوفى سنة ٣٧٥ هـ

٢ — تعليقات أبى سهل محمد بن على بن محمد الهروى المتوفى سنة ٤٣٣ هـ

٣ — تعليقات أبى زكريا التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ

وغير ذلك كثير .

ومن الكتب التى كتبت بعض الحواشى عليه :

١ — حواشى الصحاح لأبى القاسم الفضل بن محمد بن على العقبانى البصرى المتوفى سنة ٢٤٤ هـ

٢ - حاشية على الصحاح لعلى بن جعفر السعدى بن على السعدى المعروف بابن القطاع الصقلى المتوفى سنة ٥١٥ هـ

٣ — الإيضاح فى حاشية الصحاح ، لأبى محمد عبد الله بن برى المقدسى المصرى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ

٤ - التنبيه والايضاح ، عما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح ، لابن القطاع .

٥ — حواشى الصحاح ، لأبى عبدالله رضى الدين محمد بن على بن يوسف الأنصارى الشاطبى المولود ببلنسية سنة ٦٠١ هـ ، والمتوفى بمصر سنة ٦٧٤ هـ أو ٦٨٤ هـ .

ومن الكتب التى جمعت الصحاح وغيره :

١ — ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب ، لتاج الدين محمود بن أبى المعالى الحسن الخوارى .

٢ — الجمع بين الصحيح والغريب والمصنف ، لأبى إسحق ابراهيم بن قاسم البطليوسى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ

٣ — لسان العرب لابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى الإفريقى المتوفى سنة ٧١١ هـ .

ومن الكتب التى عنيت بالتكملة والاستدراك :

١ — التكملة والذيل والصلة ، الإمام رضى الدين أبى الفضائل الحسن ابن محمد بن الحسن الصاغانى المتوفى سنة ٦٥٠ هـ .

٢ ــ القراح بتكملة الصحاح ، لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المعروف بجمال القرشى .

٣ ــ القاموس المحيط والقاموس الوسيط ، فيما ذهب من كلام العرب لمجد الدين يعقوب بن محمد الشيرازى الفيروزبادى المتوفى سنة ٨١٦ هـ

أما الكتب التى ألفت لنقده فكثيرة ومتباينة المنزع : فمنها من حاول النقد رغبة فى إحقاق الحق ، ومنها من كان هدفه التجريح والنيل من المؤلف . أما الكتب التى يصح أن نعول عليها فى النقد فكثيرة نذكر منها :

١ ــ قيد الأوابد من الفوائد لأبى الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميدانى النيسابورى المتوفى سنة ٥١٨ هـ

٢ ــ الاصلاح لما وقع من الخلل فى الصحاح ، للوزير العلامة جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

٣ ــ غوامض الصحاح لابن أيبك الصفدى وهو نقد للصحاح

٤ ــ نور الصباح فى أغلاط الصحاح ، لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المعروف بجمال القرشى

أما الكتب التى أخرجها مؤلفوها قاصدين الدفاع عن الصحاح فكثيرة نذكر منها :

١ ــ اللقط الجوهرى فى رد خباط الجوجرى ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٢ ــ الكر على ابن عبد البر للسيوطى أيضا .

٣ ــ سجة النفوس فى المحاكمة بين الصحاح والقاموس . لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر بن يونس القرافى المصرى المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ .

أما الكتب التى اختصرت الصحاح فكثيرة نذكر منها :

١ ــ ينابيع اللغة لتاج الدين محمود بن أبى المعالى بن الحسن الخوارى فقد جرد الصحاح من الشواهد واختصره ، وضم إليه بعض التهذيب وغيره .

٢ ــ مختار الصحاح لزين الدين محمد بن شمس محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى من علماء القرن الثامن .

٣ ــ نجد الفلاح فى مختصر الصحاح لخليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ .

٢ - لســـان العرب

مؤلفه :

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور ، الافريقى ، المصرى الخزرجى ، ولد فى شهر المحرم سنة ٦٣٠ هـ . وتوفى فى شعبان سنة ٧١١ هـ (١) .

أساتذته وتلامذته :

لقد تطلعت نفس ابن منظور إلى البروز فى شتى العلوم فتلقى عن ابن المقير وغيره من الأعلام الذين كان لهم كبير الفضل فى بروز اسمه فى سماء العلوم والمعارف ، حتى تصدر للتدريس فتلقى عنه ، واغترف من فضله جهابذة فضلاء يشار إليهم بالبنان .

منزلته العلمية والأدبية :

يعد ابن منظور من أفاضل العلماء الذين رسخت قدمهم فى علوم اللغة والنحو ، والأدب والتاريخ ، وقد اختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة كالأغانى والعقد ، والذخيرة ، ومفردات ابن البيطار ، وقد اختصر تاريخ دمشق فى نحو ربع الكتاب ، وكان بارع الأسلوب جيد العبارة .

وقد خدم فى ديوان الإنشاء مدة عمره ، وولى قضاء طرابلس ، وكان صدراً رئيساً فى الأدب مليح الإنشاء .

---

(١) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٦٥ ، وبغية الوعاة للسيوطى ص١١٠٦

وكان سريع البديهة قوى الحفظ له شعر لم يبلغ الجودة ، ومنه قوله فى مليح اسمه سالم :

وأهيف تهفو نحو بائقة قده ... قلوب تيث الشجو فهى حمائم
عجبت له إذ دام توريد خده ... وما الورد فى حال على الغصن دائم
وأعجب من ذا أن حبة شعره ... تجول على أعطافه وهو سالم

وله قصيدة بديعة السبك ، حسنة العبارة ، رائعة المعنى :

ماملت عنك لجفوة وملال ... يوماً ولا خطر السلو ببالى
يامانحا جسمى السقام ومانعا ... طرفى المنام وتاركى كالآل
عمن أخذت جوازمنعى ريقك المعسول ياذا العطف العالى
عن شعرك الفحام عن ثغرك النظام أم عن طرفك الغزال
فأجابنى أنا مالك أهل الهوى ... والحسن أضحى شافعى وجمالى
وشقائق النعمان أضحى ثابتاً ... فى وجنتى وحماه رشق نبالى
والصد أحمد للمحب إذا ابتلى ... فى الحب من محن الهوى بسؤالى
وعلى أسارى الحب فى سجن الهوى ... بين الملاح عرفت بالقفال
وقتلت معتزلى فى شرع الهوى ... وطرقت بالتنبيه عين السالى
وتفقه العشاق فى فكل من ... نقل الصحيح أجرته بوصالى

وهى قصيدة طويلة ذكرت فى فوت الوفيات . ومن شعره أيضاً :

الناس قد أثموا فينا بظنهم ... وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا
ماذا يضرك فى تصديق قولهم ... بأن نحقق مافينا يظنونا
حملى وحملك ذنباً واحداً ثقة ... بالعفو أجمل من إثم الورى فينا

وإن شعره فى القليل النادر يغلب عليه ناحية النظم ، وقل أن يتميز بجودة المعانى، وروعة العبارة ، وجمال السبك، كما مر فى القصيدة السابقة، وقد ظل

يتربع على عرش العلم والمعرفة ، إلى أن وافته منيته فى شعبان سنة ٧١١ هـ .
وقد ترك آثاراً جليلة ، وكتابات قيمة ، خلدت ذكره ، ورفعت شأنه ، وأبرزها هذا المعجم الذى بذل فيه قصارى جهده ، وأفرغ فيه عصارة فكره ، حتى أخرجه للناس آية رائعة ، وحجة ناصعة ، بما للغة العرب من فضل ، وما لها من مكانة وقد أطلق عليه اسما هو حرى به ، وحقيق بإطلاقه عليه وهو لسان العرب .

هدفه :

إن من يرجع إلى مقدمة لسان العرب يستبين له القصد الذى أراده ، والهدف الذى رمى إليه ، وفى ص ٢ من المقدمة يقول :

« ورأيت علماءها بين رجاين أما من أحسن جمعه ، فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع ، ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن اسماعيل بن سيده الأندلسى ، وهما أمهات الكتب على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات الطريق . غير أن كلا منهما مطلب عسير المهالك ، ومنهل وعر المسالك ، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا ، وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مربعا ، ومنعهم منه ، قد أخر وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ، فرق الذهن بين الثنائى المضاعف ، والمقلوب ، وبدد الفكر للفيف والمعتل ، والرباعى . والخماسى ، فضاع المطلوب فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلوا منهما . وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب ، ورأيت أبا إسماعيل بن حماد الجوهرى ، قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه شهرة أبى دلف بين باديه ومحتضره ، فخف على الناس أمره فتناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه

وتناقلوه، غير أنه فى جو اللغة كالذرة ، وفى بحرها كالقطرة. وإن كان فى بحرها كالذرة . وهو مع ذلك قد صحف، وحرف ، وجزف فيما صرف..الخ ، .

فمن هذه المقدمة نتبين الوجهة الحقيقية للهدف وهو :-

١ — استقصاء جمع اللغة بطريقة حاصرة ، وذلك بجمع أمهات الكتب كالتهذيب ، والمحكم ، والصحاح و لنهاية لابن الأثير .

٢ — تيسير البحث على المطلع لأنه وجد الكتب التى عنيت بالجمع والاستقصاء كالتهذيب ، لم يتيسر فيها البحث والاطلاع ، والكتب التى تيسر فيها الجمع كالصحاح لم تعن باستقصاء اللغة ، ولذلك وضع أمام ناظره هذا الهدف وهو جمع اللغة على نطاق أمهات الكتب ، مع تيسير البحث وقد أوضح أن الذى حفزه على ذلك :

١ — انصراف الناس عن تعلم العربية ، وفخرهم بتفوقهم فى معرفة اللغات الأجنبية ،

٢ — شيوع الجهل بين الناس وانصرافهم عن تعلم العربية .

٣ — المحافظة على الرابطة بين الدين ، واللغة ، لأن القرآن هو المنبع السليم لأحكام الدين ، فلا مناص للمسلم من الإلمام بالعربية ، ليستنبط أحكام دينه ، ويتفهم مورد شريعته .

منهجه :

وقد وضح مما سبق أن هدف ابن منظور جمع اللغة بطريقة استقصائية ، وقد اتبع فى سبيل ذلك جمع المواد اللغوية من أمهات الكتب التى أشار إليها وهى تهذيب الأزهرى، ومحكم ابن سيده وصحاح الجوهرى ، وحواشى ابن برى، والنهاية لابن الأثير ، ومع الاستقصاء فى الجمع ، انتهج تيسير البحث. وقد اتبع الطرق الآتية :

١ — سار طريقة الصحاح فى تجريد الكلمة من الزوائد ، والاعتماد على الحروف الأصول .

٢ — اتبع نظام القافية ، فى جعل الحرف الأخير باب الكلمة ، والأول فصلها ، فكتب تكون فى باب الباء فصل الكاف .

٣ — عنى بضبط الألفاظ اتقاء التصحيف والتحريف الذى وقع فى المعاجم ؛ وذلك إما بالضبط بالشكل كقوله فى مادة « رحب » الرحب بالضم : السعة وقوله فى مادة « رطب » الرطب بالفتح : ضد اليابس ، والرطب : الناعم ، رطب بالضم يرطب رطوبة ورطابة ، وإما بذكر موازن للكلمة لضبطها كقوله فى مادة « كتأ » الليث : الكتأة بوزن فعله مهموز : نبات كالجرجير يؤكل ويطبخ .

٤ — جمع أقوال العلماء فى شرح الألفاظ مع الاختصار .

٥ — دعم هذا الشرح بمأثور كلام العرب من القرآن والحديث وفصيح الشعر ، كقوله فى مادة « قيأ » القيء : مهموز ومنه الاستقاء وهو التكلف لذلك ، والتقيؤ أبلغ وأكثر وفى الحديث : « لو يعلم الشارب قائما ماذا عليه لاستقاء ماشربه » . وقال : تقيأت المرأة لزوجها : تعرضت له ، قال الشاعر :

تقيأت ذات الدلال والخفر لعابس جافى الدلال مقسعر

٦ — اهتم بنسبة الأبيات إلى قائليها فى غالب الأمر وهو ما نلمسه فى المعجم ، وفى القليل يترك تلك النسبة .

٧ — عنى بلغات العرب ، كقوله فى مادة « قيأ » . وحكى ابن الأعرابى رجل قيو مثال عدو ، وكقوله فى مادة « ترب » التراب ، والترب ، والتراء ، والترباء والتورب والتيرب ، والتوراب ، والتيراب ، والتريب ، والتريب الأخيرة عن كراع كله واحد ، وجمع التراب : أتربة ، وتربان عن اللحيانى . ولم يسمع لأى هذه اللغات بجمع .

٨ — اهتم بالنوادر والأخبار التى لها صلة بالمادة .

٩ — عنى بقواعد النحو والصرف عناية دقيقة .

وهذه الأمور ليست من ابتداعه واختراعه، ولكنه أخذها عن السابقين وأمهات الكتب التى نقل عنها ، وقد صدر هذا المعجم بمقدمة للسيد أحمد فارس الشدياق أوضح فيها مميزاته وخصائصه ، ثم شفع بمقدمة المؤلف التى أبان فيها منهجه ، والكتب التى أخذ عنها ، وأوضح فيها عيوب المعاجم الأخرى ، إما لسوء الترتيب ؛ وإما لتقصير جمع المواد ، ثم أعقب ذلك بباب شرح فيه الحروف المقطعة ، وأبان أنه خالف الكتب الأخرى بتصديرها ، لتكون أمام نظر الباحث ، ثم أعقب ذلك بذكر المواد حسب المنهج الذى رسمه الجوهرى فى الصحاح ، نذكر منها أمثلة تفصح لنا عن هذا النهج :

١ — مادة « ودأ » باب الهمزة فصل الواو ج ١ ص ١٨٦ .

ودأ الشيء : سواه ، وتودأت الأرض . اشتملت ، وقيل تهدمت وتكسرت . وقال ابن شميل : يقال : تودأت على فلان الأرض وهو ذهاب الرجل فى أباعد الأرض حتى لاترى ماصنع . وقد تودأت عليه إذا مات أيضاً وإن مات فى أهله : وأنشد :

فما أنا إلا مثل من قد تودأت عليه البلاد غير أن لم أمت بعد

وتودأت عليه الأرض : غيبته وذهبت به ، وتودأت عليه الأرض أى استوت عليه مثل ماتستوى على الميت : قال الشاعر :

وللأرض كم من صالح قد تودأت عليه فودأته بلماعة قفر

وقال الكميت :

إذا ودأتنا الأرض إذ هى ودأت وأفرخ من بيض الأمور مقوبها

ودأتنا الأرض : غيبتنا : يقال : تودأت عليه فهى مودأة قال : وهذا كما قيل : أحصن فهو محصن ، وأسهب فهو مسهب وألفج فهو ملفج ، قال : وليس فى الكلام مثلها وودأت عليه الأرض توديا . سويتها عليه ، قال زهير بن مسعود الطبي يرثى أخاه أبيا :

أأبى أن تصبح رهين موداً زلج الجوانب قعره ملحود

وجواب الشرط فى البيت الذى بعده وهو :

فلرب مكروب كررت وراءه فطعنته وبنى أبيه شهود

أبو عمرو : الموداة : المهلكة والمفازة . وهى فى لفظ المفعولية . وأنشد شمر الراعى :

كائن قطعنا إليكم من مؤداة كأن أعلامها فى آلها القزع

وقال ابن الأعرابى : الموداة : حفرة الميت . والتودية : الدفن وأنشد :

لو قد ثويت موداً لرهينة زلج الجوانب راكد الأحجار

والودأ : الهلاك مقصور مهموز . وتودأ عليه : أهلكه . وودأ فلان بالقوم تودئة ، وتودأت على وعنى الأخبار : انقطعت وتوارت . التهذيب فى ترجمة ودى وودأ الفرس يدأ بوزن ودع يدع : إذا أدلى . قال أبو الهيثم : وهذا وهم ليس فى ودى الفرس إذا أدلى همز . وقال أبو مالك : تودأت على مال : إذا أخذته وأحرزته .

مادة ثانية « عجب » حرف الباء فصل العين ج ٢ ص ٦٩ .

العجب والعجب : إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده ، وجمع العجب أعجاب قال :

يا عجبا للدهر ذى الأعجاب الأحدب البرغوث ذى الأنياب

وقد عجب منه يعجب عجبا ، وتعجب واستعجب . قال :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولى زينته الحرب لم يترمرم

والاستعجاب : شدة التعجب ، وفى النوادر : تعجبنى فلان ، وتفتنى أى تصبانى ، والاسم العجيبة ، والأعجوبة ، والتعاجيب : العجائب لاواحدلها من لفظها : قال الشاعر :

ومن تعاجيب خلق الله غاطية يعصر منها ملاحى وغربيب

الغاطية : الكرم . وقوله تعالى : « بل عجبت ويسخرون » قرأها حمزة والكسائى بضم التاء ، وكذا قراءة على بن أبى طالب ، وابن عباس . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وأبو عمرو بل عجبت بفتح التاء . الفراء : العجب وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد . قال الزجاج : أصل العجب فى اللغة : أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال : قد عجبت من كذا ، وعلى هذا معنى قراءة من قرأ بضم التاء ، لأن الآدمى إذا فعل ما ينكره الله جاز أن يقول فيه عجبت والله عز وجل قد علم ما أنكره قبل كونه ، ولكن الإنكار والعجب الذى تلزم به الحجة عند وقوع الشىء وقال ابن الأنبارى فى قوله بل عجبت : أخبر عن نفسه بالعجب ، وهو يريد بل جازيتهم على عجبهم من الحق ، فسمى فعله باسم فعلهم . وقيل : بل عجبت معناه بل عظم فعلهم عندك ، وقد أخبر الله عنهم فى غير موضع بالعجب من الحق . قال : « أكان للناس عجبا » وقال : « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم » وقال : « إن هذا لشىء عجاب » .

وقال ابن الأعرابى : العجب النظر إلى شىء غير مألوف ولا معتاد . وقوله عز وجل « وإن تعجب فعجب قولهم » الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى هذا موضع عجب حيث أنكروا البعث ، وقد تبين لهم من خلق السموات والأرض ما دلهم على البعث ، والبعث أسهل فى القدرة مما قد تبينوا . وقوله عز وجل : « واتخذ سبيله فى البحر عجبا » قال ابن عباس : أمسك الله تعالى جرية البحر حتى كان مثل الطاق فكان سربا ، وكان لموسى وصاحبه عجبا . وفى الحديث : « عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل » أى عظم

ذلك عنده ، وكبر لديه ، أعلم الله أنه إنما يتعجب الآدمى من الشيء إذا عظم موقعه عنده ، وخفى عليه سببه ، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده .

وقيل : معنى عجب ربك : أى رضى وأثاب ، فسماه عجبا مجازاً ، وليس بعجب فى الحقيقة . والأول الوجه كما قال : « ويمكرون ويمكر الله » إذ أن معناه : ويجازيهم على مكرهم وفى الحديث ، عجب ربك من شاب ليست له صبوة ، هو من ذللت » . وفى الحديث كذلك : « عجب ربك من إلكم وقنوطكم » قال ابن الأثير : إطلاق العجب على الله تعالى مجاز لأنه لا يخفى عليه أسباب الأشياء ، والتعجب مما خفى سببه ولم يعلم . وأعجبه الأمر : حمله على العجب منه وأنشد ثعلب :

يا رب بيضاء على مهشمة أعجبها أكل البعير الينمه

هذه امرأة رأت الإبل تأكل فأعجبها ذلك : أى كسبها عجباً ، وكذلك قول ابن قيس الرقيات :

رأت فى الرأس منى شيبة لست أغيبها
فقالت لى ابن قيس ذا وبعض الشيء يعجبها

أى يكسبها التعجب . وأعجب به : عجب ، وعجبه بالشى تعجيباً : نبهه على التعجب منه . وقصة عجب ، وشيء معجب ، إذا كان حسناً جداً . والتعجب : أن ترى الشيء يعجبك تظن أنك لم تر مثله . وقولهم لله زيد ، كأنه جاء به الله من أمر عجيب ، وكذلك قولهم لله دره ، أى جاء الله بدره من أمر عجيب لكثرته وأمر عجاب ، وعجاب ، وعجب ، وعجيب ، وعجب عاجب ، وعجاب على المبالغة يؤكد به . وفى التنزيل : « إن هذا الشيء عجاب » قرأ أبو عبد الرحمن السلمى « إن هذا لشيء عجاب » بالتشديد . وقال الفراء : هو مثل قولهم رجل كريم ، وكرام ، وكرام ، وكبير ، وكبار ، وكبار ، وعجاب بالتشديد أكثر من عجاب . وقال صاحب العين : بين العجيب والعجاب فرق : أما العجيب فالعجب

يكون مثله ، وأما العجاب : فالذى تجاوز حد العجب ، وأعجبه الأمر : سره وأعجب به كذلك على لفظ ما تقدم فى العجب . والعجيب : الأمر يتعجب منه وأمر عجيب : معجب ، وقولهم عجب عاجب كقولهم : ليل لائل يؤكد به وأنشد ثعلب :

وما البخل ينهانى ولا الجود قادنى ولكنها ضرب إلى عجب

أراد ينهانى ويقودنى أو نهانى وقادنى . وإنما علق عجيب بإلى لأنه فى معنى حبيب فكأنه قال حبيب إلى . قال الجوهرى : ولا يجمع عجب ولا عجيب ويقال جمع عجب عجائب ، مثل أفيل وأفائل . وتبيع وتبائع وقولهم أعاجيب كأنه جمع أعجوبة مثل أحدوثة وأحاديث ، والعجب : الزهو ، ورجل معجب مزهو بما يكون حسناً أو قبيحاً . وقيل المعجب : الإنسان المعجب بنفسه أو بالشىء وقد أعجب فلان بنفسه فهو معجب برأيه وبنفسه ، والاسم : العجب بالضم . وقيل العجب : فضلة من الخلق صرفتها إلى العجب . وقولهم : ما أعجبه برأيه شاذ لا يقاس عليه . والعجب : الذى يحب محادثة النساء ، ولا يأنى الريبة والعجب ، والعجب ، الذى يعجبه العقود عن دفع الفساد . والعجب من كل دابة ما انضم إليه الوركان من أصل الذنب المغروز فى مؤخر العجز . وقيل : هو أصل الذنب كله وقال اللحيانى : هو أصل الذنب وعظمه وهو العصعص ، والجمع أعجاب وأعاجب ، وفى الحديث : « كل ابن آدم يبلى إلا العجب » وفى رواية الأعجب : الذنب . العجب بالسكون : العظم الذى فى أسفل الصلب عند العجز ، وهو العسيب عند الدواب ، وناقة عجباء بينة العجب غليظة عجب الذنب وقد عجبت عجباً . ويقال : أشد ما عجبت الناقة : إذا دق أعلى مؤخرها . وأشرفت جاعرتاها . والعجباء أيضاً : التى دق أعلى مؤخرها وأشرفت جاعرتاها . وهى خلقة قبيحة فيمن كانت . الكثيب آخره المستدق منه . والجمع عجوب . قال لبيد :

يجتاب أصلا قالصاً متنبذاً بعجوب أنقا يميل هيامها

ومعنى يحتاب : يقطع ، ومن روى يحتاف بالفاء فمعناه يدخل ، يصف مطرا. والقالص : المرتفع . والمنتبذ : المنتحى ناحية . والهيام : الرمل الذى ينهار ، وقيل عجب كل شيء : مؤخره . وبنو عجب : قبيلة ، وقيل بنو عجب: لبطن

وذكر أبو زيد خارجة بن زيد أن حسان بن ثابت أنشد قوله :

أنظر خليلى ببطن جلق هل تونس دون البلقاء من أحد

فبكى حسان بذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب بعد ما كف بصره ، وكان ابنه عبد الرحمن حاضراً فسر ببكاء أبيه . قال خارجة :يقول عجبت من سرور ببكاء أبيه . قال ومثله قوله :

فقالت لى ابن قيس ذا وبعض الشيء يعجبها

أى تتعجب منه ، أراداً ابن قيس فترك الألف الأولى .

مميزات اللسان .

قد عرضنا مادتين من مواد الكتاب ليستضيء الباحث بهما ويسترشد بما هو موجود فيهما ، ولذلك يمكننا أن نقول إن مميزات اللسان تبدو فيما يلى :

١ — اتساع مواده ، لأنه قد جمع ما قيل فى أمهات كتب اللغة وهى التهذيب والمحكم ، والنهاية وغير ذلك .

٢ — عنايته الدقيقة بالشرح ، والاستشهاد على هذا الشرح بالمأثور من القرآن الكريم والحديث ، وفصيح الشعر .

٣ — توجيه القراءات القرآنية وقد مر بعض أمثلة لذلك .

٤ — سهولة الترتيب وإن كان لا فضل له فى ذلك ، لأن هذا النظام قد ابتدعه الجوهرى فى صحاحه ، واقتفى أثره ابن منظور وخلافه .

٥ — الاهتمام بأشعار العرب ونسبتها إلى قائليها كلما أمكن ذلك .

٦ — عنايته بالنوادر والأخبار .

٧ — اهتمامه بالقواعد النحوية والصرفية .

٨ — عنايته بالنواحى اللغوية كالاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، ومناسبة الألفاظ للمعانى ، ودوران المادة حول معنى واحد ، وخلاف ذلك مما هو منتشر فى ثنايا هذا المعجم .

المآخذ على اللسان :

إن اللسان قد حاز شهرة كبيرة ، لقيامه بخدمة لغـــة العرب ، خدمة جعلته أحد معجمين شهد العلماء بأنهما دعامة تلك اللغة ، ومع ذلك فلا يمكن أن يسلم من هنات توجه إليه ومن ذلك :

١ — اتساع مواد ، وكثرة ماحواه من استشهادات ، وماضمه من قواعد فى اللغة ، جعلت العثور على المقصود للباحث ليس سهل المنال ، والمقصود من تلك المعاجم تيسير مهمة الباحثين وعدم إضاعة أوقاتهم فى البحث عن معنى كلمة .

٢ — ترتب على هذه السعة اضطراب شديد فى المواد ، وتكرير للشواهد فى مواد متقاربة ، مما يحير الباحث ويبلبل خاطره

٣ — إهمال بعض المراجع الهامة فى جمع اللغة كالجمهرة لابن دريد والبارع لأبى على القالى ، والمقاييس لابن فارس ، سبب عدم اشتمال معجمه على كثير من الصيغ والمعانى ، والشواهد والانتقادات .

ومع ذلك فلا يمكن إلا أن نعترف بفضل ابن منظور، الذى حفظ لنا هذا التراث فقد جمع شتات اللغة من الأصول الخمسة التى لجأ إليها وقد سبق ذكرها . وقد عنى المحدثون بأمره وأشادوا بجليل عمله ، وأوجدوا دراسات حول هذا المعجم الذى لم ينل من السابقين ما هو جدير به .

دراسات حول اللسان :

سبق القول بأن الأقدمين صدفوا عن الكتابة حول هذا المعجم ، ويبدو أن طوله كان من أهم الأسباب لذلك ، وقد وجدت حوله دراسات فى العصر الحديث ومنها :

١ — اهتم به أحمد تيمور وألف كتاب « تصحيح اللسان » وقد نشره الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى ، وهذا الكتاب عنى بتصحيح الأخطاء الموجودة فى اللسان ، وقد صدر بكلمة لأحمد فارس الشدياق تتضمن تاريخ ابن منظور ، وتشير إلى أن الجمهرة كانت ضمن مراجع اللسان ، وقد ذكر فى هذا الكتاب ردود بعض اللغويين على تصحيحات أحمد تيمور ، لأنه قد سبق نشرها فى الصحف ، وقد اتبع فى كتابه ذكر المادة التى وقع فيها الخطأ مع الإشارة إلى الجزء والصفحة والسطر ، ثم يذكر النص ، مبيناً صوابه بالأدلة التى وضحت لديه ويذكرها منتهجاً فى ذكر المواد طريقة اللسان . وهى مراعاة طريقة القافية التى تجعل الحرف الأخير باب الكلمة ، والأول فاءها

ومن ذلك ما ذكره فى باب الباء فصل الثاء ، مادة ث ر ب ، فقال : ومن ذلك نصل يثربى ، وأثربى ، منسوب إلى يثرب ، وقوله : وما هو إلا اليثربى المقطع . زعم بعض الرواة أن المراد باليثربى السهم لا النصل ، وأن يثرب لا يعمل فيها النصال . وروى يترب بالتاء المثناة الفوقية ، والصواب بالمثلثة لأن الكلام فى طيبة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وأما يترب بالمثناة وفتح الراء فهو موضع قرب اليمامة ، وأين هو مما ههنا . .

٢ — اتجه الأستاذ السيد عبد الله الصاوى إلى تهذيب اللسان واتجه فى تهذيبه إلى ترتيبه بالرجوع إلى الأبجدية العادية ، وإلى تصحيحه بمقابلته بالنسخة المخطوطة ، وأمهات الكتب التى استقى منها كالتهذيب ، والمحكم ، كنقد تيمور ، وقد خرج بنتائج طيبة من هذه المقابلات .

٣ — أخرج الأستاذ البخارى تهذيب اللسان متبعاً الأبجدية العادية فى المواد والألفاظ ، مضيفاً إليها بعض الأشياء من المعاجم الأخرى كالقاموس والتاج .

وقد ذكر فى مجلة المجمع أن اتجاه المجمع إلى طبع هذا الكتاب لولا ظروف حالت دون ذلك .

فرحم الله أولئك العلماء وجزاهم عن العربية خيراً .

٣ ــ القاموس المحيط

مؤلفه :

الإمام أبو طاهر محمد بن يعقوب بن إبراهيم ، بن عمر بن أبي بكر ، ابن محمود ، بن إدريس ، بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن على ابن يوسف ، قاضى القضاة ،مجد الدين الصديقى ، الفير وزبادى ،الشيرازى اللغوى .

ولد بكارزين من بلاد الفرس فى ربيع الثانى سنة ٧٢٩ هـ وشب بين أبنائها وترعرع ، وعرف بقوة الحفظ وتوقد الذهن ، روى أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وقد أخبر عن نفسه فقـــال : « لا أنام حتى أحفظ مائتى سطر ، وقد انتقل إلى شيراز عند بلوغه الثامنة ليتزود من علمائها ، ويتلقى عنهم علومهم . ولم يقنع بهذا القدر ، فتطلعت نفسه إلى التزود من العلوم ، فانتقل إلى واسط ، وبغداد ، ثم رحل إلى مصر ، وسوريا ، والهند وتركيا ،وهناك تولى تأديب الأمير أبي يزيد نجل السلطان مراد ، وألقى عصا التسيار بزبيد من بلاد اليمن فى رمضان سنة ٧٩٦ واتصل بالملك الأشرف إسماعيل فأكرم وفادته ، وزوجه ابنته ، وقضى هناك بقية حياته . إلى أن لقى ربه سنة ٨١٧ هـ ،

أساتذته :

تلقى الفيروزبادى علومه فى مستهل حياته عن والده ، وعن القوام عبد الله بن محمود وغيرهما من علماء شيراز ، وتلقى عن قاضى بغداد ، وعن الشريف عبدالله بن بكتاش ،المدرس بالمدرسة النظامية . وسمع صحيح البخارى من محمد بن يوسف الزرندى . وتلقى اللغة عن ابن الخباز ، وابن القيم وابن الحموى وتلقى التاج عن التقى السبكى ،

منزلته العلمية :

كان الفيروز بادى من أجل العلماء ، وأرسخهم قدماً فى العلوم الإسلامية ، فكان ذا بصر قوى بالفقه والحديث ، والتفسير ، والتراجم ، فضلاعما وهبه من تبحر فى علوم اللغة ، وقد ساعدته حافظته القوية على البروز فى جميع النواحى ، والتفوق فيها .

مؤلفاته :

وقد ساعده تفوقه فى اللغة وغيرها ، أن يسجل اسمه بمؤلفاته القيمة وكتبه العظيمة . وإننا لنذكر أشهرها ذكرا : وأسيرها بين الأنام ، وهو القاموس المحيط فى اللغة ، وله أيضاً « بصائر ذوى التمييز فى لطائف كتاب الله العزيز » وله « المقياس فى تفسير ابن عباس » وغير ذلك من الكتب النافعة ، وسنتكلم عن هذا المعجم الذى طوف مشارق الأرض ومغاربها .

هـــدفه :

إن من يرجع إلى مقدمة القاموس يستبين له قصده ، ويبدو له هدفه ، وهو أنه أراد جمع اللغة فى كتاب مختصر ، لأنه رأى إقبال الناس على « تاج اللغة » وهو خليق بذلك ، إلا أنه أهمل نصف اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة أو بترك المعانى الغريبة النادرة (١) .

وأن الناس قد انصرفوا عن أمهات الكتب ، كالتهذيب ، والمحكم ، إما لسوء الترتيب وإما للإفاضة فى الشرح ، مما يجعل الباحث مبلبل الخاطر ، موزع الفكر ، لا يصل إلى هدفه بيسر وسهولة ، وقد أشار إلى ذلك فى مقدمته فقال : « وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معربا عن الفصيح والشوارد . وجعلته بتوفيق الله تعالى زفراً فى زفر

---

(١) مقدمة القاموس ص ٣

ولحقت كل ثلاثين سفراً فى سفر ، وضمنته خلاصة ما فى العباب والمحكم وأضفت إليه زيادات ، من الله تعالى بها وأنعم ورزقنيها عند غوصى عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماء القطمطم . . . .

منهجه :

من يرجع إلى القاموس ، يبدو له انتحاؤه طريقة الجوهرى فى صحاحه ، وهى المعروفة بمدرسة القافية ولذلك اتبع الخطوات الآتية :

١ — جمع الكلمات مجردة من الزوائد مراعى فيها الحرف الأخير فجعله بابا والأول جعله فصلا ، فوهب تكون فى باب الباء فصل الواو . أما الأسماء الجامدة كجعفر فيبحث عنها حسب ورودها ، فيكون جعفر فى باب الراء فصل الجيم ، وكذلك الأسماء الأعجمية ، فإسماعيل يكون فى باب اللام ، فصل الهمزة وسمرقند فى باب الدال فصل السين .

٢ — راعى الاختصار قصد تسهيل الأمر على الباحث ، ولذلك حذف الشواهد فى أغلب الأمر . ولم ينسب الآراء إلى أصحابها .

٣ — ورغبة فى الاختصار وضع رموزاً ترشد إلى أمور معينة : فالشىء المعروف يشير إليه بحرف « م » . والموضع ينبه عليه بحرف « ع » . والجمع يرشد إليه بحرف « ج » . وجمع الجمع بحرف « جج » . والقرية يخبر عنها بحرف « ة » ، والبلد بحرف « د » .

٤ — إذا كان للكلمة مؤنث من لفظ المذكر ، اقتصر على المذكر ، وأشار إلى المؤنث بذكر صيغته كقوله ثعلب والأنثى ثعلبة .

٤ — عنى بالضبط عناية دقيقة إتقاء التحريف والتصحيف وذلك إما بذكر موازن للكلمة كقوله : فى باب الهمزة فصل اللام ص ٢٧ « اللبأ » كضلع : أو اللبن ، ولبأها كمنع : احتلب لبنها وكقوله لجأ إليه كمنع وفرح

لاذ . وقد يذكر الحركات لضبط الكلمة ، كقوله : « الوبأ » محركة الطاعون ؛ أو كل مرض عام . وكقوله « الهمء » بالكسر الثوب الخلق .

٥ — فصل باب الواو من الياء ، وتلك ميزة جليلة .

٦ — عند عرضه للجمع لا يذكر ما يجمع من فاعل المعتل العين على فعلة ، إلا ما تصح عينه كجولة . وأما ما تعل عينه فلا يذكره لا طراده وذلك رغبة فى الاختصار .

٧ — ومن قواعده إذا ذكر المصدر أو الماضى دون المستقبل ، كان الفعل من باب كتب . وإذا ذكر المستقبل غير مقيد بقيد : فهو من باب ضرب .

٨ — عنايته بالأعلام عناية تامة كقوله عند ثاب : محمد بن عمر الثيابى محدث .

٩ — الكلمة الخالية من الضبط تكون بالفتح إلا إذا اشتهرت بغيره .

تلك هى اهم الأسس التى بنى عليها هذا المعجم . وقد صدر بمقدمتين للعلامة أبو الوفا نصر الهورينى : إحداهما فى شرح ديباجة القاموس ، والثانية فى شرح اصطلاحات القاموس ومميزاته ، وكلمة عن مؤلفه ، ثم بدأ فى المعجم المبدوء بخطبة تدل على منحاه وهدفه . وخلص منها إلى ذكر المواد لتكون نبراسا على معرفة المنهج الذى أوضحناه فيما سلف ومن ذلك :

جاء فى القاموس مادة : « ثاب » باب الباء فصل الثاء ح (١) ص ٤٢ :

« ثاب » ثوبا وثؤباً : رجع كثوب تثويباً وجسم ثوبانا محركة : أقبل والحوض ثؤباً : امتلأ أو قارب . وأثبته ، والثواب : العسل النحل ، والنحل والجزاء كالثوبة ، والمثوبة . أثابه الله وأثوبه وثوبه مثوبة أعطاه إياها ، ومثاب البئر : مقام الساقى ، أو وسطها ، ومثابتها مبلغ جموم مائها .

وماأشرف من الحجاز حولها أو موضع طيها ، ومجتمع الناس بعد تفرقهم كالمثاب والتثويب التعويض ، والدعاء إلى الصلاة ، أو تثنية الدعاء ، أو أن يقول فى أذان الفجر : الصلاة خير من النوم مرتين عوداً على بدء . . والإقامة ، والصلاة بعد الفريضة وتثوب : تنفل بعد الفريضة ، وكسب الثواب ، والثوب اللباس ج أثوب وأثوب وأثواب وثياب ، وبائعه وصاحبه ثواب ، ومحمد بن عمر الثيابى المحدث . وكان يحفظ الثياب فى الحمام وثوب بن شحمة أسر حاتم طىء ، وابن النار شاعر جاهلى : وابن تلدة : معمر له شعر يوم القادسية . ولقه ثوباه : لقه دره وثوب الماء : السلى ، والفرس وفى ثوبى أبى أن أفيه : أى فى ذمتى وذمة أبى . وإن الميت ليبعث فى ثيابه . أى أعماله ، « وثيابك فطهر » قيل قلبك . وسموا ثوبيا ، وثواب كسحاب وثوابة كسحابة . وتثوب كمقعد « د » باليمن ، وثوب كزفر : ابن معين الطائى ، وزرعة بن ثوب المقرىء قاضى دمشق .

وعبد الله بن ثوب : أبو مسلم الخولانى . وجميح أو جميع بن ثوب ، وزيد ابن ثوب محدثون والحرث بن ثوب أيضا لا أثوب ، ووهم فيه عبد الغنى تابعى . وأثوب بن عتبة من رواة حديث الديك الأبيض ، وثواب : رجل غزا أو سافر فانقطع خبره فنذرت امرأته : لئن رده الله لتخرمن أنفه ، وتجنبن به إلى مكة . فلما قدم أخبرته به فقال : دونك ، فقيل أطوع من ثواب . والثائب : الريح الشديدة تكون فى أول المطر ، ومن البحر ماؤه الفائض بعد الجزر . وثواب بن عتبة ككتان محدث وابن حزابة له ذكر وبالتخفيف جمـــاعة . واستثابه سأله أن يثيبه ، ومالا استرجعه . وكزنير : تابعى محدث كلاعى وآخر بكالى ، وزياد بن ثويب وعبد الرحمن بن ثويب بعيان . ثيبان ككيزان اسم كورة ، والثيب المرأة فارقت زوجها أو دخل بها . والرجل دخل به ولا يقال للرجل إلا فى قولك ولد الثيبين . وهى مثيب كمعظم ، وقد تثيبت . وذكره فى ﻫ ث و ب » وهم .

مادة ثانية : (م ى س)

« الميس » ج (٢) ص ٢٥٣ باب السين فصل الميم . « الميس » والميسان، والنميس التبختر . ماس يميس فهو مائس ، وميوس ومياس . وماس أيضاً مجن . والله المرض فيه كثرة . والمياس الأسد المتبختر ، والذئب . وفرس شقيق بن جزى العبي . والميسون : الغلام الحسن القد والوجه . وميسون : اسم الزباء الملكة ، وبنت بحدل أم يزيد بن معاوية . والميسان المتبختر ونجم من الجوزاء أو كل نجم زاهر . ج « مياسين » وكورة م بين البصرة وواسط والنسبة ميسانى وميسنانى . واسم ليلة البدر وأحد كوكبي الهقعة . والميس شجر عظام ، ونوع من الزبيب . وضرب من الكروم ينهض على ساق والتمييس : التذييل

مادة ثالثة « شظ » ج ٢ ص ٢٩٦ .

« شظه الأمر » شق عليه ، والقوم فرقهم كشظظهم أو طردهم . والرجل أنعظ . والوعاء ، جعل فيه الشظاظ كأشظ فى غير الأول . والشظ بقية النهار وطاروا أشاظاً : تفرقوا . وكـكتاب : لص ضبي « م » ومنه « أسرق من شظاظ » وخشبة عقفاء تجعل فى عروق الجوالقيين « ج » أشظة وكأمير : العود المشقق والجواق المشدودة ، والشظة فعل زب الغلام فى البول . وأشظ البعير مد ذنبه . وجاء مشظظاً كمعظم : أى جاء وأدافه متهمل .

مميزاته :

من استعراض المعجم ، ومن الاطلاع على مقدمة أبى نصر الهورينى التى ذكر فيها الخصائص التى انفرد بها ، والميزات التى تميز بها ، نستطيع أن نثبت للمجد فى محيطه بعض الميزات ، ونسجل له بعض النواحى التى اضطلع بها :

١ — دقة تنظيم المواد ، لأنه يذكر المادة ويتبعها بشرحها المتتابع فأبعد

عن المعجم التكرار ، وتشتيت الأفكار ، ثم يؤخر فى أغلب الأحيان ذكر الأعلام .

٢ — الاختصار مع الدقة ، ويبدو ذلك فى مظاهر متفاوتة ، منها حذف أسماء العلماء والكثير من الشواهد والاستطرادات .

٣ — الاستقصاء فى ذكر المواد ، وقد هيأ له هذا السبيل دقة المراجع التى وضعها أمام ناظريه ، وهى العباب والمحكم ، فقد كانت أعلى مثل فى تحقيق هذا الغرض .

٤ — عنايته بالأعلام من الصحابة والمحدثين والعلماء ، وكان يتحين الفرصة فيذكر ما يناسب المقام لهم ، وهى ظاهرة جلية فى المعجم .

٥ — اهتمامه بالنواحى الطبية ، فيذكر اسم النبات ، والمنافع الهامة له ، وقد أشار إلى ذلك صاحب الجاسوس .

٦ — اهتمامه بمصطلحات العلوم وبخاصة فى علم العروض .

٧ — عنايته بالإشارة إلى الألفاظ المولدة ، والأعجمية ، والغريبة كقوله « جحلنجع » فى قول أبى الهميسع :

« من طحمة صبيرها جحلنجع »

والكندر : ضرب من حساب الروم فى النجوم .

٨ — اهتمامه بالضبط اهتماما دقيقاً ، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك فى منهجه من أنه يذكر ضبط الكلمة إذ يذكر موازنا لها ، وذلك فى أغلب الأمر ، وقد يذكر الضبط بالحركات وذلك قليل وهذا ملموس فى المعجم ، ولا يحتاج إلى إيضاح أو تمثيل .

٩ — حل مشكلة التصحيف والتحريف ، وذلك بوساطة الرموز

والمصطلحات التى سار على نهجها . وغير ذلك من الميزات التى يلمسها الباحث فى هذا المعجم الذى شاع ذكره .

وقد أورد الهورينى فى مقدمته تميزه بسبعة أمور نجملها فيما يلى :

١ — إضافة مواد جديدة أهملها الجوهرى فى صحاحه ، وقد أشار إليها بكتابتها بمداد أحمر ، كما بين ذلك فى خطبته .

٢ — إفراده الواوى من اليائى فى المعتل ، فإذا ورد الفعل من الواوى بحث عنه فى الواوى ، ثم فى اليائى كأنى ، فقد استعمل الأتو وهو الاستقامة فى السير ، والأتى وهو المجىء فيبحث عنه فى المادتين ، بادئا بالواوى ، ثم يردفه باليائى .

٣ — عدم ذكره ماجمع على فعلة بفتح الفاء والعين من فاعل المعتل إلا إن صحت عينه ، ولم يذكر المعتل لا طراده .

٤ — إشارته إلى المؤنث بعلامة التأنيث فيقول : وهو بها فى أغلب الأمر وقد ذكر صراحة نحو ثعلب وثعلبة .

٥ — أنه اتبع فى ضبط الأفعال نظاما معيناً ، وهو أن الفعل يكون من باب فعل يفعل ، إذا أكتفى بذكر الفعل الماضى ، أو المصدر ويكون من باب فعل يفعل إذا ذكر كضرب ، ما لم يكن حلقى العين كجأر ، أو اللام كفتح .

٦ — اتبع فى ضبط الأسماء تجريدها من الحركات للإشارة بأنها مفتوحة الفاء ساكنة العين ، وإن كانت العين مفتوحة قال محركة ، وذلك مالم تشتهر الكلمة بغير الفتح ، فإن ضبطها يتجه إليه .

٧ — وضع رموزاً خاصة للإشارة إلى أمور معينة « م » معروف ،

«ع» موضع ، «ج» جمع ، «ه» قرية ، «د» لبلد، وقد نظمها بعضهم فى قوله :

وما فيه من رمز فخمسة أحرف فميم لمعروف وعين لموضع
وجيم لجمع ثم هاء لقرية وللبلد الدال التى أهملت فع

وزاد على ذلك بعضهم :

وفى آخر الأبواب واو وياؤها إشارة واوى ويائيها اسمع

وهناك رموز أخرى « جج » لجمع الجمع ، « خ » للبخارى .

المآخذ على القاموس :

لقد تعرض للفيروزبادى نقاد كثيرون ، أبرزهم شأنا أحمد فارس الشدياق فقد ألف « الجاسوس على القاموس » . ولم يكتف بذلك بل تعرض لنقده فى كتابه « سر الليال فى القلب والإبدال » . وكذلك نقده العلامة محمد سعد الله فى كتابه « القول المأنوس » .

ونحن نورد بعض ما أخذ على هذا المعجم :

١ ــ اختصاره أوقعه فى أمور أخذت عليه منها :

(ا) إبهام عبارته وغموضها ، لأنه يورد الألفاظ دون تنبيه عليها ، أو أن ينسبها إلى من نقلت عنه فى غالب الأمر ، وقال أورد الشدياق أمثلة كثيرة ص ١٣٠ من الجاسوس لما أطلقه ونبه عليه بعضهم بقوله : ليس بثبت وبعضهم بقوله : لا أرى صحته ، أولا أحققه. من ذلك قوله فى باب الباء : الخزب : الخزف ، الخثعبة : الهنة المتدلية فى وسط الشفة العليا المشجب : الرجل المسترخى .

(ب) عدم نسبته الألفاظ إلى القبائل التى نقلت منها ، ولاسيما حمير ، ومن ذلك الهيبخة كعيملة : الجارية الناعمة ، والهيبخ كعملس : الناعم ، وهى

بلغة حير كما نبه عليه ابن سيده . وكقوله : الشلط : السكين ، الشنيرة الإصبع وهما أيضاً بلغة حمير .

٢ — قصور عبارته وغموضه أدى إلى اللبس فى فهم المراد ، ومن ذلك قوله : « فى مادة سأر » ، السؤر بالضم : البقية والفضلة ، وأسأر : أبقاه ، وسأر كمنع ، والفاعل منهما سآر كشداد ، والقياس مسئر ، ويجوز وقد عقب عليه الجاسوس بقوله : وحقه أن يقول قياس اسم الفاعل من الرباعى مسئر ، ومن الثلاثى : سائر . . .

٣ — وقوعه فى أخطاء صرفية لا تليق بمكانته ، وقد أشار إلى بعضها الجاسوس ص ٧٦ من أن الصواب جانبه فى وزن وامتروا مصر ، والحق فذكر أنها على « افتعل » ، وهى على « انفعل » .

٤ — تعريفه اللفظ بالمعنى المجهول دون الواضح ، كما فعل غيره من اللغويين ومن ذلك : تفسيره الرجم بالقتل . ولكن التهذيب يقول : الرجم الرمى بالحجارة .

٥ — إيراده كثيراً من الأمور التى لا تتصل باللغة اتصالا مباشراً ، كالأعلام ، والنباتات ، والفوائد الطبية .

٦ — تقيده الأشياء المطلقة ، ومن ذلك قوله : أزأ الغنم : أشبعها ، فظاهر ذلك أنه خاص بالغنم ، مع أنه يقال لغيرها ، وكان جديراً به الإطلاق

٧ — عدم تميزه بين المعانى الحقيقية والمجازية ، وغير ذلك من النقود التى سنرجىء الكلام عليها لحين عرضنا للجاسوس ، وذكر أمثلة للنقد الذى وجده .

أثر هذا المعجم :

لقد كان لهذا المعجم أثر كبير فى عالم اللغة ، ولا يزال من أبرز المعاجم لدى الباحثين ، وقد اهتم به الباحثون قديماً وحديثاً .

ومن فرط العناية بأمره ترجم إلى الفارسية والتركية .

وقد عنى بأمره كثيرون بين الشرح، والنقد والتعليق، وإبراز طريقته ، وتوضيح الغامض منه

ومن أبرز الكتب التى تولت شرحه « تاج العروس » للزبيدى .

وممن عنى بتعقبه وخاصة لنهجه على الجوهرى فى صحاحه كثيرون ، برز منهم أخيراً أحمد فارس الشدياق فقد تعقبه فى كتابه سر الليال فى القلب والإبدال ، وأفرد لنقده كتابا مستقلا وهو الجاسوس على القاموس .

وسنعرض للشرح وللنقد لنتمكن من إعطاء صورة صادقة عما دار حول هذا المعجم .

٤ — تاج العروس

مؤلفه :

محب الدين أبو الفيض ، السيد محمد مرتضى الحسينى ، الواسطى الزبيدى ولد سنة ١١٤٥ هـ بزبيد إحدى قرى اليمن ، وهى التى أقام فيها الفيروزبادى بقية عمره ، وقد ابتدأ فيها حياته العلمية فتلقى عن شيوخها ، وتزود من الثقافات الموجودة بها ، ولما تطلعت نفسه إلى الاستزادة من العلوم ، يمم مصر ، حصن العلم ، ومنهل المعرفة ، ومقر الشيوخ الأجلاء ، والعلماء الأفاضل ، وذلك فى سنة ١١٦٧ هـ فاشترك فى تلقى العلوم عن خيرة العلماء ، وسرعان ما لمع اسمه وسطع نجمه ، لأنه عكف على الناحية اللغوية يستزيد منها ، ويشترك فى كثير من المناقشات التى تتصل بها وقد ظل مقيما بالقاهرة إلى أن توفى بها سنة ١٢٠٥ هـ .

منزلته العلمية :

لقد برز الزبيدى فى جميع النواحى ، وقد عكف على شرح القاموس فى كتابه الذى أسماه « تاج العروس » الذى أخرجه فى عدة سنين ، واطلع عليه طلاب العلم ، فشهدوا بفضله ، واعترفوا بجليل مكانته .

وكان إتمامه سنة ١١٨١ هـ ، ومما ساعده على ذلك معرفته لعدة لغات ، وكان الإقبال على تعرف اللغات قليلا فى هذا العصر . وبخاصة فى وسط الأزهر وقد أضفى ذلك على مكانته ما جعله مطمح الأنظار ووجهتها . وينبئنا عن مكانته ، أنه لما أخرج العروس ، وأعجب الناس بأمره لما حواه من معارف جلت غوامض القاموس : من الإفاضة اليسيرة . تصادف أن محمد بك أبو الذهب أنشأ مكتبة بمسجده الواقع قرب الجامع الأزهر وأوعز إليه

كثير من الأفاضل أن يقتنى تاج العروس . ويجعله ضمن مكتبته ، فاستجاب لأمرهم وحقق رغبتهم ، ودفع له مائة ألف درهم . وله مؤلفات أخرى غير هذا المعجم ، ولا يزال بعضها موجوداً ، إلا أن هذا المعجم حقق له فضلا ، وأثبت له خير عمل ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له المثوبة .

هدفه :

إن من يرجع إلى مقدمة التاج ، يبدو له الحافز على إخراج هذه الدرة المتألقة ، وهو أنه قد وجد ذيوع القاموس المحيط واشتهاره شهرة كبيرة ، ولمس مافيه من اختصار وغموض ، فدفعه ذلك إلى تكميل نقصه . وإتمام مباحثه ، ليبدو أمام الباحث . بكل احتياجاته ، وإن هذا واضح فى مقدمته ص ٢ التى قال فيها ، وكان فيها كتاب القاموس المحيط ، للامام مجد الدين الشيرازى ، أجل ما ألف فى الفن ، لاشتماله على كل مستحسن . من قصارى فصاحة العرب العرباء ، وبيضة وزبدة حوارها ، والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن ، حيث أوجز لفظه ، وأشبع معناه ، وقصر عبارته ، وأطال مغزاه ، ثم قال : واشتهر فى المدارس شهرة أبى دلف بين محتضره وباديه ، وخف على المدرسين أمره إذ تناولوه . وقرب عليهم مأخذه فتداولوه ولما كان إبرازه فى غاية الإيجاز ، وإيجازه عن حد الإعجاز ، تصدى لكشف غوامضه ودقائقه رجال من أهل العلم شكر الله سعيهم وأدام نفعهم . . . »

فمن هذا القدر من المقدمة ، يبدو عرضه الذى ذكرناه آنفا واضحاً تمام الوضوح ، وهو أنه قصد شرح موجزه ، وإزالة عامضة وإضافة ما أهمل عنده

منهجه :

لايبدو هذا المعجم مستقلا بنفسه لأنه شرح للقاموس المحيط ، ولذلك فإن منهج القاموس هو الذى التزم فيه ، مع الإضافات التى جلته . والمباحث التى وضحته . وقد أوضح فى خطبته الحافز له على ذلك بأن القاموس درة

متألقة فى جبين اللغة ، فقد جمع شاردها وضم نافرها وآبدها ، مع الإيجاز والاختصار ولذلك نرى أنه التزم طريقة القاموس السابقة وهى :

١ ـ جمع الكلمات مجردة من الزوائد ، مراعى فيها الحرف الأخير ليكون باب الكلمة ، والأول فصلها .

٢ ـ راعى الدقة فى الضبط ، ولم يخرج عما التزمه الفيروزبادى ، وأضاف إليها :

ا ـ العناية بالشواهد التى أهملها القاموس ، وهى مذكورة فى المعاجم الأخرى .

ب ـ أبرز أسماء اللغويين الذين نقل عنهم الفيروزبادى .

جـ ـ ذكر المواد اللغوية التى أهملها المحيط ، وعنى بأمرها عناية دقيقة وقد صدر هذا المعجم بمقدمة تضم عشرة مقاصد :

المقصد الأول :

فى نشأة اللغة الإنسانية الأولى ، وهل هى توقيفية أو اصطلاحية ، وكان السيوطى عمدته فى هذا البحث نقلا عن « المزهر » .

والمقصد الثانى :

فى فضل لغة العرب ، وبيان سعتها ، مصدراً له بكلمة لابن فارس فى هذه الناحية .

والمقصد الثالث :

فى أبنية الكلمة ، وقد استقاها من « المزهر » الذى أخذها من « العين » .

والمقصد الرابع :

فى بيان المتواتر من اللغة والآحاد ، وقد كان اعتماده فى هذا المبحث على ابن الأنبارى ، فى كتابه « لمع الأدلة » .

والمقصد الخامس :

فى بيان الفصيح ، وأظهر أن الرسول أفصح الخلق ؛ لما روى من قوله: صلوات الله وسلامه عليه « أنا أفصح الخلق بيد أنى من قريش » .

والمقصد السادس :

تابع فيه ابن جنى فى المطرد والشاذ ، وسايره فى تقسيمه إلى أربعة أقسام مطرد قياساً واستعمالا ، ومطرد قياساً لا استعمالا ، ومطرد استعمالا لاقياساً ، وشاذ قياساً واستعمالا وتابع فيه السيوطى فى المزهر فى الحقيقة والمجاز . كما تكلم فيه عن المجاز والمشترك . والمتضاد ، والمترادف ، والمعرب ، والمولد .

والمقصد السابع :

تناول فيه آدب الغوى ، من الإخلاص ، وتصحيح الشبه ، والتحرى فى الأخذ عن الثقاة :

والمقصد الثامن :

تكلم فيه عن طبقات النحويين واللغويين ، وتناول جمع اللغة ، واضح أن الخليل بن أحمد أول من صنف فى جمع اللغة فى كتابه « العين » .

والمقصد التاسع :

تكلم فيه عن الفيروزبادى وعن جهوده الموفقة ، فى إخراج هذه الدرة المتألقة ، ليلتفع بها الباحثون .

والمقصد العاشر :

بحث فيه الأسانيد المتصلة بالمؤلف .

وإن هذه المقاصد من أجل الأمور التى يحتاج إليها الباحث اللغوى ، فهى مفتاح يرشده إلى هذه الكنوز الثمينة . وبعد انتهائه من غريب اللغة التى بهرت الناظر إليها ، وأدب استرعى ذهن السامع ، ثم عرج على الأبواب وهى كما تقدم فى القاموس ثمانية وعشرون باباً ، وقد تابع الفيروزبادى فيها : فلام الكلمة باب ، وفاؤها فصل ، وسايره فى الضبط الذى اتبعه ، والرموز التى إقتفاها ، لأنه شرح للقاموس ، ولم يكتف بذلك ، بل إنه يشير إلى الزيادات التى يلحقها بالمعجم .

ومن ذلك أن القاموس ذكر باب الهمزة ، فصل الياء ، وأخذ فى ذكر المواد المتعلقة بها . فقال « أبا ، أتا ، أثا ، الخ » . ولكن الشارح أخذ يبين المقصود من الباب ، وأنه فى اللغة : الفرجة التى يدخل منها إلى الدار ، ويطلق على ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ، وأنها فى الاصطلاح اسم لطائفة من المسائل : مشتركة فى حكم ، وقد يعبر عنها بالكتاب ، وبالفصل ، وقد يجمع بين الثلاثة .

ثم ذكر فصل الهمزة ، فشرح المراد منها ، وأنها الألف المهموزة لأنها لا تقوم بنفسها ، ولا صورة لها فلذا تكتب مع الضمة واوا ، ومع الكسرة ياء ، ومع الفتحة ألفا . وبعد استعراض هذه المعانى يأتى للمواد حسب القاموس ثم يعقبها بالشرح كقوله : الأباءة كعباءة القصبة ، ويعقبه ببعض المعانى التى عرضت له فيقول : أو هى أجمة الحلفاء ، أو القصب خاصة كذا قاله ابن برى . ثم يرجع إلى كلام المجد واضعا له قوسين « ج إباء » . ثم يعود إلى الشرح فيقول : بالفتح والمد ، وقرأت فى مشكل القرآن لابن قتيبة فى باب الاستقامة قول الهذلى

وأكحلك بالصاب أو بالحلا ... ففتح لكحلك أو أغمض

وأسعطك فى الأنف ماء الأبا ... مما يتمثل بها المحفض

قال : الأباء التصب ، وماؤه شر المياه . ويقال : الأباء هنا الماء الذى يبول فيه الأروى فيشرب منه العنز فيمرض .

تلك هى المبادىء التى اتبعها ، ويضاف إلى ذلك أنه أشار إلى المراجع التى أخذ منها : كمعاجم اللغة مثل صحاح الجوهرى وتهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيده . ولسان العرب ، وأساس الزمخشرى ، وجمهرة ابن دريد ، ومجمل ابن فارس ومن رسائل لغوية كتهذيب الأبنية والأفعال ، لابن القطاع ومن كتب التاريخ والطبقات كالروض الأنف للسهيلى ، ومن كتب النحو والصرف كخصائص ابن جنى .

ومن كتب الأدب كمقامات الحريرى ، وشرح ديوان الهزليين ومن كتب علوم القرآن مثل : الحجة فى القراءات السبعة لابن خالويه . ومن كتب الجغرافية كمعجم البلدان لياقوت والخطط للمقريزى ومن كتب طبية كتذكرة داود والأسفسطاقى فى الطب . ومن كتب سياسية : مثل قوانين الدواوين لابن الجيعان

وقد أوضح بأنه نقل من هذه المراجع مباشرة ، ولم يلجأ إلى الأخذ عمن نقل عنها ، وقد صرح بذلك فى مقدمته فقال : «ونقلت بالمباشرة لا بالوسائط عنها ولكن على نقصان فى بعضها نقصا متفاوتاً ، بالنسبة إلى القلة والكثرة» .

أمثلة من المواد لبيان منهجه :

فصل الخاء :

«خ ب ب»(١) «الخب» بالفتح : الخداع ، وهو الجربز كقنفذ الذى يسعى بين الناس بالفساد ، ورجل خب وامرأة خبة ويكسر أوله ، وأما المصدر فبالكسر لاغير ، وقول شيخنا صريح إطلاق المصنف كما يقتضيه اصطلاحه أن الخب إنما يقال بالفتح ، وصرح الجوهرى بأنه يقال بالفتح والكسر ففى كلامه قصور عجيب ، وكأنه سقط من نسخته ، قوله يكسر كما هو ظاهر ، وفى لسان العرب : رجل خب وخب : خداع جربز خبيث منكر وهو الخب ، والخب ، قال الشاعر :

(١) من باب الباء جـ١ ص٢٢٦ .

وما أنت بالخب الخنوع ولا الذى إذا استودع الأسرار يوماً أذاعها

وفى الحديث : لايدخل الجنة خب ولا خائن ، وفى آخر ، المؤمن غر كريم وفى آخر ، المؤمن غر كريم ، والكافر خب لئيم ... فالغر الذى لا يفطن للشر والخب ضد الغر وهو الخداع المفسر والرجل خب ضب . ويقال : ما كنت خبا . وقال ابن سيرين : إنى لست بخب ، ولكن الخب لا يخدعنى والخب الحيلة بالحاء المهملة ويوجد فى النسخ بالجيم ، وهو غلط من الرمل اللاطىء : اللاصق بالأرض نقله الصاغانى . والخب : سهل بين حزنين تكون فيه الكمأة قال أبو عمرو ، وأنشدوا لعدى بن زيد ، قال : لقديمة عبد هند ابن لحم :

تجنى لك الكمأة ربيعة بالخب تندى فى أصول القصيص

والخب بالضم لغة فى الخب بالفتح ، كما نقله شيخنا عن بعض شيوخه المحققين : لحاء الشجر ، والغامض من الأرض ، والجمع أخباب ، وخبوب والخب بالكسر : ع ، كذا ضبطه الصاغانى ، وأعاده المصنف فيما بعد أيضاً ، وضبطه غيره بالفتح ، وقال : هو ماء لغنى بالكوفة : وهو أيضاً ، هيمان البحر واضطرابه . ويقال : أصابهم خب البحر خب يخب فى التهذيب . يقال : أصابهم الخب : إذا اضطربت أمواج البحر والقوة فى الرياح فى وقت معلوم تلجأ السفن فيه إلى الشط أو يلقى الأنجر كالخباب بالكسر : وهو ثوران البحر قاله ابن الأعرابى . وفى الحديث : أن يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : لما ركب البحر أخذهم خب شديد ، يقال خب البحر : إذا اضطرب ، وفى الأساس ومن المجاز خب البحر : هاج . وأصابهم الخب تقوت عليهم الريح ، واضطرب الموج ، والخب بالكسر : الخداع ، والخبث والغش والفساد ، كالخبب محركة فى قول ابن الأعرابى ، وقد خب يخب خبا وهو بين الخب وقد خببت يارجل تخب خبا كعلم علماً . ورجل مخاب مدغل كأنه على خاب . وفى حديث عمر : ما تكلم أحد بالفارسية إلا خب

وخبيبه خدعه . والتخبيب إفساد الرجل عبداً أو أمة لغيره . يقال : خبيبها مفسدها ، وخبب فلان غلامى أى خدعة : وقال أبو بكر فى قولهم خبب فلان على فلان صديقه معناه أفسده عليه . وأنشد :

« أميمة أم صارت لقول المخبب »

والخبب محركة ضرب من العدو أى الإسراع فى المشى ، أو هو كالرمل محركة قاله بعض اللغويين ، أو هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً ، وأياسره جميعاً ، أو هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير . والمراوحة : أن يقوم على إحداهما مرة ، وعلى الأخرى أخرى .

وقيل الخبب هو السرعة وقد خب بالضم على غير قياس قال شيخنا : لأن القاعدة فى الفعل اللازم المضاعف أن يكون مضارعه بالكسر إلا ماشذ فجاء بالضم على خلاف القياس وهى ثمانية وعشرون فعلا ، منها خب يخب : إذا عدا خباً وخبيباً وخبباً واختب حكاه ثعلب . وأنشد :

مذكرة الثنيا مساندة القرا بجمالية تخب ثم تليب

وقد أخبها صاحبها ، ويقال : جاءوا مخبين تخب بهم دوابهم وفى الحديث أنه كان إذا طاف خب ثلاثاً وهو ضرب من العدو وفى الحديث وسئل عن الخب بالجنازة فقال ما دون الخبب . وفى حديث مفاخرة رعاء الإبل والغنم هل يخبون أو يصيدون ، أرادأن رعاء الإبل لايحتاجون أن يخبوا فى آثارها ورعاء الإبل يحتاجون إليه إذا ساقوها إلى الماء . والخبة مثلثة طريقة من رمل ، أو سحاب ، وفى جلد من ذهاب اللحم ، أو خرقة كالعصابة الخبيبة والخب بالضم وهذه عن الليحانى وأنشد : —

لها رجل مجيرة بخب وأخرى ما يسترها أجاج

وقال أبو حنيفة : الخبة من الرمل كهيئة الغالق غير أنها أوسع وأشد انتشاراً وليست لها جرفة ، وهى الخبة ، والخبيبة . وقال غيره : الخبة بالكسر الطريقة من الرمل والسحاب ، وهى من الثوب شبه الطرة

وقال الأصمعى : الخبة ، والطبة والخبيبة ، والطبابة ، كل هذه طرائق من رمل وسحاب ؛ وأنشد قول ذى الرمة :

« من عجمة الرمل أنقاء لها خبب »

ورواه غيره لها حبب ، وهى الطرائق أيضاً . وقد تقدم ذكره فى محله . واختب من ثوبه خبة : أى أخرج ، وقال شمر : خبة الثوب : طرة وثوب أخباب ، وخبب كعنب : خلق لتقطع ، عن اللحيانى : وخبائب أيضاً مثل هبائب إذا تمزق . وفى الأساس « خبب » اعصب يدك بالخبة . وهى شبه طية من الثوب مستطيلة ، وثوب خبائب . والخبيبة . الشريحة من اللحم ، وقيل الخصيلة منه يخلها عقب . وقيل كل خصيلة خبيبة ، وخبائب المتنين : لحم طوارهما . قال النابغة .

فأرسل غضفا قد طواهن ليلة ينقطن حتى لحمهن خبائب

والخبائب خبائب اللحم ، طرائق ترى فى الجلد من ذهاب اللحم . يقال : لحم خبائب أى كتل ، وشريم ، وقع ، ونحوه ، وقال أوس بن حجر :

صدى غائر العينين خبب لحمه سمائم قيظ فهو أسود شاسف

قال : خبب لحمه ، وخدد لحمه : أى ذهب فرئيت له طرائق فى جلده . وقال أبو عبيدة الخبيبة : كل ما اجتمع فطال من اللحم قال : وكل خبيبة من لحم فهو حصيلة فى ذراع كانت أو غيرها . ويقال أخذ خبيبة الفخذ ، ولحم المتن . وقال الفراء : الخبيبة القطعة من الثوب . وقال غيره هى العصابة .

وفى الأساس ومن المجاز : قطع خبة من اللحم أى شريحة منه . والخبيبة على ما عرفت : ليس بصوف ، وغلط الجوهرى ، وإنما هو الجنيبة بمعنى الصوف بالجيم والنون والباء الموحدة ، وقد تقدم ذكره فى محله .

وهذا الذى أنكره المؤلف على الجوهرى هو قول أكثر أئمة اللغة . وقد نقل فى لسان العرب بعضا منه . حينما قال : الخبيبة : صوف الثنى، وهو أفضل من العقيقة ، وهى صوف الجدع وأبقى وأكثر ، وفيه أيضاً: وأخطأ الليث حيث ذكر فى ترجمة حبن : الحبنة خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها. قال الأزهرى : هو تصحيف، والذى أراد الخبة ، وأما بالحاء والنون فلا أصل له فى باب الثياب . ومن المجاز : وخب النبات والسقى : طال وارتفع ، وخب الفرس : جرى ، وخب الرجل خبا : منع ماعنده ، وخب : نزل المهبط من الأرض ليجهل موضعه ، ولا يشعر به بخلا وإثما، وخب البحر: اضطرب وتلاطمت أمواجه ، وقد تقدم : وخب فلان صار خبا أى خداعا والخبة بالضم : مستنقع الماء تنبت حواليه البقول . وخبة ع ، ويقال : اسم أرض . قال الأخطل :

فتنهنهت عنه وولى يقترى رملا بخبة تارة ويصوم

وقال أبو حنيفة : الخبة : أرض بين أرضين لاخضبة ولا مجدبة . قال الراعى :

« حتى تنال خبة من الخبب »

وعن ابن شميل : الخبة من الأرض : طريقة لينة منبات ليست بحزنة ولا سهلة وهى إلى السهولة أدنى . قال : وأنكره أبو الدقيش قال : وزعموا أن ذا الرمة لقى رؤبة فقال له : مامعنى قول الراعى :

أناخوا بأشوال إلى أهل خبة طروقا وقد أسعى سهيل مفردا

قال فجعل رؤبة يذهب مرة ههنا ، ومرة ههنا ، إلى أن قال : هى أرض بين الملكثة والمجدبة ، قال : وكذلك هى ، وقيل : أهل خبة فى بيت الراعى: أبيات قليلة ، والخبة من المراعى، ولم يفسرلنا . وقال ابن نجيم: الخبيبة والخبة كله واحد : وهى الشقيقة بين حبلين من الرمل ، وأنشد بيت الراعى . قال

وقال أبو عمرو : خبة كلاء ، والخبة مكان يستنقع فيه الماء ، وبطن الوادى كذا فى النسخ ، وفى بعضها والخبة : بطن الوادى كالخبيبة والخبة . وفى الأساس : ومن المجاز اعترضتهم خبة من الرمل . والخبيب : الخد فى الأرض والخواب القرابات والسهر . يقال : لى من فلان خواب ، ولى فيهم خواب أحدها خاب وفى نسخة خابة ، والأول أصح . وخبخب الرجل : إذا غدر عن أبى عمرو . وخبخب ، ووخوخ : إذا استرخى بطنه . عن ابى عمرو أيضاً وخبخب عنه من الظهيرة : أبرد ، وأصله خبب بثلاثة باءات ، أبدلوا من الباء الوسطى خاء ، للفرق بين فعلل وفعل ، وإنما زادوا الخاء من سائر الحروف لأن فى الكلمة خاءا وهذه علة جميع ما يشبهه من الكلمات والخيخاب كالخبخبة : رخاوة الشىء المضطرب ، واضطرابه . وقد تخبخب وتخبخب بدنه إذا سمن ثم هزل بعد السمن حتى يسترخى جلده فتسمع له صوتا من الهزل ، عن ابن دريد ، وتخبخب الحر سكن بعضه . وإبل مخبخبة عظيمة الأجواف أو كثيرة كثيرة عن الأصمعى ، وأنشد :

حتى تجىء الخطبة يابـــل مخبخبـــة

أو أنها هى المخبة مقلوب مأخوذ من بخ بخ . أى سمينة حسنة كل من رآها يقال بخ بخ ما أحسنها ، ما أسمنها إعجابا بها فقلب . عن ابن الأعرابى أو أنها مصحفة من المجبجة بالجيم : أى عظيمة الجبوب .

وقد تقدم الكلام عليه فى « ج ب ب » فراجعه وأخباب الفحث بالكسر والفتح معاً : الحوايا هكذا استعمل مجموعا . والأخباب بلفظ . جمع الخب أو الخبب . موضع قرب مكة . وخب بالكسر وخبيب كزبير : موضعان هكذا نقله الصاغانى :

أما الأول فقد تقدم تحقيقه . وأما الثانى فهو موضع بمصر والخبيبان . هما أبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو المراد من قول الراعى :

ما إن أتيت أبا خبيب واقداً يوم أريد لبيعتى تـــبديلا

وابنه خبيب بن عبد الله.. أو هما : أبو خبيب ، وأخوه مصعب بن الزبير قال حميد الأرقط :

« قدنى من نصر الخبيبين قدى »

فمن روى الخبيبين على الجمع يريد ثلاثتهم . وقال ابن السكيت : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه ، وخباب كشداد : اسم قين بمكة « زيدت شرفا » كان يضرب السيوف الجياد ويدقها حتى ضرب به المثل . ونسبت إليه السيوف وبما ذكر أهل التواريخ : أنه تكالم الزبير وعثمان رضى الله عنهما فى أمر من الأمور فقال الزبير : إن شئت تقاذفنا من القذف وهو الرمى . فقال عثمان : أبالبعير يا أبا عبد الله كأنه استهزأ به ، قال بل بضرب خباب وريش المقعد : يعنى السيف . وبريش المقعد النبل . والمقعد على صيغة اسم المفعول : اسم رجل كان يريش السهام .

وخباب بن الأرث بن جندلة بن سعد ، بن خزيمة الخزاعى . وقيل التيمى وهو أصح . أبو عبد الله من السابقين فى الإسلام وشهد بدراً ، ثم نزل الكوفة ، ومات بها سنة سبع وثلاثين (وخباب بن إبراهيم ، وهو أبو إبراهيم الخزاعى ذكره الطبرانى ، وعبد الرحمن بن خباب السلمى بصرى روى عنه فرقد أبو طلحة حديثاً متصلا صحابيون ، وعبد الله وصالح وهلال ويونس الرافضى ، ومحمد أولاد الخبابين ، أما عبد الله بن خباب فهو من موالى بنى النجار ، ثقة من الثالثة .

روى عن أبى سعيد ، وصالح بن خباب من شيوخ الأعمش ، وهلال بن خباب ، وهو أبو العلاء البصرى من موالى عبد القيس ، نزل المدائن . صدوق تغير بأخرة ، ويونس بن خباب .

روى عن عطاء ومجاهد وهو ضعيف ،قال الذهبي في الديوان كان سباباً لعثمان رضي الله عنه ،وفي التقريب الأسيد مولاهم الكوفي صدوق يخطىء ورمي بالرفض ، ومحمد بن خباب شيخ لحاجب بن أركين ، قال الذهبي،وكذا أبو خباب الوليد بن بكير ، التميمي الكوفي،هكذا ضبطه الذهبي.وفي تقريب الحافظ بالجيم والنون،وقال لين الحديث من الثامنة،وصالح بن عطاء بن خباب ذكره الذهبي في المشتبه محدثون . وفاته أبو زيد بن خباب الصاغاني،فإنه مذكور مع هؤلاء ،وخبيب الزبير بن بسام ويقال استاف بن عتبة بن عمرو الخزرجي وخبيب بن الأسود الأنصاري قال عبدالله هو بدري وخبيب بن الحارث ، هكذا قاله ابن شاهين،وقال أبو موسى: هو بالجيم. وخبيب بن مالك الانصاري الأوسي وأبو عبد الله خبيب ، حليف الأنصار الجهني صحابيون .وخبيب بن سليمان ابن سمرة بن جندب أبو سليمان الكوفي مجهول من السابعة ، وخبيب بن عبدالله ابن الزبير وقد تقدم، وبه كان يكنى والده، ثقة عابد من الثالثة،مات سنة ثلاث وتسعين وابن أخيه خبيب بن ثابت الجواد الفصيح،وهو ابن عبدالله الزبير،ومن ولده المغيرة ولاه المهدي على المدينة ، وابن عم خبيب بن الزبير بن عبد الله ابن الزبير ، وخبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن بساف ، أبو الحارث المدني شيخ مالك بن أنس،ثقة من الرابعة . ومعاذ بن خبيب الجهني ، وأبو خبيب العباس بن أحمد البرتي بالكسر محدثون . وفاته في الصحابة : خبيب بن عدي الشهير. وفي المحدثين : معاذ بن عبدالله بن خبيب الجهني ،وعنه مسلم بن خبيب الجهني وعنه مسلم بن خبيب رواة الحديث . ومحمد بن ابراهيم بن خبيب ابن سليمان ، بن سمرة ، روى عنه مروان بن جعفر وعمرو بن خبيب بن عمرو. وخبيب بن عبد الله الأنصاري المدني عن معاوية . وعمر بن خبيب ابن الزبير ، نسب إلى جده ، وهو خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ابن بكر وابنه الزبير حدث عن هشام بن عروة ، وخبيب مولى الزبير بن العوام رواه عن مولاه .

مميزات « تاج العروس » :

إن من يرجع إلى هذا المعجم تبدو له مزاياه الجليلة ، وآثاره النافعة من ذلك :

١ — عنايته بإبراز المعانى المجازية ، والاهتمام بأمرها اهتماما فاق الوارد فى المعاجم الأخرى ، ويظهر أن ذلك راجع للنقد الذى وجهه شيخه أبو الطيب للفيروزبادى فى إهمال هذه الناحية فى القاموس المحيط ، ومن المعـــانى المجازية ماذكره فى مادة « رفع » . ومن المجاز قال الأصمعى رفع القوم فهم رافعون : إذا صعدوا فى البلاد . ومن المجاز ارفعوا الزرع أى احملوه بعد الحصاد إلى البعيد كما فى الصحاح . وقوله تعالى : « وفرش مرفوعة » أى بعضها فوق بعض أو مقربة لهم .

٢ — إشارته إلى اللهجـات العامية ، وخاصة المصرية كقوله فى مادة « زلط » . ومما يستدرك عليه الزلط محركة الحصا الصغار ، مثل حصا الجمرات ويشبه بها الفول الذى لم يدش وهى عامية . وكقولهم : زلط اللغة زلطاً : إذا ابتلعها من غير مضغ ، وكقوله فى مادة « صنط » أهمله الجوهرى ، وصاحب اللسان . وهو القرظ هـكذا تنطق به أهل مصر ، وهى لغة فى السنط بالسين

٣ — اهتمامه بدلالة التراكيب أو بأصول المواد ومقاييسها كما قال ابن فارس ومن ذلك قوله فى بسأ وفى العباب : التركيب يدل على الأنس بالشىء وفى مادة « بكا » على نقصان الشىء .

٤ — تنبيهه على كثير من الأعلام والأماكن التى لم تذكر فى القاموس المحيط ، ومن ذلك ماذكره فى مادة « عنز » ، وفاته عنزة بن عمرو بن أقصى ابن حارثة الخزاعى ذكرها الصاغانى . ومما يستدرك عليه : العنز قبيلة من هوازن وفيهم يقول :

وقاتلت العنز نصف النهار ثم تولت مع الصادر

والعنز : أكمة بعينها ، وبه فسر قول الشاعر :

وكانت يوم العنز صادت فؤاده

٥ — نقل الشواهد التى أغفلها الفير وزبادى فى معجمه ، من المعاجم الأخرى ، ليتم الشرح على وجه قوى

٦ — أورد أسماء اللغويين الذين نقل عنهم وأشـــار إلى المصادر التى أخذ عنها .

٧ — إيراده بعض المواد التى أهملها القاموس . وكذلك بعض المشتقات التى أغفلها ، وهذه الفوائد تذكر تحت عنوان «ومما يستدرك عليه أو المستدرك ومن ذلك قوله فى مادة « ل ب . ب » ومما يستدرك عليه كذا وعن الليث : والصريح إذا أنذر القوم لبب ، وذلك أن يجعل كنانته وقوسه فى عنقه ، ثم يقبض على تلابيب نفسه وأنشد .

إنا إذا الداعى اعتدى أو لبا

ومن ذلك ما ذكره فى مادة « ويح » زاد صاحب التاج عليها قال الخليل : لم تستعمل العرب على هذا الوزن إلا « ويل ويه ، ويك ؛ ويس » وقد ذكر كتاب العين فى ذلك الموضع ما يقرب من هذا .

وغير ذلك من الميزات التى تعد لهذا المعجم .

المـــآخـذ على تاج العروس :

إن تاج العروس قد وفى تمام الوفاء بما التزمه ، إلا أن هذا الالتزام ، وذلك التقييد بالشرح أوقعه فى المآخذ التى وجهت إليه وهى :

١ — تركه كثيراً من التصحيف والتحريف الذى وقع فى القاموس

دون تصحيح أو تنبيه . ويظهر أن اتباعه لخطته ، وشرحه لما وردفيه أوقعه فى كثير من ذلك .

٢ ــ أبرز كثيراً من الأعلام . مما أخرجه عن معنى المعجمية

٣ ــ أورد كثيراً من النباتات الطبية مسايرة للمحيط .

٤ ــ ترتب على إيراد كثير من النواحى المختلفة عدم التناسق أو الترابط بين المواد داخل المعجم .

ومع ذلك فتلك نقود هينة لا تضعف من شأن هذا المعجم .
بل إنه فى واقع الأمر من خير المعاجم ، لكثرة المراجع التى اعتمد عليها ولذلك لا نكون مغالين إن قلنا إنه يبذ اللسان ، وبخاصة فى ناحية اهتمامه بالأمور المصرية كاللغات وسواها ، مع أن كليهما مصرى صميم فى مصريته .

فرحم الله هذا المولف ، وأثابه خير المثوبة .

٥ ــ الجاسوس على القاموس

مؤلفه :

أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق ، ولد فى قرية الحدث من أعمال لبنان ، سنة ١٨٠٤ م من أبوين مسيحيين مارونيين سمياه فارسا . وقد تنقل طلبا للعلم ، فانتجع مصر ، وتلقى الأدب عن علمائها ، واتجه إلى مالطة ، لإدارة أعمال الطباعة الأمريكية ، وتوجه إلى كثير من الدول الأوربية ، واتجه أخيراً إلى تونس ، وهناك اعتنق الدين الإسلامى ، وتسمى « أحمد فارس » ، وقد استدعاه المسئولون إلى القسطنطينية فأقام فيها عدة سنين . أصدر خلالها صحيفة الجوائب سنة ١٢٧٧ هـ ومكثت ثلاثا وعشرين سنة وظل بتركيا إلى أن وافته منيته هناك سنة ١٨٨٧ م ، وقد نقل جثمانه إلى لبنان حيث دفن مع أسرته هناك .

منزلته العلمية :

لقد برز الشدياق فى دراسته ، وتفوق فى علومه ، واتجه أثره إلى اللغة التى شغف بها ، وأبرز فيها أجل الكتب ، وأخرج أعظم الأبحاث فيها . وإن من يرجع إلى نظرياته اللغوية فى سر الليال يقف على مكانته ، ويتعرف منها توقد فطنته ، وقد ترك آثارا علمية ناضجة نذكر منها :

١ ــ سر الليال فى القلب والإبدال ، وهو مطبوع

٢ ــ الجاسوس على القاموس ، وهو مطبوع

٣ ــ اللفيف فى كل معنى طريف ، وهو مطبوع

٤ ــ كنز الرغائب فى منتجات الجوائب ، وهى مقالات انتخبها ابنه سليم من الجوائب ، وتولى طبعها ونشرها

٥ — الواسطة فى أحوال مالطة ، وهو مطبوع أيضا

٦ — كشف المخبأ عن فنون أوروبا ، وهو مطبوع

٧ — الساق على الساق فيما هو الفارياق وهو مطبوع

٨ — غنية الطالب « مطبوع»

٩ — الباكورة الشهية فى نحو اللغة الإنكليزية « مطبوع »

١٠ — السند الراوى فى الصرف الفرنساوى « مطبوع »

وله كتب مخطوطة ، منها « ديوان شعره ، والمرآة فى عكس التوراة ، وكتاب فى علم الرجال وعلم البديع »

هدف الجاسوس :

إن من يرجع إلى مقدمة الجاسوس تبدو له وجهته التى انتحاها وتظهر له نظرته التى ترسم خطاها ، لأنه وجد كتب اللغة مشوشة الترتيب ، ورأى القاموس ، وعليه المعول عند الباحثين مختصراً اختصارا يؤدى إلى الألغاز معترفا بأنه صاحب الفضل عليه فى دراسة هذه اللغة والتبحر فيها ، ولكن الأمانة العلمية دفعته إلى دراسة فيها لإبراز خوافيه :

(ا) فقد اتجه إلى نقده بما يؤخذ عليه حقا ، وقد جعل وجهته إحقاق الحق حرصا على اللغة .

(ب) رد التهم الباطلة بأدلة لغوية قوية .

وقد رفع هذا الكتاب إلى السيد / محمد صديق حسن خان بهادر ملك « بهوبال » لعظيم شأنه وكريم معونته ، وقد قال قصيدة منها :

هو الملك الآتى بكل صليعة تقصر عن إطرائها صنعة النظم

منهجه :

ولقد أوضح الشدياق فى مقدمته أن كتب اللغة قداتبعت نظام الخلط فى الأفعال ، ولزمهاسوء الترتيب ، فلا يسهل على الإنسان التفريق بين الأبنية الثلاثية والرباعية والخماسية والسداسية ، لأنها تذكر دون تفرقة ، ممايوقع الباحث فى حرج .

وفضلا عن ذلك فإن شرح المفردات فى هذا الكتاب قد أوغل صاحبه فى الأعشاب الطبية ، مما أبعده عن اللغة . وإن ترتيبه مسايرة للصحاح لا يلائم روح العصر . وقد أورد عشرين نقداً وسنذكر كل نقد مع التمثيل له ، لنتبين المنهج الذى رسمه وسار عليه :

النقد الأول :

متعلق بما حوته خطبة المصنف من مآخذ لغوية ، ومن ذلك تعريفه الحمد بما لا يتفق مع وجهة الجمهور ، لأنه قال : الحمد الشكر وبينهما فرق ، فقد حكى الشارح عن ثعلب أن الحمد يكون عن يد ، وعن غير يد والشكر لا يكون إلا عن يد. قال وقال الأزهرى : الشكر لايكون إلا ثناء ليد أو للينها . والحمد قد يكون شكراً للصنيعة . ويكون إبتداء للثناء على الرجل . اهـ . وعبارة الصحاح الحمد نقيض الذم ، ثم قال : والحمد أعم من الشكر ومثلهما عبارة المحكم . وعبارة المصباح حمدته على شجاعته وإحسانه حمداً . أثنيت عليه ومن هنا كان الحمد غير الشكر ، لأنه يستعمل لصفة فى الشخص وفيه معنى التعجب . ويكون فيه معنى التعظيم للممدوح . وأما الشكر فلا يكون إلا فى مقابلة الصنيع ، فلايقال : شكرته على شجاعته .

النقد الثانى :

متعلق بإبهام عبارة القاموس :

وقد أوضح ذلك : بأن اللغويين ينبهون على الفصيح وغيره ، وأسماء اللغات وأصحابها ، وقد أغفل ذلك الفيروزبادى . ومما أخلفه ونبه عليه بعضهم بقوله: وليس بثبت ، وبعضهم بقوله : لا أدرى صحته ، أولا أحققه. وقوله :فى باب الباء : الجبجاب :الماء الكثير والخزب : الخزف ،والدنجتيه: الخيانة ، الإردب : القناة التى يجرى فيها الماء فى باطن الأرض .

ومنها عدم تنبيهه على أصحاب اللهجة وخاصة حمير ، وكقوله : الهيبخة الجارية الفارهة الناعمة . والهبيخ كعملس الغلام الناعم ، وهى بلغة حمير كما نبه عليه ابن سيده .

النقد الثالث :

متعلق بإبهام عبارة القاموس فى المصدر ، والفعل الخ :

وقد أوضح مراده بأن من خلل القاموس ، أن مصنفه كثيرا مايستغنى عن ذكر الفعل بذكر المصدر ويعطف عليه أسماء جامدة فيعز على المطالع أن يميز بينهما ، فيظن أنه اسم ، والاسم لايستلزم أن يكون له فعل ، بخلاف المصدر . فكان الأولى أن يعبر بالفعل لأنه لا يلتبس بصيغة أخرى،وهو الذى يعبر به أئمة اللغة غالبا ، فخالفهم هو فى ذلك ، كما خالفهم فى تعريف الألفاظ ، والظاهر أنه كان تحريه على ذكر الفعل من المهموز خاصة،ماعدا بعض ألفاظ منها قوله : ألجأ جاء بالمد : الهزيمة ، فهل يقال منه جأجأه : هزمه . والظاهر أنه يقال لأنه قال بعد ذلك : وتجأجأ كف ونكص .

النقد الرابع :

متعلق بقصور عبارة المصنف ، وإبهامها ، وغموضها :

ومن ذلك قوله فى «سأر» السؤر بالضم البقية ، والفضلة وأسأره :أبقاه

كسأر منع ، والفاعل منهما سآر كشداد ، والقياس سئر ويجوز فيه سؤرة : أى بقية من شباب والسارى فى الباقى لا الجميع ، كما توهم جماعة وقد يستعمل له ومنه قول الأحوص :

فجلتها لنا لبابة لما وقد النوم سائر الحراس

وهنا ملاحظة من عدة أوجه . أحدها : أنه قال والفاعل منهما سآر والقياس مسئر ويجوز ، وحقه أن يقول وقياس اسم الفاعل من الرباعى مسئر ومن الثلاثى سائر وصيغة المبالغة من هذا ، أو النعت سآر ؛ وبالوصف الثانى عبر الجوهرى ونص عبارته : « ويقال إذا شربت فأسئر أى أبق شيئا » من الشرب فى قعر الإناء ، والنعت منه سآر على غير قياس لأن قياسه مسئر ، ونظيره : أجبره فهو جبار ، والمصنف زاد على الجوهرى سأر الثلاثى فكان عليه أن يزيد أيضا فى العيان لأن قول الجوهرى : أجبره فهو جبار يقتضى أن غير الثلاثى غير مستعمل وليس كذلك ،

النقد الخامس :

فى ذهوله عن نسق معانى الألفاظ على نسق أصلها الذى وضعت له بل يقحم بينها ألفاظاً أجنبية تبعدها عن حكمة الوضع

وقد شرح ذلك بأن أصحاب المعاجم يقدمون المعانى الحقيقية على المعانى المجازية غالبا ، أو يعدلون عن تفسير الألفاظ بحسب وضعها الأصلى غير أن المصنف زاد عليهم كثيراً فى هذا النوع ، حتى أدته الزيادة إلى مخالفة سائر اللغويين .

ومن ذلك قوله فى فاء يفىء : الفىء ما كان شمسا فينسخه الظل ؛ والغنيمة والخراج ، والقطعة من الطير ، والرجوع . كالفيئة . والفيئة ، والإفاءة والاستفاءة ، والتحول ، إلى أن قال : والفيئة طائر كالعقاب والحين ، وحق

التعبير أن يبدأ بالرجوع ، لأن الظل مأخوذ منه ، ألا ترى أن الجوهرى ابتدأ بهذه المادة بقوله : فاء يفيء :رجع ، وأفاءه غيره : رجعه ، إلى أن قال: والفيء مابعد الزوال من الظل ، وإنما سمى الظل فيئاً لرجوعه من جانب إلى جانب ، اهـ ومن معنى الرجوع أيضاً الغنيمة والخراج، وعبارة اللسان: الفيء ماكان شمسا فنسخه الظل، وإنما سمى الظل لرجوعه من جانب إلى جانب، وفاء الشيء فيئاً : تحول .

النقد السادس :

تعريفه اللفظ بالمعنى المجهول دون الشائع :

ومن ذلك قوله : الرجم القتل ، والقذف ، والعيب والظن ، والخليل والنديم واللعن ، والشتم ، والهجران، والطرد ورمي الحجارة، وعبارة التهذيب فى أول المادة : الرجم : الرمى بالحجارة وفى الصحاح. الرجم : القتل وأصله الرمى بالحجارة ، وعبارة المحكم : الرجم : الرمى بالحجارة إلى أن قال : والرجم فى القرآن : القتل .

النقد السابع :

فيما قيده فى تعاريفه وهو مطلق :

ومن ذلك « أزأ الغنم » أشبعها ظاهره أنه لا يقال لغير الغنم وفيه تأمل

النقد الثامن :

عدم الترتيب فى ذكر المشتقات ، فيخلط بين الأسماء والأفعال ، ولا يفصل المجرد عن المزيد ، ومن ذلك قوله : الحبة واحدة الحب ج حبات ، بالضم : المحبة، وبالكسر بزر البقول والرياحين ، أو نبت فى الحشيش صغير أو الحبوب المختلفة من كل شيء ، أو بزر العنب ، أو جميع بزور النبات

وواحدها حبة بالفتح ، أو مانبت بلا بذر وما فيه بذر فبالفتح ، واليبس المتكسر ، أو يابس البقل . وحبة القلب : سويداؤه ، أو مهجته أو ثمرته أو هنة سوداء فيه ، ثم قال بعد سبعة عشر سطراً ذكر فيها التحبب، والحبحبة والحبحاب ، والحبحبي ، والحباحب ، والحبة الخضراء : البطم ، والحبة السوداء : الشوايذ ، والحبة : القطعة من الشيء .

النقد التاسع :

فيما أهمل وضع الإشارة إليه وأخطأ موضع إيراده :

من عادة المصنف أن يضع قبل المواد فى المعتل الآخر ، واوا ، أو ياء لكنه ذهل عن مراعاة ذلك فى بعض المواد ، إذ لم يضع قبل مادة « بنى » واوا ولا ياء . وكذلك الثأى بمعنى الإفساد .

النقد العاشر :

فيما ذكره مكرراً فى مادة واحدة :

من خلله أنه يكرر ذكر كلمة فى موضعين من مادتها ، وذلك لتشبيه المشتقات كما بينته سابقاً ، بل الأحرى أن يقال لتشتيت باله ، واشتغال خاطره بغير القاموس ، وهذا التكرير لا يوجد إلا فى هذا الكتاب . فمن أمثلة ذلك قوله : فى حلأ ، حلأ فلانا درهما ، أعطاه إياه . ثم قال بعد أسطر وحلأه درهما أعطاه إياه . فإن قلت إن هذا مشدد ، والأول كعادته ثلاثى فلا تكرير ، قلت : كان عليه أن يعطف الثانى على الأول كعادته بأن يقول حلأه درهما أعطاه إياه كحلأه .

النقد الحادى عشر :

فى غفوله عن الأضداد :

ومما ذكره عن الأضداد ، دون أن ينبه على ضده قوله : دأدأ الشيء ، حركه

وسكنه ، لفاه : أعطاه حقه كله ، أو أعطاه أقل حقه . قال الإمام المناوى فهو من الأضداد ، كما فى العباب عن أبى تراب .

النقد الثانى عشر :

فى غفوله عن القلب والإبدال ومن خلل القاموس أيضاً ، أن مصنفه يهمل ذكر القلب والإبدال خلافا للعباب ، والمحكم ، والصحاح ، وغيرها. وربما حاول تعريف الكلمة المقلوبة ، أو المبدلة بما يخفى على الطالب أصلها فمن ذلك قوله : النئأ الكثرة وهو النفع ، نبه عليه فى اللسان ، نأنأه . قسره بكفه وهو نهنهه . نبه عليه فى الصحاح .

النقد الثالث عشر :

فى تعريفه الدورى والتسلسل وهذا النوع أيضاً يكاد يكون من خصائص المصنف التى لا مه عليها المحشى . فقال فى تعريفه اللؤم بأنه ضد الكرم ما نصه : ومر له أن الكرم ضد اللؤم . وهو كثيرا ما يفعل مثله ! وعاب جماعة ذلك عليه .

النقد الرابع عشر :

فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة واللغو . ومن خلل القاموس أيضاً أن مصنفه يذكر مايعد من قبيل الفضول واللغو إما لضرورة العلم به والاستغناء عنه أو لعدم تحققه : فمن ذلك إيراده الفعل المجهول بعد الفعل المعلوم كما بينته فى النقد الثالث ، وكقوله : انطلق ذهب ، وانطلق به للمجهول ذهب به .

النقد الخامس عشر :

فى خلطه الفصيح بالضعيف ، والراجح بالمرجوح ، وعدوله عن المشهور -

هذا النوع فى كتابه أكثر من أن يحصر ، فأذكر هنا نموذجا منه مبتدئا بما انتقده عليه الإمام المناوى فى حرف الهمزة. فمن ذلك قوله : فى جزأ ، والشىء إياى : كفانى ، عبارة الصحاح ، وأجزأنى الشىء : كفانى.

النقد السادس عشر :

فيما لم يخطىء به الجوهرى مع مخالفته له ، وفيما خطأه به ثم تابعه عليه وفيما خطأه به تحاملا .

قد أسلفت غير مرة أن المصنف لم يكن على طريقة واحدة فى أسلوب تأليفه وكذا كان رأيه فى تخطئة الجوهرى : فمرة يعرقله على حرف ، ومرة يسكت عنه مع مخالفته له . فمن ذلك قوله فى رقن : الرقين كامير ؛ الدرهم وقال أولا فى ورق ، والورق مثلثه وككتف وجبل ، الدرهم المضروبة ج أوراق ووراق ، كالرقة ج رقوق .

النقد السابع عشر :

فيما قصر فيه المصنف عن الجوهرى : تقصير المصنف عن الجوهرى لا يكاد ينحصر ، فلك أن تقول إنه فى كل مادة ، فمثل ذلك قول المصنف فى « درأ » « وتدارءوا » تدافعوا فى الخصومة إلى قال ، وكذلك ادارأتم وعبارة الجوهرى ، وتقول ؛ تدارأتم أى اختلفتم .وكذلك ادارأتم فأدغمت التاء فى الدال ، واجتلبت الألف ليصح الابتداء بها .

النقد الثامن عشر :

فى أنه يذكر بعض الألفاظ الاصطلاحية ويهمل بعضها ، إذكر الاسم المتمكن فى « مكن » بقوله : والاسم المتمكن ما يقبل الحركات الثلاث كزيد ولم يذكر الاسم المنصرف وغير المنصرف . ونص عبارة الجوهرى : ومعنى قول النحويين فى الاسم أنه متمكن أى معرب كعمر ، وإبراهيم . فإذا

انصرف مع ذلك فهو المتمكن الأمكن كزيد وعمر ، وغير المتمكن المبنى كقولك كيف وأين الخ ... فشتان مابين العبارتين .

النقد التاسع عشر :

فى نبذة من الألفاظ التى ذكرها فى مادة فلتة ، أعنى أنه فسرها ماقبلها ، أو علق المعنى عليها من غير أن يتقدم لها ذكر .

منشأ هذا الخلل فى القاموس أن مصنفه كان يرى هذه الألفاظ مفسرة فى الكتب التى نقل منها فأوردها من دون تفسير ، إما لتوهمه أن المطلع قد اطلع عليها قبل مراجعة كتابه ، أو أنه يعرفها من سياق عبارته ، فمن أمثلة ذلك قوله : التأتأة تردد التأتاء فى التاء . ولم يذكر التأتأة من قبل فكان حق التعبير أن يقول : التأتاء من يردد حرف التاء فى كلامه ، وقد تأتأ تأتأة .

النقد العشرون :

فيما ذكره فى غير موضعه المخصوص به ، أو ذكره ولم يفسره . قد بينت فى أول المقدمة أن المصنف ذكر الأندلس فى مواضع كثيرة من كتابه ، ولم يفرد لها مادة مخصوصة ، وعلى هذا المثال ذكره «الباذنجان» فى «أنب» قال المحشى فى مادة أنب : هذا عجيب فإنه لم يذكر الباذنجان ولا عرج عليه فى باب الجيم ولا فى باب النون ولا فى غير ذلك ، وذكر له أسماء فى أثناء الكتاب وفسرها به ، قال فى فصل الكاف من هذا الباب : الكهكب ، الباذنجان ، وفى الدال : الوغد والمند ، كلاهما فسره بالباذنجان .

النقد الحادى والعشرون :

فيما ذكره فى موضعين غير منبه عليه ، وربما اختلفت روايته فيه : من ذلك أنه ذكر فى باب الباء ، الربان بالضم ، رئيس الملاحين ؛ ثم قال

فى ربن وكرمان من يجرى السفينة ، وتمام الخلل أنه بعد أن قال أولا الربان بالضم قال : وكرمان ، وشداد ، الجماعة .

النقد الثانى والعشرون :

فيما وهم فيه لخروجه عن اللغة ومن ذلك قوله فى شمع : شمعون الصفا أخو يوسف ، صلوات الله عليهما اهـ وهو خطأ ، فإن أخا يوسف يقال له شمعون فقط ، والنعت بالصفا ، لقب أحد الحواريين ، المشهور باسم بطرس ، وكان يقال له أولا شمعون ، فشبهه عيسى عليه السلام بالصخرة ، وهى فى اللغة اللاتينية واليونانية « بتروس » فعربها نصارى الشام « بطرس » . واستعملوا مرادفها فى العربية وهو صفا ، وهو فى أصل اللغة جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء فليس هو مصدر صفا يصفو كما توهمه المصنف .

النقد الثالث والعشرون :

فى خطأ صاحب القاموس ، وتصحيفه وتحريفه ومخالفته لأئمة اللغة : ومن ذلك قوله ، فى آخر ، عدا ، ووثب ، وطرد . فى الحاشية عبد السيد عاصم والصواب بطر كما فى سائر الأمهات . وفى بزر : البزر كل حب يبزر للنبات بزور ، التابل ، ويكسر فيهما ، الشيخ نصر الهورينى قوله ويكسر ، فى مختار الصحاح أنه الأفصح فى البزر .

الخاتمة :

فى افتعل المتعدى واللازم ، وقد ذكر لها أمثلة كثيرة من كل باب ، ففى باب الباء من المتعدى إيتب : هيأ كما فى مفاخر المعانى والمصنف عبر عنه بتهيأ . ويأتى أيضاً لازما ، ومن اللازم أثبت للسير مثل أب . وعبارة الشارح أستب : اشتاق .

المدرسة الثالثة

« مدرسة الابجدية العادية »

لقد أحدث التطور اللغوى فعله، فى تغيير نظام المعجم ، بغية التيسير على الباحث ، فاتجهوا إلى مراعاة الترتيب الأبجدى الموجود فى « ابت الخ » . مع النظر إلى الكلمة أيضا مجردة من زوائدها ، مجموعة حسب الحرف الأول والثانى والثالث . وقد نشرت مجلة المجمع العلمى بحثاً مستفيضا بأن علماء الحديث كانوا أسبق فى اتباع هذه الطريقة من علماء اللغة. إلا أن علماء الحديث فى بدء حياتهم قد سجلوا أسماء الرواة على هذا الوضع ، ناظرين إلى الحرف الأول ، كما فعل أبو عبد الله البخارى فى ترتيب أسماء الرواة ، وكما سار ابن قتيبة فى كتابه (غريب الحديث).

وقد اتبع الطريقة الجديدة التى لازالت مستعملة إلى الآن كثير من اللغويين الذين اهتموا بالتيسير منهم :

احمد بن فارس	— فى المقاييس والمجمل
الزمخشرى	— فى أساس البلاغة
المصباح المنير	— للفيومى
مختار الصحاح فى طبعته الجديدة	— للجنة من وزارة المعارف « التربية »
محيط المحيط	— للبستانى
أقرب الموارد	— للشيخ سعيد الشرتونى
المنجد	— للأب لويس المعلوف
المعجم الوسيط	— الذى أخرجه مجمع اللغة العربية

١ ــ أساس البلاغة

مؤلفه :

أبو القاسم ، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى ، ولد بزمخشر من أعمال خوارزم ، يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب ، سنة ٤٦٧ هـ :وقد برز فى كل النواحى،إلى أن وافته منيته بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ

أساتذته :

لقد برز الزمخشرى معاصريه فى شتى العلوم، وغدا إماما فى التفسير واللغة وقد تلقى الأدب عن أبى منصور محمود بن جرير الطبرى الأصبهانى ، وأبى الحسن على بن المظفر النيسابورى . وسمع من شيخ الإسلام أبى منصور نصر الحارثى . ومن أبى سعد الشتانى ، وغيرهم ممن برز اسمه . وتطلعت إليه ذو البصائر والأفهام .

منزلته العلمية والأدبية :

إن من يرجع إلى الكشاف والأساس وغيرهما من الكتب التى أخرجها هذا العالم يدرك توثق هذا الإمام فى علوم اللغة والأدب والتفسير والنحو ، وأنه واسع العلم كبير الفضل فى شتى العلوم ، وكان معتزلى المذهب ، وله شعر قليل إلا أنه يقرب من النظم ، وسلك به سبيل الحكم ومن شعره .

العلم للرحمن جل جلاله وسواه فى جهلاته يتقمقم
ما للتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وله أيضا :

كثر الشك والخلاف وكل يدعى الفوز بالصراط السوى

فاعتصامى بلا إله سواه ثم حبى لأحمـــد وعلى
فاز كاب بحب أصحاب كهف كيف أشقى بحب آل نبى

وقال فى مدح تفسير الكشاف :

إن التفاسير فى الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمرى مثل كشاف
إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

فمن النظر فى الشعر السابق تبدو النظرة الصحيحة من أن شعره لم يحلق فى سماء المعانى فهو إلى النظم أقرب منه إلى الشعر، وله نثر يحاكى روح العصر وهو الاكثار من المحسنات البديعية كالسجع ، والجناس . فلا تخلو فقرة من الجناس ، ولا عبارة من المحسنات ، ومن ذلك ما كتبه إلى أبى الظاهر السلفى ، حافظ الاسكندرية : « ما مثلى مع العلماء ، إلا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر والرهام ، مع الغوادى الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف عن خيل السباق والبغاث مع الطير العناق ، وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم والعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية . وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ، ظلى فيها أقلص من ظل حصاة ، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا إلى علام مشاهير » .

ومن قوله أيضاً :

« لا تقنع بالشرف التالد ، فذلك الشرف للوالد ، واضمم إلى التالد طريفا حتى تكون نهجاً شريفا ، ولا تدل بشرف أبيك مالم تدل عليه بشرف فيك وقال : كب الله على مناخره من زكى نفسه بمفاخره ، على أن رب مساخر يعدها الناس مفاخر . وقال : ما لعلماء السوء جمعوا عزائم الشرع ودونوها ثم دحضوا فيها لأمراء السوء وهونوها ، إنما حفظوا وعلقوا وصفقوا وحلقوا ، ليقمروا المال ويبسروا ، ويفقروا الأيتام ويبسروا ، أكام واسعة فيها أصلال لاسعة وأقلام كأنها أزلام ، وفتوى يعمل بها الجاهل فيتوى .

مؤلفاته :

وقد تهيأت الفرصة للزمخشرى فأخرج لنا كتباً قيمة ، ومؤلفات ضخمة تفاخر الزمن بقوتها ومن ذلك :

١ — الكشاف فى تفسير القرآن ٢ — الفائق فى غريب الحديث .

٣ — نكت الإعراب فى غريب إعراب القرآن .

٤ — كتاب متشابه أسماء الرواة .

٥ — مختصر الموافقة ، بين أهل البيت والصحابة .

٦ — الكلم النوابغ فى المواعظ .

٧ — أطواق الذهب فى المواعظ .

٨ — المفصل فى النحو .

٩ — الأمانى فى النحو .

١٠ — أساس البلاغة فى اللغة .

١١ — جواهر اللغة .

١٢ — مقدمة الأدب فى اللغة

١٣ — حاشية على الفصل .

١٤ — شرح كتاب سيبويه .

١٥ — المفرد والمركب فى العربية .

١٦ — أعجب العجب فى شرح لامية العرب .

١٧ — ديوان فى الخطب ، وآخر فى الرسائل ، وثالث فى المستقصى

١٨ — شافى العى من كلام الشافعى .

١٩ — شقائق النعمان فى حقائق النعمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان

٢٠ — النموذج فى النحو

وغير ذلك من الكتب التى فاضت بها كتب التراجم .

هدف أساس البلاغة :

إن من يرجع إلى هذا المعجم يبدو له الهدف الواضح ، والفكرة الجديدة لأنه وجد المعاجم قد عنيت بحشد الألفاظ على مناهج متفاوتة، وطرائق مختلفة ، والقيام بشرحها بما يزيل غامضها ، ويكشف إبهامها ، ويؤيد هذا الشرح بما ورد من كلام العرب ، مع العناية بالضبط وغير ذلك من الأسس التى راعاها أصحاب المعاجم الذين سبقوه .

فأراد الزمخشرى أن يبرز فى ميدان آخر ، وإن كان منوطا باللغة ، متعلقاً بها . وذلك هو تمييز المعانى الحقيقية عن المعانى المجازية ، لأن تلك الناحية لم يعن بها لغوى فى معجمه .

ويظهر أن دراسته للقرآن الكريم ، وإخراجه تفسير الكشاف كانت من أهم الأسباب التى حفزته على ذلك ، لأنه أراد فى تفسيره إبراز خصيصة هذا الكتاب وهو البلاغة والإيجاز . ويبدو لنا ذلك فى مقدمته التى قال فيها: إن الموفق من العلماء الأعلام ، أنصار ملة الإسلام ، الذابين عن بيضة الحنيفية البيضاء ، المبرهنين على ما كان من العرب العرباء ، حين تحدوا به ، من الإعراض عن المعارضة بأسلات ألسنتهم ، والفزع إلى المقارعة بأسنة أسلهم من كانت مطامح نظره ، ومطارح فكره الجهات التى توصل إلى تبيين مراسم البلغاء ، والعثور على مناظم الفصحاء ، والمخايرة بين متداولات الفاظهم ، ومتعاورات أقوالهم ، والمثابرة بين ما انتقوا منها وانتخلوا ، وما انتفوا عنه فلم يتغلبوا ، وما استركوا واستنزلوا ، وما استفصحوا واستجزلوا . والنظر فيما كان الناظر فيه على وجوه الإعجـــاز أوقف ، وبأسراره ولطائفه أعرف ، وفضلا عن ذلك فإنه رمى إلى تكوين طائفة راسخة فى علوم الأدب ، متضلعة فى جميع نواحيه ، ومن هنا يمكن أن نلخص هدفه فى الآتى : —

١ — التمييز بين المعانى الحقيقية والمجازية

٢ — التوصل إلى معرفة وجوه الإعجاز وبلاغته .

٣ — تخريج طائفة من فحول العربية وأعلامها فى الأدب .

منهج الأساس :

عرفنا أن هدف الزمخشرى فى معجمه يخالف أصحاب المعاجم الأخرى لأنها تهدف إلى حشد الألفاظ وشرحها ، ولكنه وضع أمام ناظره إبراز المعانى غير الحقيقية ، والاستشهاد عليها بمأثور كلام العرب ، وقد اتبع الخطوات الآتية :

١ — جرد الكلمات من الزوائد ونظر إلى أصولها مرتباً لها حسب الحرف الأول فيكون بابا ، والثانى فصلا ، وإن لم يشر إلى ذلك صراحة .

٢ — شرح الكلمة شرحا دقيقاً ، مبتدئا بالمعانى الحقيقية ، مردفا لها بالمعانى الخارجة عن نطاق الحقيقة .

٣ — تخير الأساليب الرائعة والعبارات المبدعة ، لتحقيق ما هدف إليه ، غير متقيد بعصر معين فى الاستشهاد .

٤ — أوضح أنواع الأساليب غير الحقيقية مبينا صنفها ، من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية .

٥ — لم تبرز عنايته بالضبط ، ويظهر أن اللغة قد استقر وضعها .

٦ — اهتم بنسبة الأبيات إلى قائليها وعرف ضبطها فلم يلجأ إلى هذه الناحية .

أمثلة من الأساس تبرز خصائه . « ج ذ م » ج ١ ص ١١٤

جذم الحبل فانجذم : وهو سرعة القطع . ورأيت فى جذمة حبل قطعه منه ، وشالت الجذم وهى بقايا السياط بعد ذهاب أطرافها .

قال ساعدة بن جؤية :

يوشونهن إذا ما حـــثهم فزع تحت السنور بالأعقاب والجذم

وعض من نابه على جذم . ومن نسى القرآن لقى الله وهو أجذم أى مقطوع اليد . قال المتلمس :

وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقال عويف القوافى :

ولم أر قتلى لم تدع لى بعـــدها يدين فما أرجو من العيش أجذما

وقيل : مجذوم ، وقوم جذم ، ومجاذيم . ويقال ما الذى جذم يده فانجذمت وما الذى أجذمها فجذمت . وهى جذماء ، وأجذم فى سيره أسرع .

ومن المجاز ، انجذم الحبل بينهما إذا تصارما . ونوى جذوم قطوع بين الأحبة . وأجذم عن الأمر : أقلع . ورجل مجذام ، ومجذامة للذى يواد . فإذا أحسن ما واساه أسرع الصرع ، ورأيت عنده جذمة من الناس فئة ، ونعل جذماء منقطعة القبال وقد جذمت .

مادة ثانية « ر ب ع » ج ١ ص ٣١٦

ربع بالمكان أقام به ، وأقاموا فى ربعهم وربوعهم ورباعهم ، وهذا مربعهم ، ومرتبعهم ، وناقة مرباع ، ونوق مرابيع يلتجن فى الربيع . وماله هبع ولا ربع : فصيل صبى ، ولا ربعى ، والجمع رباع . وقال :

وعلبة نازعتها رباعى وعلبة عند مقيل الراعى

وولد فى ربعية النتاج ، وربعت الأرض فهى مربوعة أمطرت فى الربيع وأخذ المرباع ، وهو ربع المغنم . وحبل مربوع ، مفتول على أربع قوى ورجل ربعة ، وهو مربوع ومرتبع وسيط القامة .

وسقى إبله الربع ، وأصابته حمى الربع ، وربع ، وأربع ورجل مربوع ، مربع . قال الهذلى :

من المربعين ومن آزال إذا جنه الليل كالناحط

وفرس رباع وألقى رباعيته ، وقد أربع الفرس ومربقوم يربعون حجراً ، ويرتبعون ، ويتربعون ، وهذه ربيعة الأشداء، وهي الحجر المرتبع، ورابعني فلان حاملني، وهو أن يتآخذا بأيديهما حتى يرفعاً الحمل على ظهر الجمل

يقال : من يرابعني يداً بيد ، وفلان مستربع للحمل وغيره : مطيق له ، واستربع الأمر أطاقه . قال الأخطل :

لعمرى لقد ناطت هوازن أمرها بمستربعين الحرب شم المناضر

وقال أبو وجزة:

لاع يكاد خفيض النقر يفرطه مستربع لسرى الموماة هياج

يهيج فى العنق . ويقال : إنه لجلد مستربع : مطيق متصبر . وقال عمر ابن أبى ربيعة :

استربعوا ساعة فأزعجهم سيارة يسحق النوى قلق

أى صبروا لحركهم رجل كثير السير . والقوم على رباعتهم أى صبروا على حالهم التى كانوا عليها، وعلى استقامتهم وتركناهم على رباعتهم . وما فى بنى فلان من يضبط رباعته إلا فلان : أى أمره وشأنه . وكفى فلان قومه رباعتهم قال الأخطل : —

مافى معرفتى يغنى رباعته إذا يهم بأمر صالح فعلا

ويقال : أغنى عنى رباعتك ، وفلان على رباعته قومه ، إذا كان سيدهم وتربع فى جلوسه . وما هذه الروبعة : وهى قعدة المتربع . وتقول : يأيتها الزوبعة ، ما هذه الروبعة ؛ وفتح العطار ربعته ، وهى جونة الطيب ؛ وبها سميت ربعة المصحف .

ومن المجاز ربع الفرس على قوائمه ، إذا غرقت من ربع المطر الأرض

والخيل يربض الشوى . وربعه الله : نعشه . ويقال : اللهم أربعنى من دين على أى انعشنى . وهو من الربع بمعنى الربيع وقيل هو من المطر . وغيث مربع مرتع : يحمل الناس على أن يربعوا فى ديارهم لا يرتادون . وأربع نفسك : تمكث وانتظر . وربعت على فعل فلان : لم أتجاوزه . واقتديت به فيه . الله ربعك أى بيتك وهم اليوم ربع إذا كثروا ونموا . وحيا الله ربعك : أى قومك . وسمعت بمكة حرسها الله شيخا من الشرفاء ومعه بنى له مليح : دخل على صبيحة بنائى على أم هذا الصبى ، صبى من أهل السراة ثمان سنين فقال لى : ثبت الله ربعك ، وأحدث ابنك . أراد ثبت الله بيتك : أى أهلك وامرأتك . وحمل فلان حمالة كسر فيها أى بذل فيها كل ما ملكه حتى باع فيها منازله . وجاء فلان وعينان تدمعان بأربعة إذا كان باكيا أشد البكاء أى بسيلان بأربعة آماق . قال المتنخل :

لا تفتأ الليل مع دمع بأربعة كأن إنسانها بالصاب مكتحل

وأرسل عينيه بأربع : أى بأربع نواح . وفلان مربع الجبهة أى عبد قال الراعى : -

مربع أعلى حاجب العين أمه شقيقة عبد من قطين مولد

وهى تنزو حرابى متنه ويرابيعة ، وهى لحمات المتن . قال الأحظل :

الواهب المائة الجرجور سائقها تنزو يرابيع متنيه إذا انتقلا

سميت يرابيع استعارة ، ألا ترى إلى قول ضبة بن ثروان . —

ألف عراقى كأن بضيعه يرابيع تنزو تارة ثم تزحف

ولد فلان صيفيون ، مولودون فى زمن الشباب والهرم . ولبنى فلان ربعى من المجد قديم . قال الفرزدق .

انا رأس ربعى من المجد لم يزل لدن أن أقامت فى تهامة كبكب

وقال الطرماح : —

لنا سابقات العز والشعر والحصى وربعية المجد والمقد والحمد

أى أوله من قولهم : نتج فى ربعية النتاج .

مميزات أساس البلاغة :

إن من يرجع إلى مقدمة الأساس تبدو له خصائصه التى انفرد بها ، ومميزاته التى اضطلع بها ، ومن ذلك :

١ ـ اهتمامه بالأساليب المجازية ، وقد أفرد له قسما مستقلا بعد ذكر المعانى: الحقيقية ، إلا أنه لم يشر إلى أنواعه من مجاز لغوى ، أو عقلى أو استعارة ، أو كناية ، ولكننا نلحظ فى ثنايا المعجم تعبيره عن المجاز بعبارات متفاوتة ، فيقول فى أغلب الأمر : ومن المجاز وفى بعض الأحايين يعبر عن ذلك بقوله ومن المستعار وفى بعضها : ومن الكناية ، ولم يك قاصداً من اختلاف التعبير الإشارة إلى أنواعها ، بل كان يهدف إلى أنها من المستعمل فى غير ما وضع له فى مادة « بنى » يقول : ومن المجاز : بنى على أهله : دخل عليها وأصله أن المعرس كان يبنى على أهله خباء ؛ فهى استعارة تبعية فى بنى ، ولكنه عبر عنها بالمعنى العام وهو المجاز : ولذلك قال فى مادة طلع ابن ذكاء ، وهو الصبح وهو كناية إلا أنه أدخله فى ما خرج عن معناه الأصلى كما سبق .

٢ ـ إيراده الأساليب الرائعة المشتملة على المعانى البارعة ، لتمثل ألوان البيان ، وذلك باحضارها من القرآن ، والحديث ، والمثل والسجع وأقوال الفصحاء . وكان يذكر ذلك فى ثنايا الكلام ولا يقصده قصداً ، كقوله فى مادة « حبر » حبره الله سره ويذكر الآية «فهم فى روضة يحبرون» وهو محبور وفى مادة « شق » أخذ شقه نصفه « لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس » وفى مادة « عجم » يذكر الحديث « صلاة النهار عجماء » وكذلك الأمثال فى مادة « بيطر الدابة » عالجها يذكر المثل « أشهر من راية البيطار » .

٣ ـ الاختصار فى الشرح وعدم اعتماده على غيره فى عبارته ، وذلك

بأن يعبر عن المعنى المطلوب ، بعبارة أوردها من أسلوبه . فكان لذلك أثر بارز فى معجمه ، جعل لشخصيته كياناً مستقلا ، ليس متهافتاً على غيره .

المآخذ على أساس البلاغة :

لقد كانت عناية الزمخشرى موجهة إلى الأساليب الرائعة ، لتمييز الحقيقى من المجازى ، ومع ذلك فقد قصر فى الآتى :

١ — أطلق اسم المجاز على جميع الاستعمالات التى لم تسلك سبيل الحقيقة ، ولم يفرق بين أصنافها ، من مجاز مرسل ، واستعارة بأقسامها وكناية بأنواعها

٢ — استعمل لفظ الاستعارة ، والكناية ، على أنها رديفة للمجاز وكان جديراً به وهو من أساطين البلاغة ونحولها ، أن يعنى بتلك النواحى ، ويبرز هذه الاتجاهات . ليكون معجمه معبراً عما أورده من أجله .

٣ — لم يعن بنسبة الأساليب التى وردت فى ثنايا المعجم إلى أصحابها وكان حريا به أن ينتحى هذا المنحى . ليبرز معجمه فى صورته التى أرادها له

٤ — خلط فى المعتل بين الواوى واليائى ، كما فى مادة أبى التى وضع فيها بعض الصيغ المشتقة « أ ب و »

٥ — عدم تفريقه الصيغ مما أوقعه فى الاضطراب ، ويتبين ذلك فى وضعه المضاعف الثنائى من الهمزة مع الياء « أى » وكان جديراً به أن يؤخره حسب المنهج الذى رسمه لنفسه .

ومع ذلك فهى مآخذ لا تنقص قدره ؛ ولكننا كنا نود أن يخرج آية رائعة تعبر عن مكانة هذا العالم الفذ الذى برز فى كل النواحى ، وسما فى كل الآفاق

فجزاه الله عن العربية خيراً

٢ ـ مختار الصحاح

مؤلفه :

محمد بن أبي بكر ، بن عبد القادر الرازى .

هدفه :

اختصار الصحاح فى كتاب يسهل على المبتدئين تحصيل اللغة نستبين ذلك من قوله فى المقدمة ص ٦ « واقتصرت فيه على ما لابد منه لكل عالم فقيه ، أو حافظ ، أو محدث أو أديب ، من معرفته وحفظه ، لكثرة استعماله وجريانه على الألسن ، مما هو الأهم فالأهم خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية ، واجتنبت فيه غريص اللغة ، وغريبها ، طلبا للاختصار وتسهيلا للحفظ ، وضممت إليه فوائد كثيرة ، من تهذيب الأزهرى وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ، ومما فتح الله تعالى به على .

منهجه :

لقد وضح لنا مما سبق الغرض الذى يهدف إليه الرازى فى مختصره وقد اتبع الطرق الآتية : ـ

١ ـ جمع الكلمات حسب الحرف الأول ، والثانى ، وما يكون معها كلمة ثلاثية فآب ، فى باب الهمزة والواو مع ملاحظة الباء.

٢ ـ جرد الكلمات من الزوائد مراعياً الأصول .

٣ ـ اقتصر فى شرح الألفاظ على ما يزيل غموضها ، ويشرح إبهامها

٤ ـ جرد المعجم من الشواهد التى ملئت بها المعاجم الأخرى .

٥ ـ لم يقتصر على اختصار الصحاح ولكنه ضم إلى المعجم ألفاظاً

ليست فى أصله. كالتهذيب للازهرى وخلافه ، وأشار إلى ذلك بقوله: فكل موضع مكتوب فيه قلت : فإنه من الفوائد التى زدتها على الأصل .

٦ — أضاف بعض المصادر والأفعال التى لم يتعرض لها الجوهرى وقد أشار إلى ذلك فى المقدمة فقال : وكل ما أهمله الجوهرى من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التى ذكر أفعالها ، ومن أوزان الأفعال الثلاثية التى ذكر مصادرها فإنى ذكرته إما بالنص على حركاته ، أو برده إلى واحد من الموازين العشرين التى أذكرها الآن إن شاء الله تعالى إلا مالم أجده من هذين النوعين فى أصول اللغة الموثوق بها ، والمعتمد عليها ، فإنى قفوت أثره رحمه الله تعالى فى ذكره مهملا ، لئلا أكون زائدا على الأصل شيئاً بطريق القياس ، بل كل مازدته فيه نقلته من أصول اللغة الموثوق بها .

٧ — ذكر أبواب الأفعال الثلاثية وهى :

فَعَلَ يَفْعُلُ ، وفَعَلَ يَفْعَل ، وفَعَل يَفْعِلُ ، وفَعِلَ يَفْعُلُ ، وفَعُلَ يَفْعُلُ ، وفَعِلَ يَفْعَلُ .

٨ — ذكر بعض قواعد: الأولى فى قياسية المصدر ، والقاعدة الثانية أن النص على حركة الحرف الأوسط تعين الفعل المضارع فى فعل فعل يفعل ، وفعل يفعل ، وأنها لاتكفى فى باقى الأبواب ، بل لابد من النص على المضارع ولم يذكر مصدر الرباعى إلا نادراً نظراً لاطراده . وذكر فى الثلاثة أنه إذا ذكر مصدراً موازنا للتفعيل أو التفعل أو التفعلة ، أو ذكر الفعل مع المصدر أو ذكر فعل فتفعل كان الفعل مشدد العين .

٩ — اهتم بضبط الأسماء إما بذكر موازن للكلمة لكون مشهورا أو بذكر حركات الكلمة قصد بيان ضبطها ، وقد قصد من ذلك وقاية معجمه من التصحيف، والتحريف .

١٠ — أمر ناظر المعارف حسين فخرى باشا بتأليف لجنة برياسة الشيخ

حمزة فتح الله ، المفتش الأول للغة العربية ، لإعادة طبع الكتاب بطريقة ميسرة ، لأن الكتاب قد ألف على طريقة القافية وهى صعبة المنال ، فضلا عن أنه قصد به التيسير على المبتدئين الذى وضع لهم هذا الكتاب فروعى فيه الأبجدية العادية .

أمثلة من الكتاب : «ألا» ص ٣٢

ألا : « ألا » حرف يفتتح به الكلام للتنبيه تقول ألا إن زيداً خارج ، كما تقول : اعلم أن زيداً خارج .

و « إلا » حرف استثناء ، يستثنى به خمسة أوجه بعد الإيجاب وبعد النفى ، والمفرغ ، والمقدم أو المنقطع ، ويكون فى استثناء المنقطع بمعنى لكن ، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، وقد يوصف بإلا ، فإن وصفت بها جعلتها وما بعدها فى موضع غير ، وأثبت الاسم بعدها ، ماقبلها فى الإعراب ، فقلت جاءنى القوم إلا زيد ، كقوله تعالى : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وقول عمرو بن معد يكرب :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

كأنه قال غير الفرقدين ، وأصل إلا : الاستثناء ، والصفة عارضة ، وأصل غير الصفة ؛ والاستثناء عارض ، وقد تكون إلا عاطفة كالواو فى قول الشاعر :

وأرى لها دارا بأغيدة السيدان لم يدرس لها رسم
إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم

يريد : أرى لها دارا ورماداً .

مادة ثانية : «نجل» ص ٦٧٢

« النجل » النسل ، و « المنجل » ما يحصد به ، و « النجل » بفتحتين سعة شق العين والرجل ، وأنجل ، والعين نجلاء والجمع نجل . و«الإنجيل»

كتاب عيسى عليه السلام ، ويذكر ويؤنث ، فمن أنث: أراد الصحيفة ، ومن ذكر : أراد الكتاب .

مميزات الكتاب:

١ — اختصاره بما يساعد المبتدىء على الوصول إلى غامض اللغة
٢ — حذف الأعلام ، وأقوال اللغويين ، والأخبار المتصلة بالألفاظ
٣ — اهتمامه بالضبط اتقاء التصحيف والتحريف .
٤ — ذكره ضوابط دقيقة لوزن الكلمات من الأفعال والأسماء

المآخذ الموجهة إليه :

إن هذا المعجم قد أتى بالثمرة المرجوة ، من تحقيق غرض المبدئين إلا أنه قد وجهت إليه نقود منها :

١ — أورد ألفاظا نقدت بالتصحيف، واتهمت بالخطأ ولم يحاول نقدها

٢ — بالغ فى الاختصار ، حتى إن الباحث المبتدىء يحتاج إلى بعض الزيادات من المعاجم الأخرى

٣ ـ حذفه الشواهد وهى مصدر اللغة المعول عليها ، أفقده الصيغة القوية فى الناحية المعجمية .

ومع ذلك فإنه يجدر بنا أن ننصف هذا المؤلف بأنه قد وفى بما هدف إليه وحقق مارمى إليه من الوفاء بحاجة المبتدىء ، وسد طلبات المتطلع ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له المثوبة .

٣ – المصباح المنير

مؤلفه :

أحمد بن محمد بن علي المقرىء الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ .

هدفه :

قد أوضح الفيومي هدفه في مقدمته التي قال فيها : « إني كنت جمعت كتابا في غريب شرح الوجيز للإمام الرافعي . وأوسعت فيه من تصاريف الكلمة وأضفت إليـــه زيادات من لغة غيره . ومن الألفاظ المشتبهات والمتماثلات ومن إعراب الشواهد . وبيان معانيها وغير ذلك مما تدعوا إليه حاجة الأديب الماهر إلى أن قال : فأحببت اختصاره على المنهج المعروف والسبيل المألوف ليسهل تداوله بضم منتشره ، ويقصر تطاوله بنظم منتثرة . وقيدت ما يحتاج إلى تقييد بألفاظ مشهورة البناء « فقلت مثل . فلس وفلوس وقفل وأقفال . الخ .

فمن ذلك يستبين قصده وهو إخراج كتاب مختصر في اللغة يستفيد منه المبتدىء ، ويسترشد به المفتتح في دراسة اللغة ، ليتمكن من السير في طريق النبوغ فيها »

منهجه :

اتبع الفيومي في معجمه السبل الآتية :

١ – جرد الكلمات من الزوائد مراعياً الأصول .

٢ – راعى في وضعها في معجمه الحرف الأول والثاني .

٣ – اهتم بالضبط بذكر ألفاظ مشهورة البقاء . مثل فلس وفلوس وقفل وأقفال ، وحمل وأحمل وذلك في الأسماء أما في الأفعال فيذكر المصدر مع المثال ليدخل في التمثيل .

٤ — إذا كان ثانى الكلمة ألفا منقلبة ، وعرف ما انقلبت عنه رجعت إليه : فباب ألفه منقلبة عن الواو ، وناب ألفه عن الياء ، وإن جهل أصلها ولم تمل ألحقت بالواو .

٥ — إن وقعت الهمزة عينا روعى ماقبلها من الحركات فتصير إلى الياء كبير إن انكسر ما قبلها ، وإلى الواو إن انضم ما قبلها كلوم وإلى الألف إن الفتح ما قبلها كفاس .

٦ — الكلمات الرباعية والخماسية ، إن وافق ثالثها لام ثلاثى ذكرت فى ترجمته نحو البرقع فيذكر فى برق ، وإن لم يوافق لامها الثلاثى . التزم ملاحظة الأول والثانى .

٧ — حذف الشواهد إلا فى القليل النادر ، وإن ذكر الشواهد عنى بنسبتها إلى أصحابها

٨ — شرح الألفاظ باختصار ، مع حذف الأعلام والحوادث المنوطة بالألفاظ .

٩ — يذكر أسماء المراجع التى أخذ عنها فى بعض الأحايين كقوله فى مادة حبر ص ٥٥ فقيل كعب الحبر حكاه الأزهرى عن الفراء .

أمثلة من الكتاب : « س أ ج » ج ١ ص ١٣٤

« الساج » ضرب عظيم من الشجر ، الواحدة ساجة وجمعها ساجات ، ولاينبت إلا بالهند ويجلب منها إلى مصر . وقال الزمخشرى الساج خشب أسود رزين يجلب من الهند ولاتكاد الأرض تبليه ؛ والجمع ساجان مثل ثيران . وقال بعضهم الساج : يشبه الأبنوس وهو أقل سواداً منه ، والساج طيلسان

تنور ينسج كذلك ، وجمعه سيجان . والسياج : ما أحيط به على الكرم ، ونحوه من شوك ونحوه . والجمع أسوجة وسوج . والأصل بضمتين مثل كتاب وكتب ، لكنه أسكن استثقالا للضمة على الواو . وسوجت عليه وسيجت بالياء أيضاً على لفظ الواحد إذ عملت عليه سياجا .

مادة ثانية : « غ د ف » ج ٢ ص ٤٢

« الغداف » غراب كبير ، ويقال هو غراب القيظ ، والجمع غدفان مثل غراب وغربان .

مميزات المصباح :

١ ـ اهتمامه بدقة الضبط اتقاء التصحيف والتحريف

٢ ـ اهتمامه بالنواحي الصرفية والاشتقاقية بإيجاز

٣ ـ إبرازه أسماء من نقل عنهم باختصار وإيجاز

المآخذ التي وجهت إليه :

على الرغم من أدائه مانيط منه فقد وجه إليه :

١ ـ المبالغة في الاختصار .

٢ ـ حذفه موارد اللغة ، وهي الشعر الرصين ، والنثر الرائع من القرآن والسنة والحكم والأمثال أفقد المعجم ناحية هامة في اللغة .

ولكن هذه النقود ، وهي جد ضئيلة ، لا تجعلنا نغمط هذا الفذ حقه ، ونؤدي إليه ما في أعناقنا من تقدير .

فجزاه الله عن العربية خير الجزاء ، وجعله مع الذين اصطفاهم الله واجتباهم .

٤ — المعاجم الحديثة

ركدت حركة المعاجم بعد العصر التركى . لأن الاستعمار وجه أنظار الناس إلى تعلم لغته ، ليصبغ تلك الشعوب بصبغته ، ويبعدها عن روح العربية ، إلا أن طائفة اليسوعيين اتجهوا تلك الوجهة وأبرزوا معاجم تناسب روح العصر وإن كانت لها أهداف دينية ترمى اليها .

ومن تلك المعاجم :

(ا) المنجد (ب) محيط المحيط (ج) أقرب الموارد

وقد برزت فى مصر نهضة قوية بإنشاء مجمع اللغة العربية الذى افتتح فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٤ م وكان من أبرز أعماله إخراج معجم تاريخى للغة العربية ، وقد أخرج بعض أجزاء من معجم (الوسيط) ، وسنعطى صورة موجزة عن هذه المعاجم :

(ا) المنجـــد

مؤلفه :

الأب لويس معلوف اليسوعى

هدفه :

لقد أوضح المؤلف فى مقدمته هدفه فقال : أن أدباء اللغة العربية وأئمتها العاملين فى إعلاء شأنها ، وإدناء قطوفها ولا سيما أرباب المدارس منهم ، كثيراً ما قد لهجوا فى هذه الأزمنة بمسيس الحاجة إلى معجم مدرسى ليس بالمخل المعوز ولا بالطويل ولا المعجز . فمن الاطلاع على ذلك يبدو لنا الغرض جليا وهو إخراج معجم يفى بحاجة المبتدىء ويزيل عنه اللبس الذى اكتشف طريقه ، وقد أوضح أنه بذل جهداً كبيراً فى جمع أمهات اللغة التى اعتمد عليها ، وفى استطلاع ذوى الرأى الصائب فى اختيار المواد وتنسيقها ليكون عمله نافعاً ثم ختم المقدمة بقوله (وقد سميناه المنجد ، وأملنا أن يجد فيه المتأدب والكاتب عوناً حسناً ونجدة وافية فى البحث والتنقيب ، ورجا من الباحث أن يغفر هفواته لأن التصحيف كثير الوقوع فى حروف العربية للتقلب بينها ، وبين الحركات.

منهجه :

قد وضح هدف المنجد ، وهو إخراج معجم يفيد طلاب المدارس ، ويعين المتأدب الناشىء ، وقد أوضح لنا منهجه الذى رسم لنفسه ، واتبعه فى ثنايا معجمه

١ ـ اتبع نظام الأبجدية العادية مجرداً، للكلمة من الزوائد ، مرجعاً للمقلوب فيها إلى أصله .

٢ ـ جمع الكلمات حسب الحرف الأول بعد مراعاة السابق ذكره فكتب تكون فى باب الكاف وهكذا.

٣ ـ وضع رموزا واصطلاحات تعين على الوصول إلى الهدف فمن ذلك

(ا) أنه جعل أول كل مادة فى صدر السطر بين هلالين ، وعن اليمين نقطة مربعة الشكل هكذا « جرحه جرحا »

وإن كانت الكلمة من الدخيل فنقطة مستديرة ، وعند ذكر فرع المادة يضعها بين معقوفين كقوله فى مادة « أنى » و [أنى تأنية]

(ب) إذا سبق ذكر الكلمة فيغنى عن إعادتها وضع خط بين قوسين هكذا « ـ ـ » . ووضع نقطتين تعيدان التفسير هكذا :

(ح) كل مايذكر مع الفعل يكون قيداً كقوله : راث الفرس روثا .فليس الروث خاصا بالفرس .

(د) أشار بالحروف الآتية إلى المصطلحات المنبئة عنها : « فا» تعنى اسم المفعول. « مفع » اسم المفعول « ج » الجمع ، « جج » جمع الجمع «مص» المصدر « م » مؤنث « مش » مشتق « مع » معروف « لا » مفعول به « َ » عين المضارع مفتوحة ، « ِ » عين المضارع مكسورة « ُ » عين المضارع مضمومة « ِ ُ » يجوز فى عين المضارع الفتح ، والضم ، والكسر.

٤ ـ استعان بالرسم لتقريب المعنى إلى الأذهان

٥ ـ ذكر أحكاما نحوية وصرفية يستعين بها الباحث على تعرف ناحية المعجم ، فتكلم على معانى صيغ الزيادة فى الأفعال ، وعرض المشتقات ويبدو أنه متجه للوجهة الكوفية لأنه قال : الاسماء المشتقة من لفظ الفعل

هى المصدر واسم المرة الخ وتكلم عن المذكر والمؤنث ، وعرض أبحاثا للمثنى والنسبة والتصغير وكتابة الهمزة ثم بدأ فى المعجم .

أمثلة من الكتاب : مادة « ح م د » ص ١٤٧ .

حمدُه حمداً ، ومحمداً ؛ ومحمداً ؛ ومَحمدة ، ومحمدة أثنى عليه » — على أمر . جزاه — الشىء . وجده حميداً ، ويقال حمدت إليك الله ، أى أحمد معك الله ، أو أشكر إليك ومعك أياديه ونعمه .

(حمد) الله : أثنى عليه المرة بعد الأخرى ، وقال « الحمد لله »

(أحمد) أتى أو فعل ما يحمده عليه — الشىء : صار محمودا . — الشىء . وجده حميدا . — ه . رضى فعله وتصرفه. استبان « إنه مستحق للحمد »

(تحمد) بالشىء على فلان : امتن . ويقال : إنه يتحمد الناس بفضله أى يريهم أنه محمود .

(استحمد) الله إلى خلقه : دعاهم إلى الحمد بإحسانه اليهم ، وإنعامه عليهم

(الحمد) مص : نقيض الذم ، المحمود يقال حمد ، وامرأة حمدة

(حماد) له : حمدا له

(الحماد) الغاية ، ومبلغ الجهد . يقال : حمادك أو حمادك أن تفعل كذا

(الحماد والحمدة) الكثير الحمد

(المحمدة) ما يحمد المرء به أو عليه ج محامد

(المحمد) كثير الخصال الحميدة ، وقد سموا « حمداً وحامدا ؛ ومحمداً ومحموداً وحميداً الخ

(الحميد والحمود) الحامد المحمود ، م حميدة

مميزات المنجد :

لهذا المعجم ميزات وخصائص منها :

١ ـ تيسير « البحث للطالب الناشىء ، وللأديب المتطلع وذلك بسهولة

الترتيب ، واختصار الشرح وخلو المعجم من الأعلام ، وأسماء النبات التى حشيت بها المعاجم الأخرى

٢ ـ وضعه الرسوم يسرت على الباحث فهم المطلوب

٣ ـ استعانته بالرمـــوز التى أشرنا عليهـا ، أعانت على الاختصار وفهم المطلوب

المـآخذ على المنجد :

من اسم المدرسة وهو «اليسوعيون» ، نستطيع أن نذكر أنها مدرسة وجدت لفكرة معينة ، وهى خدمة طائفة دينية

١ ـ ففى مادة «حمد» عرض للأعلام ، يقول إن محمداً نبى وفى مادة «م و س» أو «و س ى» لم يعرض لموسى ، ومع ذلك فى مادة «ع ى س» يقول «عيسى هو اسم عبرانى وهو اسم يسوع المسيح عليه السلام» ، فاهتمامه بالمسيح وإغفاله غيره من الأنبياء يدل على أن هذه الطائفة خدمت فكرتهـا الدينية أكثر من اهتمامها بواجبها اللغوى

وكذلك فى أماكن العبادة بذكر الأماكن المسيحية ويغفل ما سواها أولا يذكرها باهتمام كما فى مادة كـكنس وسجد فيعرض للـكنيسة ، ويغفل أمر المساجد إلا لماما

٢ ـ اهتمامه بالألفاظ العامية المولدة

ويجدر بنا ألا نغالى فى تقليل عملهم ؛ ولـكن نحذر الناشئة من الاندفاع وراء أصحاب الأغراض الخاصة ليكونوا على بينة مما يجرى فى البلاد العربية ، بإيعاز المستعمرين رغبة فى القضاء على القومية العربية

ب ـ محيط المحيط

مؤلفه :

المعلم بطرس بن بولس بن عبد الله البستانى ولد بلبنان وتوفى سنة ١٨٨٢م

هدفه :

يبدو لمن يرجع إلى هذا المعجم أن له هدفا وغاية يتجلى فى مقدمته لأنه أوضح فيها إعجابه بالقاموس المحيط ، فأحب إبرازه فى صورة سهلة وطريقة ميسرة . و لذلك فإنه يرمى إلى :

١ ــ إخراج المحيط بطريقة جديدة تيسر على الباحث الوصول إلى غايته والدارس العثور على أمنيته .

٢ ــ إضافة ما غاب عن الفيروزبادى من مواد عثر عليها فى المعاجم الأخرى .

٣ ــ وأتبعه بفهرس ضم مشهور الأماكن، والأعلام ،والقبائل،وعنى بما ورد فى التآليف العربية

وقد قال فى مقدمته مانصه : ولما كان هذا المؤلف يحتوى على مافى محيط الفيروزبادى الذى هو أشهر قاموس للعربية من مفردات اللغة،وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها فى كتب القوم ، وعلى مالابد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون،سميناه بمحيط المحيط،وقد جعلنا فى آخره فهرسا أدرجنا فيه على ترتيب حروف المعجم أسماء ما اشتهر من الأماكن، والأشخاص والقبائل ،ولاسيما ماورد من ذلك فى التصانيف العربية ،وذلك تعميما لفائدته

منهجه :

إن البستانى فى معجم لم يخرج عن المألوف فى المدرسة الثالثة ، وهى الأبجدية العادية ، فقد اتبع مايلى :

١ — جرد الكلمات من الزوائد دون نظر إلى الأصول

٢ — راعى الحروف المقلوبة بإرجاعها إلى أصلها .

٣ — نظر إلى الحرف الأول فى الهجاء مراعيا ما يليه

٤ ـ عنى بضبط للكلمات بالحركات المعدة لذلك فى غالب الأمر .

٥ ـ عنى بشرح حروف الهجاء ، ونطق العامة لها ، وورود نظائرها فى اللغات السامية ، والعبرية ، والسريانية .

٦ ـ عنى بإيراد الشواهد ، ملاحظا نسبتها إلى أصحابها .

وذكر أمورا منها أنه :

عنى بالضبط فإن ذكر ضبطا كان للحرف الأول ، وإن أعقبه بالسكون كان الضبط للحرف الثانى ، وإذا قال بالتثليث أشار إلى أن للحرف الأول ثلاث ضوابط .

والثانى : أشار فيه إلى أخطاء اللغويين فى تعريفهم الشىء بما يترتب عليه الدور وهو توقف حقيقة أمر على معرفة حقيقة الآخر ، أو التسلسل

والثالث : ذكر فيه بعض أخطاء المعاجم الأخرى من النسخ أو الطبع

والرابع : عرض فيه للحقيقة والمجاز والمشترك ، والمولد ، والدخيل والمصنوع ، فشرح حقائقها وما يتعلق بها بإيجاز

والخامس : أشار فيه إلى أن اختلاف الشرح للمفردات فى المعاجم يؤدى إلى معنى واحد .

والسادس : ذكر فيه فوائد مختلفة مثل :
أن من المصادر مالا فعل له ، فليس لك أن تشتق منه كالسكافة ، قال فى اللسان :

(الإسكاف مصدر السكافة ولا فعل له) ، وقد جمع أبو عبيد المصادر التى لاتشتق منها الأفعال

والسابع: ذكر فيه العرب الذين أخذت عنهم اللغة، وهم قيس، وتميم وأسد ثم أخذ فى شرح المواد. ومن ذلك « حاك » ج ١ ص ٢٥٠

« حاك » الرجل يحيك حيكا وحيكانا : تبختر واختال فهو حائك وحياك ، وحيكانة ، وهى حياكة، صبة حيكانة ضخمة تحيك إذا سمت ، (حاك) القول فى القلب حيكا أخذ

ومنه للمتنبى :

ليس يحيك الملام فى همم

والسيف فيه ، أثر وعمل ، و — الشفرة قطعت، جاء يحيك ويتحايك ويتحيك ، كأن رجليه لتزج بينها إذا مضى

(ما أحاك السيف) أى ما أحاك فيه. والمشهور أنه لايستعمل إلا منفيا كعاج ، من قولهم ماعاج بالدواء أى ما انتفع

احتاك بثوبه احتياكا احتك به امرأة حيكة كيكة قصيرة قلة

حـ ـ أقرب الموارد

فى فصيح العربية والشوارد

مؤلفه :

الشيخ سعيد الشرتونى .

هـدفه :

وضع فى مقدمته أنه استجاب بعد إلحاح إلى رغبة من يعز عليه طلبهم إخراج معجم يسهل على الباحث الرجوع إلى مأموله بيسر وسهولة ، ولذلك أفاد أنه رجع إلى الأصول كاللسان ، والأساس ، والصحاح ، والتاج والقاموس المحيط ، والمجمل ، والمصباح ، فأخذ منها العبارات ليعرض القصى بسهولة على الطلاب .

منهـجه :

١ ـ لم يخرج هذا المعجم عن تلك المدرسة فى جمع الكلمات ، أو البحث عنها ، فهو ينظر إلى أصول الكلمة ، وإلى الحرف الأول منها ، ناظرا إلى أصله إن كان مقلوبا عن غيره كميزان فينظر إلى وزن وإلى يزن

٢ ـ قسم المعجم إلى قسمين : الأول فى المفردات ، ولم يخرج فى شرحها عما ألف عند الأقدمين . والثانى فى المصطلحات العلمية ، والكلمات المولدة ، والأعلام

٣ ـ اتبع المعجم بذيل يتضمن ثلاثة أمور هى :

ا) ذكر ما تركه عمداً فى أول الكتاب أو ما قد غفل عنه فى جميع الأبواب

ب) ذكر ما استدركه على اللسان والتاج ، مما أخذه عن ثقاة اللغويين

ج) الاشارة إلى الأخطاء التى وقعت فى كتابه وتنبه اليها بعد المراجعة والمعارضة

٤ ـ ذكر بعد المقدمة مقاصد ستة :

وذلك فى الغرض من تأليف هذا المعجم : وهو إخراج كتاب ميسر يصل فيه الباحث إلى مأموله بأدنى مشقة ، ذكر بعض القواعد فى الكتاب ، وقد أبان أنه أشار بالحرف الى أحد أبواب المضارع الستة ؛ وأنه قد يذكر الأمور المقيسة كالمصدر والمرة للاستئناس ، وقد يغفلها مسايرة اللغويين . وأنه إذ اذكر الحركة بعد الاسم قصد ضبطه .

أمثلة من الكتاب: ث أ ب ج ١ ص ١٨٠

الثاء : هى الحرف الرابع من حروف المبانى ، وستذكر فى ث و ى ومن أقبح أغلاط العامة أنهم يلفظونها تاء ، ومرة سيناً . وليس للثاء فى العبرانية والسريانية صورة خاصة بها . وإنما يستخدمون لها صورة التاء فى مواقع مخصوصة ، والثاء فى حساب الجمل عبارة عن خمسمائة

ثئب يثأب ثأبا وثئب على المجهول يثأب ثأبا : أصابه كسل وفترة كفترة النعاس ، ففتح عندها فه واسعا من غير قصد فهو متؤوب . تثأب تثؤبا وتثاءب تثاؤبا بمعنى يثئب ، ولا تقل تثاؤب . وتثاءب الأخيار يحسها الثأب والثؤباء : فترة يتغدى الشخص فيفتح عندها فاه واسعا وهو تنفس ينفتح له الفم مليا من دون قصد . الأثاب : شجر من أشجار البرية . الواحد أثابة ، قال الكميت :

وغادرنا المقاول فى مكر كخشب الأثاب المتغطرسينا

مادة ثانية « ج ل ظ » ج ١ ص ٣٧٣

اجلوظ اجلواظا : استمر واستقام . الجلظاء الأرض الغليظة كالجلذاء

مشروعات مجمع اللغة العربية

أنشىء مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤ ونص فى مرسوم إنشائه على أغراضه وهى :

(ا) أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو فى تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ ، أو التراكيب .

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(ح) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ماله شأن فى تقدم اللغة العربية مما يعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف المصرية. ووفاء بذلك قد عنى باخراج المعاجم مبتدأ بإخراج «المعجم الكبير» ، «والمعجم الوسيط» .

المعجم الكبير

برز منه الجزء الأول وقد تكلم فيه على الهمزة من جميع نواحيها .

فعرض أولا لتعريفها ، وثانياً لرسمها وأراء العلماء فى ذلك، وثالثاً لأقسامها ورابعاً لأماكنها ، وخامساً لحركتها ، وسادساً لإثباتها وسقوطها .

وسابعاً لتحقيقها وتخفيفها ، وثامنا . لإدغامها وفكها ، وتاسعاً : لهمز ماليس مهموزا . وعاشراً : لاجتماع همزتين والحادى عشر لألقابها والثانى عشر لأوجهها وختم بحث الهمزة ببيان المراجع التى رجع إليها المجمع فى هذا البحث

المعجم الوسيط

مؤلفه :

قام بإخراجه استجابة لرغبة مجمع اللغة العربية فريق من أساطين اللغة العربية المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى والأساتذة أحمد حسن الزيات ، والأستاذ حامد عبد القادر ، وفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد على النجار ، وأشرف على طبعه المحقق الأستاذ عبد السلام هارون .

هدف المعجم الوسيط :

ذكر فى مقدمة الكتاب الهدف له ، وهو إخراج معجم يناسب تطور الأمة العربية ، فتقدم للقارىء المثقف ما يحتاج إليه من مواد لغوية فى أسلوب واضح ، قريب المأخذ ، سهل التناول ، وقد قامت اللجنة بهذا العمل الجليل ، لأن المجمع قد هيأ له كل سبيل ، ويسر لها كل صعب ، ليخرج آية رائعة ،

منهج الوسيط :

سار هذا المعجم مترسما خطى المدرسة الثالثة ، وهى الابجدية العادية فاتبعوا النواحى الآتية : —

١ — جردوا الكلمات من زوائدها ، وأرجعوا المقلوب إلى أصله .

٢ — شرحت الألفاظ بالعبارات الواضحة المألوفة .

٣ — قدمت الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد ، والمعنى الحسى على المعنى العقلى ، والحقيقى على المجازى ، والفعل اللازم على المتعدى .

٤ — راعت فى الأفعال المزيدة ماصدرت به فقدمت أفعل ، ثم تفاعل على فاعل . ثم أوردت فاعل الفعل، ثم افعل ، ثم انفعل ، ثم تفاعل ، ثم إفعول ثم تفعلل .

٥ — وضعت رموزا لتيسير البحث وهى :

ج : للجمع (َ ِ ُ) لبيان حركة عين المضارع .

و (—) للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد

(مو) للمولد .

(مع) للمعرب وهو اللفظ الأجنبي ، الذى غيره العرب بالنقص أو بالزيادة أو بالقلب .

(ف) للدخيل وهو اللفظ الأجنبى الذى دخل العربية دون تغيير كالأكسجين والتليفون

(مج) للفظ الذى أقره مجمع اللغة العربية

(محدثة) للفظ الذى استعمله المحدثون فى العصر وشاع فى لغة الحياة العامة

٦ — عنيت بتعزيز الشرح بمأثور كلام العرب ، من القرآن والحديث وفصيح الشعر .

٧ — اقتصرت على باب واحد فى الأفعال إذا كانت متحدة المعنى، وإلا فإنها تذكر كل الأبواب تبعاً لاختلاف المعانى .

٨ — اختارت أشيع المصادر وأشهرها ، إلا إذا كانت مختلفة المعنى فتذكر كل المصادر .

٩ — تذكر المشتقات من أسماء الفاعلين والمفعولين إلا مارأت النص عليه لخفائه ، أو لتفريع بعض المعانى

١٠ ـ لم يذكر المؤلف اكتفاء بوضوحه واكتفت بذكر ماخفى بغيرتاء

أمثلة من الكتاب : (أرم) ج (١) ص ١٤ .

« أرم عليه أرما : عض و ـ الشيء : استأصله . يقال : أرمت الساعة المرعى أتت عليه ، وأرم الجدب الماشية . و ـ الحبل : فتله فتلا شديدا .

و (أرم) أرما معنى . و ـ الأرض : لم تنبت شيئاً فهو أرم وآرم ، وهى أرماء

(الأرم) : الاحتراس كأنها جمع آرم ، وفلان يحرق عليك

الأرم : يحك بعضها بعضاً من الغيظ

الأرم : الأرم الضرس

(الآرم) حجارة أو نحوها تنصب فى المفازة ليهتدى بها ، (ج) آرام وأروم

(وإرم) : قوم منهم عاد ، وقيل مدينة كبيرة لهم .

(الأرم) : الإرم

(الأروم والأرومة) : أصل الشجرة ، واستعملت للحسب .

(الأرماد) الأسطول الأسبانى الذى هزمه الإنجليز فى القرن السادس عشر الميلادى ، وتردد ذكره فى التاريخ .

ولنا عليه نقد وملاحظات ، سنذكرها فى طبعات مقبلة بفضل الله . .

أسس وضع معاجم جديدة

إن التعليم قد انتشر فى مصر والبلاد العربية ، وهذا يتطلب جهداً جهيدا فى إخراج معجم يتناسب وروح العصر ، ويؤدى الخدمات المطلوبة فى هذه النهضة العلمية التى بدأت طلائعها تزحف على الشرق .

هذا وإن المعجم عبارة عن ألفاظ ، وشرح لتلك الألفاظ وترتيب لها . ولذلك نريد أن نوجه نظرة فاحصة إلى كل نوع من الأنواع التى يتكون منها المعجم ليخرج فى صورة حية :

(ا) المفردات :

لقد كثر الكلام حول الفصيح وتحديد أمده ، وقد اتجه مجمع اللغة العربية إلى تحديد أمده بالعصر الجاهلى إلى نهاية العصر العباسى الأول . وما وجد بعد هذه الفترة نتيجة تطور علمى ولغوى فهو إما مولد ، وإما معرب من لغات أجنبية .

وإنه ليجدر أن يحوى المعجم الجديد كل أصناف المفردات مع وضع إشارات تميز كل صنف منها ، حتى لا يضل الناشىء فى تمييز أنواع المفردات .

(ب) الشرح :

إن من يطلع على المعاجم يجد فى شرحها للمفردات أحياناً غموضاً وإبهاما وليس هذا هو المقصود منها ، لأنها وجدت لإزالة اللبس وكشف الغموض .

ولذلك فإنه يجوز عند شرح الألفاظ مراعاة توضيحها توضيحاً قوياً ، يدفع لبسها ويزيل غموضها ، ويحقق الغرض من هذا المعجم .

(ح) الترتيب :

مر بنا فى أطوار المعاجم أنها مرت بطرق ثلاث فى ترتيبها : فقد بدأت بالتقليبات بقسميها ، وبالقافية ، وبالأبجدية . إلا أنه يكتنفها جميعاً صعوبة البحث لاحتياج الإنسان إلى دراسة التصريف ليقف على التعقيدات التى حلت بالكلمة ، ليتمكن من الرجوع إليها : فميزان إن لم يعرف أن الياء منقلبة عن الواو ، فلن يصل إلى مكانها فى المعجم وزنة ما لم يقف على أنها محذوفة الفاء فى المصدر حملا على المضارع، فلن يتمكن من الوقوف على مكانها.

وكذلك ما لم يعرف الأصول ويميزها من الزوائد ، فإنه يبقى فى مهمه يضل سالكه، فاستغفر ما لم يعرف أن الألف والسين والتاء زائدة: فلا يمكنه أن يقف على وضعها فى المعجم ، فمن هنا كانت الصعوبة مكتنفة للمعاجم .

ولذلك فإنه يجب وضع معاجم تتناسب وروح العصر من حيث الألفاظ والترتيب .

وإنه ليجدر أن نضع معجما مرتبا حسب الأبجدية العادية ، ملاحظا الحرف الأول وما يليه من الحروف ، ناظراً إلى الصورة التى وصلت إلينا، بقطع النظر عما اعتراها من زيادة ، ومادخلها من إبدال أو حذف .

فاستغفر تكون فى باب الألف لا فى باب الغين باعتبار الأصول .

وميزان تكون فى باب الميم وهكذا حتى لا نشق على المبتدئين ، ولا نثقل على المتطلعين بدراسة مواد الصرف ، أو نضع من القيود ، والضوابط مايحتاج إلى مدارسة ومطالعة .

وبذلك نخرج معجما مناسبا ، وشارحا للألفاظ وافيا .

وإن الأمل وطيد فى بمجمع اللغة العربية وإن كان فى معجمه لم يراع تلك النواحى ، إلا أننا نأمل فى القريب العاجل أن نحقق أمل العروبة فينا ، ونؤدى الأمانة التى نيطت بأعناقنا .

وفق الله حماة تلك اللغة إلى الذود عنها ، بتيسير صعبها ، وتذليل شموسها وإخراج كتب نافعة لأبنائها تنير لهم السبيل ، وتحقق لهم القصد والغاية .

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل

والحمد لله رب العالمين

دكتور إبراهيم محمد نجا

« دليل الكتاب »

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
معنى المعجم نشأة	٥
المدرسة الأولى	
التقليبات الصوتية	١٠
التقليبات الهجائية	١١
المدرسة الثانية	
مدرسة الابجدية العادية	١١
المدرسة الأولى :	
مدرسة التقليبات :	١٣
١ — العين :	١٣
مؤلفه مولده نشأته	
أخلاقه . أساتذته . تلامذته	١٤
منزلته العلمية	١٥
مؤلفاته	١٦
منهجه	١٧
الآراء فى مؤلف العين	٢٠
الرأى الأول	٢٠
الرأى الثانى	٢١
الرأى الثالث	٢٢
الرأى الرابع	٢٣
الرأى الخامس	٢٣
أمثلة من الكتاب	٢٩
المآخذ على العين	٢٥
أثر العين	٢٧
٢ — التهذيب :	
مؤلفه أساتذته منزلته العلمية	٣٩
مؤلفاته	٤٠
هدفه	٤١
منهجه	٤٢
مميزات التهذيب	٤٧
٣ — البارع :	
مؤلفه . أساتذته . منزلته . تلامذته	٥٢
مؤلفاته هدفه . منهجه	٥٣
مميزاته	٥٩
المآخذ عليه	٦٠
مؤلفات عليه	٦١
٤ — المحكم :	
مؤلفه . ومنزلته	٦٢
مؤلفه . هدفه	٦٣
منهجه	٦٤
مميزاته	٧٠
المآخذ عليه	٧١
التقليبات الهجائية :	
ا الجمهرة	
مؤلفه . أساتذته . تلامذته	٧٥*
منزلته	٧٦

الموضوع	الصفحة
أخلاقه وشعره	٧٧
مؤلفاته	٧٨
هدفه ومنهاجه	٧٩
مميزاته	٨٨
المآخذ عليه	٩٠
دراسات حول الجهرة	٩٣
المدرسة الثانية :	
مدرسة الثقافية	٩٥
١ — تاج اللغة وصحاح العربية :	
أساتذته : تلامذته منزلته	٩٦
شعره . مؤلفاته	٩٧
كلمة عنه	٩٨
هدفه	٩٩
منهجه	١٠٠
مميزاته	١٠٩
آراء العلماء فيه	١١٠
المآخذ عليه	١١٢
نسخة المؤلف	١١٧
أثره ودراسات حوله	١١٨
٢ - لسان العرب :	
مؤلفه . أساتذته . منزلته	١٢٢
هدفه	١٢٤
منهجه	١٢٥
مميزاته	١٣٢
مآخذ عليه	١٣٣

الموضوع	الصفحة
الدراسات حوله	١٣٤
٣ — القاموس المحيط :	
مؤلفه . أساتذته	١٣٦
منزلته . مؤلفاته هدفه	١٣٧
منهجه	١٣٨
مميزاته	١٤١
مآخذ عليه	١٤٤
أثره	١٤٦
٤ — تاج العروس :	
مؤلفه منزلته	١٤٧
مؤلفه . منهجه	١٤٨
مقاصدة	١٤٩
مآخذ عليه	١٦١
٥ - الجاسوس على القاموس :	
مؤلفه . منزلته	١٦٣
هدفه	١٦٤
منهجه . نقوده	١٦٥
المدرسة الثالثة :	
الابجدية العادية :	
١٧ - أساس البلاغة :	
مؤلفه . أساتذته منزلته	١٧٥
مؤلفاته	١٧٧
هدفه	١٧٨
منهجه	١٧٩

الموضوع	صفحة
مميزاته	١٨٣
مآخذ عليه	١٨٤
٢ ـ مختار الصحاح .	
مؤلفه . هدفه . منهجه	١٨٥
مميزاته والمآخذ عليه	١٨٨
٣ ـ المصباح المنير :	
مؤلفه . هدفه . منهجه .	١٨٩
مميزاته والمآخذ عليه	١٩١
المعاجم الحديثة	
(ا) المنجد :	
مؤلفه . هدفه منهجه	١٩٣
مميزاته	١٩٥
مآخذ عليه	١٩٦
(ب) محيط المحيط :	
مؤلفه . هدفه	١٩٧
منهجه	١٩٨
(ح) أقرب الموارد .	
مؤلفه . هدفه . منهجه	٢٠٠
مشروعات المجمع :	
المعجم الكبير	٢٠٢
المعجم الوسيط :	
مؤلفه . هدفه . منهجه	٢٠٣
أسس معاجم جديدة :	٢٠٦

رقم الإيداع ٢٤٠٠ / ١٩٧٧